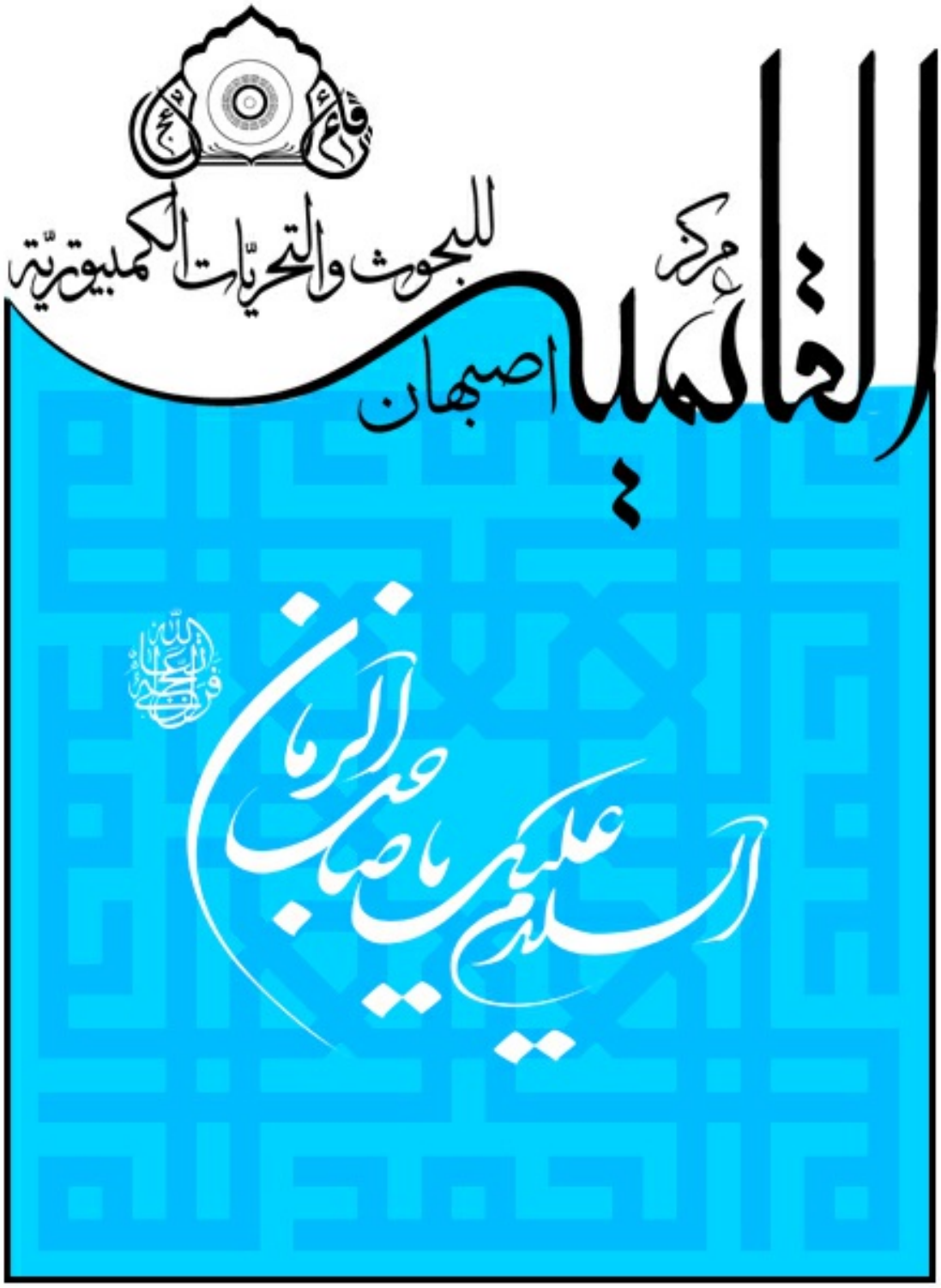

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

زهير بن القين

علوي خرج يتلقى الحسين عليه السلام

سيد علي جمال أشرف

بسم الله الرحمن الرحیم

زهير بن القين

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

موسسه سيدالشهدا (عليه السلام)

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

زهير بن القين 12

اشارة 12

اشارة 12

المقدّمة 16

لقبه ونسبته 33

البجلي : 33

الأنماري : 33

سنّه 34

مكانته وشخصيته 36

التزامه بالتقية 36

أولاً : تشبيه الحسين عليه السلام له بمؤمن آل فرعون 36

ثانياً : إتهام الأعداء له 37

ثالثاً : إنّه لم يكن مشهوراً 37

دلالات تشبيهه بمؤمن آل فرعون 40

اشارة 40

أنّه مؤمن 40

إنّه عامل بالتقية 55

إنّه يدافع عن المعصوم 64

إنّه يعتقد أنّ الحسين جاء بالبينات 64

إنّه من القلّة الممدوحة 65

إنّه من الصالحين العاملين بالتقية 66

إنّه ممدوح بكتمان علمه 68

إنّه تحمل البقاء مع الأعداء لحماية الإمام 69

إنّه ممدوح بتحمله البلاء والدعوة مع ابتلائه 71

تشبيهه بسباق الأمم وأنهم لم يكفروا باللّه طرفة عين 71

تشبيهه بالثلة من الأولين 73

تشبيهه بالصديقين 74

إخباره أ نّه ممّن لا يفتن في دينه 74

إخباره عليه السلام له بقتله إخباراً خاصاً وأ نّه يقطع إرباً 74

إخباره عن تسليمه وتفويض أمره للّه 75

امتداحه باليقين والصبر علي الشدائد 76

أشار الي وجوب الأخذ بكلامه لأ نّه موافق للاحتياط 76

الشهادة له بأنّه ممّن يدخل الجنة بمجرد القتل 77

تشبيهه بأصحاب الكهف وأبي طالب وأنّ اللّه كتب لهم الأجر مرّتين 77

الشهادة له بأنّه من شيعة أهل البيت الخلص 78

شبهه بمن يقومون مع القائم قياماً خاصاً 80

مواقف زهير 81

اشارة 81

موقف زهير بذي حسم 81

زهير مع الحسين عليه السلام علي مشارف كربلاء 82

منع العدو من الدخول علي الحسين عليه السلام خوفاً من إغتياله 89

الوقوف أمام الحسين عليه السلام يقيه بنفسه في الصلاة 90

الحسين عليه السلام يخبر عن سؤال زهير وحبيب 91

زهير في جملة الممثلين للحسين عليه السلام 94

موقف زهير ليلة العاشر 94

دفاع زهير ورجاله في الميمنة عن الحسين عليه السلام 97

دفاع زهير عن حرم الحسين عليه السلام 97

شجاعة زهير 101
مقام الوعظ 104
اشارة 104
خروجه شاك في السلاح 107
التصوّر الأول : إنّه متقدّم للموت فنصيحته لا مصلحة له فيها للدنيا 107
التصور الثاني : تحرزاً من القوم 108
التصور الثالث: استعرض القوة والاستعداد أمام العدو 110
التصور الرابع : لأ نّه قائد عسكري في ساحة الوغي 111
مضامين خطبته 113
أولاً : يا أهل الكوفة 113
ثانياً : إعلانه عن مهمته 114
الأمر الأول : الإنذار 114
الأمر الثاني: النصيحة 115
ثالثاً : أتباع الدين الواحد لا يتقاتلون 116
رابعاً : التحذير من الارتداد والكفر 117
خامساً : ابتلانا اللّه وإياكم بذرية النبي صلي الله عليه و آله 117
سادساً : دعوتهم إلي نصر الحسين عليه السلام 119
سابعاً : دعوتهم إلي خذلان الطاغية 119
عائد ضمير التثنية في كلام زهير 122
الأول : المراد عبيد اللّه وأبيه زياد 122
الثاني : المراد يزيد وابن زياد 124
لماذا لم يصرح زهير باسم يزيد ؟ 125
الجواب : 125
الأول : دلالة القرائن عليه 125
الثاني : دأبه في التقية 125

الثالث : تجنب الاستفزاز 125
ردّ المسوخ : 126
خطاب آخر ودعوة أخري 128
اشارة 128
أولاً : إنّ ولد فاطمة عليهاالسلام أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية 129
ثانياً : إن لم تنصروهم فلا تقتلوهم 131
ثالثاً : تكسبون رضا يزيد بدون قتل الحسين عليه السلام 132
ردّ القوم 132
أفبالموت تخوفني ؟! 134
الأمر الأول : الردّ علي تهديده بالقتل 135
الأمر الثاني : بيان حبّه للبقاء مع الحسين عليه السلام علي كلّ حال 136
عودة إلي خطاب الأعداء 136
الحسين عليه السلام يدعو زهيراً 139
هل تأثر القوم بموعظة زهير ؟ 140
رجز زهير 143
وقفات 145
الوقفة الأولي: 145
الوقفة الثانية : 145
الوقفة الثالثة : 145
لفتات 146
اللفتة الأولي : 146
اللفتة الثانية : 147
الوقفة الرابعة : 152
لفتات 153
زيادات وروايات أخري في الرجز 158

هل كان زهير عثمانياً ؟ 160
مناقشة الخبر 163
أولاً: أقدم مصدر نقل الخبر 163
ثانياً: سند الخبر 164
مناقشة المتن 165
أولاً : من هو عزرة الذي اتهم زهيراً 165
ثانياً : إنّها تهمة من العدو 172
لماذا اتهم عزرة زهيراً ؟ 173
ثالثاً : جواب زهير علي الفرية 180
المقصد الأول : التعريض بعزرة 183
المقصد الثاني : وعظ عزرة ومن معه 184
مضامين كلام زهير 184
رابعاً : لا دليل علي توبته 186
ثامناً: دلالات خطبه 194
هل كره زهير منازلة الحسين عليه السلام ؟ 205
اشارة 205
أولاً : السند 207
ثانياً : ظروف نقل الخبر 207
ثالثاً : لم يكن زهير وحده في تلك الرحلة 208
رابعاً : خروج زهير من مكة بعد الحج 209
خامساً : روايات لم تذكر امتناع زهير 212
سادساً : المرافقون كانوا عثمانية 213
سابعاً : المطلوب للحسين عليه السلام زهير بن القين فقط 214
ثامناً : ينتظرون الحسين عليه السلام في الصحراء 215
تاسعاً : ما لبث أن جاء مستبشراً 223

عاشراً : زهير بن القين خرج يتلقّي الحسين عليه السلام ---- 226
الحادي عشر : ورد هذا الاتهام في حقّ غير زهير ---- 227
ابن عمّه المستشهد معه ---- 230
دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين ---- 232
عقلها ومعرفتها ---- 233
إخبارها بالفراق والشهادة ---- 235
وداعها مع زوجها ---- 236
كلمات الوداع ---- 238
الرجاء العظيم ---- 241
لماذا الطلاق ؟ ---- 241
زيارة زهير بن القين ---- 246
اشارة ---- 246
النمط الأول : الزيارة الخاصة ---- 246
النمط الثاني : الزيارة العامة ---- 252
النص الأول ---- 253
النص الثاني ---- 256
النص الثالث ---- 260
النص الرابع ---- 261
النص الخامس ---- 261
النص السادس ---- 262
النص السابع ---- 262
النص الثامن ---- 263
النص التاسع ---- 263
النص العاشر ---- 263
النص الحادي عشر ---- 264

النص الثاني عشر 264
شهادة زهير 265
مبارزة زهير : 265
متي استشهد زهير : 266
شهادته : 266
تأبين الحسين عليه السلام لزهير 272
اشارة 272
الوجه الأول 273
الوجه الثاني 273
لعن اللّه قاتل زهير 274
الإمام الغريب يستصرخ زهير وإخوته بعد الشهادة 275
الفهرست 277
تعريف مركز 290

زهير بن القين

اشارة

* هوية الكتاب

الكتاب : زهير بن القين

المؤلف : سيد علي جمال أشرف

الناشر : دار الأنصار

عدد الصفحات والقطع : 272 صفحة - وزيري

الطبعة : الأُولي

سنة الطبع : 1387 ش - 1429 ه

عدد المطبوع : 2000 نسخة

المطبعة : سيد الشهداء

الشابك :7 - 53 - 8956 - 964

خيراندیش دیجیتالي : بیادبود مرحوم حاج سید مصطفي سید حنایي

ص: 1

اشارة

زهير بن القين

المؤلف : سيد علي جمال أشرف

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

المقدّمة

الحمـد للّه الـذي لاـ إله إلاّ هو الملك الحقّ المبين ، المـدبّر بلا وزير ، ولا خلق من عباده يستشـير ، الأوّل غير موصوف ، والباقي بعـد فناء الخلق ، العظيم الربوبية ، نور السـماوات والأرضـين وفاطرهما ومبتدعهما ، بغير عمد خلقهما، فاسـتقرت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علاـ ربّنا في السَّماواتِ الْعُلي الرَّحْمنُ عَلَي الْعَرْشِ اسْتَوي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّري ، فأنا أشـهد بأنّك أنت اللّه ، لاـ رافع لما وضـعت ، ولا واضع لما رفعت ، ولا معزّ لمن أذللت ، ولا مـذلّ لمن أعززت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت(1) .

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِك ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتك عَلَي مُحَمَّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ ، وَالـدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِك ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ ، مَاضِياً عَلَي نَفَاذِ أَمْرِكَ ، حَتَّي أَوْرَي قَبَسَ

1- بحار الأنوار : 83/332 باب 45 .

الْقَابِسِ ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمخْزُونِ ، وَ شَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ، وَرَسُولُكَ إِلَي الْخَلْقِ(1) .

اللّهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك علي عترة نبيك العترة الضائعة الخائفة المستذلة ، بقية الشجرة الطيبة الزاكية المباركة ، وأعل – اللّهم – كلمتهم ، وأفلج حجّتهم ، واكشف البلاء واللأواء ، وحنادس الأباطيل والعمي عنهم ، وثبّت قلوب شيعتهم وحزبك علي طاعتهم وولايتهم ونصرتهم وموالاتهم ، وأعنهم وامنحهم الصبر علي الأذي فيك ، واجعل لهم أياما مشهودة ، وأوقاتا محمودة مسعودة ، توشك فيها فرجهم ، وتوجب فيها تمكينهم ونصرهم ، كما ضمنت لأوليائك في كتابك المنزل ، فإنّك قلت – وقولك الحقّ – : « وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً »(2) .

والعن اللّهم أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد ، وآخر تابع له علي ذلك ، اللّهم وأهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيدا ،

1- نهج البلاغة : 101 خ72 .

2- مصباح المتهجد : 785 .

واستهلّ به فرحا ومرحا ، وخذ آخرهم كما أخذت أولهم ، وأضعف اللّهم العذاب والتنكيل علي ظالمي أهل بيت نبيك ، وأهلك أشياعهم وقادتهم ، وأبر حماتهم وجماعتهم(1) .

وصلّي اللّهم علي الشهيد السعيد ، والسبط الثاني ، والإمام الثالث ، والمبارك ، والتابع لمرضاة اللّه ، المتحقّق بصفات اللّه ، والدليل علي ذات اللّه ، أفضل ثقاة اللّه ، المشغول ليلاً ونهارا بطاعة اللّه ، الناصر لأولياء اللّه ، المنتقم من أعداء اللّه ، الإمام المظلوم ، الأسير المحروم ، الشهيد المرحوم ، القتيل المرجوم ، الإمام الشهيد ، الولي الرشيد ، الوصي السديد ، الطريد الفريد ، البطل الشديد ، الطيب الوفي ، الإمام الرضي ، ذو النسب العلي ، المنفق الملي ، أبو عبد اللّه الحسين بن علي ، منبع الأئمة ، شافع الأمّة ، سيد شباب أهل الجنة ، وعبرة كلّ مون ومونة ، صاحب المحنة الكبري ، والواقعة العظمي ، وعبرة المونين في دار البلوي ، ومن كان بالإمامة أحقّ وأولي ، المقتول بكربلاء ، ثاني السيد الحصور يحيي ابن النبي الشهيد زكريا ، الحسين بن علي المرتضي ، زين المجتهدين ، وسراج المتوكّلين ، مفخر أئمة المهتدين ، وبضعة كبد سيد المرسلين ، نور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية، وشرف غرس الأحساب الرضوية ، المقتول بأيدي شرّ البرية ، سبط الأسباط ، وطالب الثأر يوم الصراط ، أكرم العتر ، وأجلّ الأسر ، وأثمر الشجر ، وأزهر البدر ،

1- مصباح المتهجد : 785 .

معظم مكرم موقر ، منظف مطهّر ، أكبر الخلائق في زمانه في النفس ، وأعزّهم في الجنس ، أذكاهم في العرف ، وأوفاهم في العرف ، أطيب العرق ، وأجمل الخلق ، وأحسن الخلق ، قطعة النور ، ولقلب النبي صلي الله عليه و آله سرور ، المنزّه عن الإفك والزور ، وعلي تحمّل المحن والأذي صبور ، مع القلب المشروح حسور ، مجتبي الملك الغالب ، الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام(1) .

الذي حمله ميكائيل ، وناغاه في المهد جبرائيل ، الإمام القتيل ، الذي اسمه مكتوب علي سرادق عرش الجليل ، الحسين مصباح الهدي ، وسفينة النجاة ، الشافع في يوم الجزاء ، سيدنا ومولانا سيد الشهداء(2) عليه السلام .

الذي ذكره اللّه في اللوح الأخضر فقال : . . وجعلت حسينا خازن

وحيي ، وأكرمته بالشهادة ، وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد ، وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامّة معه ، والحجة البالغة عنده ، وبعترته أثيب وأعاقب(3) . .

الذي قال فيه جدّه المبعوث رحمة للعالمين صلي الله عليه و آله : حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ اللّه من أحبّ حسينا(4) ، وقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وهو الصادق الأمين : إنّ حبّ علي قذف في قلوب المونين ، فلا يحبّه

1- المناقب : 4/79 .

2- معالي السبطين : 61 .

3- كمال الدين : 2/290 ح1 .

4- بحار الأنوار : 45/314 .

إلاّ مون ، ولا يبغضه إلاّ منافق ، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المونين والمنافقين والكافرين ، فلا تري لهم ذاما(1) .

فمن أيّ المخلوقات كان أولئك المردة العتاة ، وأبناء البغايا الرخيصات ، الذين قاتلوه بغضا لأبيه ، وسبوا الفاطميات ، ولم يحفظوا النبي صلي الله عليه و آله في ذراريه ، قال الإمام سيد الساجدين عليه السلام : . . أيّها الناس ، أصبحنا

مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار ، كأنّا أولاد ترك وكابل ، من غير جرم إجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلاّ إختلاق .

فواللّه لو أنّ النبي صلي الله عليه و آله تقدّم في قتالنا كما تقدّم اليهم في الوصاية بنا لما إزدادوا علي ما فعلوا بنا ، فإنّا للّه وإنّا اليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها ، وأوجعها ، وأفجعها ، وأكظّها ، وأقطعها ، وأمرّها ، وأفدحها ، فعند اللّه نحتسبه فيما أصابنا ، وما بلغ بنا ، إنّه عزيز ذو إنتقام(2) .

ولكنّ اللّه لهم بالمرصاد ، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد ، واقشعرت له أظلّة العرش ، وبكي له جميع الخلائق ، وبكت له السماوات السبع ، والأرضون السبع ، وما فيهن ، وما بينهن ، ومن يتقلّب في الجنة والنار من خلق ربّنا ، وما يري وما لا يري ، سوف لا ولم ولن يسكن لأ نّه قتيل اللّه وابن قتيله ، وثار اللّه وابن ثاره ، ووتر اللّه الموتور في السماوات

1- المناقب : 3/383 ، بحار الأنوار : 43/281 باب 12 .

2- بحار الأنوار : 45/147 .

والأرض(1) حتي « يبعث اللّه قائما يفرج عنها الهم والكربات » ، قال الحسين عليه السلام : يا ولدي ، يا علي ، واللّه لا يسكن دمي حتي يبعث اللّه المهدي(2) . . فذلك قائم آل محمد عليهم السلاميخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام بن علي . . وإذا قام – قائمنا – انتقم للّه ولرسوله ولنا أجمعين(3) . .

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين صلي الله عليه و آله فقال : لمّا أسري بي إلي السماء أوحي إليّ ربّي – جلّ جلاله – فقال : يا محمد ، إنّي اطلعت علي الأرض اطلاعة فاخترتك منها ، فجعلتك نبيا ، وشققت لك من اسمي اسما ، فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها عليا ، وجعلته وصيّك وخليفتك ، وزوج ابنتك ، وأبا ذريّتك ، وشققت له اسما من أسمائي ، فأنا العلي الأعلي ، وهو علي ، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما ، ثم عرضت ولايتهم علي الملائكة ، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين .

يا محمد ، لو أنّ عبدا عبدني حتي ينقطع ، ويصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحدا لولايتهم ، ما أسكنته جنّتي ، ولا أظللته تحت عرشي .

يا محمد ، تحبّ أن تراهم ؟ قلت : نعم يا ربّ ، فقال عزّ وجلّ : ارفع رأسك ، فرفعت رأسي ، وإذا أنا بأنوار علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسي

1- انظر بحار الأنوار : 98/151 باب 18 .

2- المناقب : 4/93 .

3- بحار الأنوار : 52/376 .

بن جعفر ، وعلي بن موسي ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن

علي ، و« م ح م د » بن الحسن القائم في وسطهم ، كأنّه كوكب درّي .

قلت : يا ربّ ، ومن هواء ؟ قال : هواء الأئمـة ، وهذا القائم الذي يحلّل حلالي ، ويحرّم حرامي ، وبه أنتقم من أعدائي ، وهو راحة لأوليائي ، وهو الذي يشـفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ، فيخرج اللاّت والعزي طريين فيحرقهما ، فلفتنة الناس – يومئذ – بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري(1) .

وروي عبد اللّه بن سنان قال : دخلت علي سيدي أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهماالسلام في يوم عاشوراء ، فألفيته كاسف اللّون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحـدر من عينيه كاللووالمتساقط ، فقلت : يا ابن رسول اللّه ، ممّ بكاو ؟ لا أبكي اللّه عينيك ، فقال لي : أو في غفلـة أنت ؟ أما علمت أنّ الحسـين بن علي أصـيب في مثل هذا اليوم ؟ ! فقلت : يا سيدي فما قولك في صومه ؟ فقال لي : صمه من غير تبييت ، وأفطره من غير تشـميت ، ولا تجعله يوم صوم كملاً ، وليكن إفطارك بعد صـلاة العصر بساعة علي شربة من ماء ، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجـاء عن آل رسول اللّه ، وانكشـفت الملحمـة عنهم ، وفي الأـرض منهم ثلاـثون صـريعا في مواليهم ، يعزّ علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله مصرعهم ، ولو كان في الدنيا – يومئذ – حيّا لكان صلي الله عليه و آله هو المعزّي بهم .

1- كمال الدين : 1/252 باب 23 ح2 ، بحار الأنوار : 52/379 ح185 .

قال : وبكي أبو عبد اللّه عليه السلام حتي اخضلّت لحيته بدموعه . . ثم علّمه آداب يوم عاشوراء ، وآداب الزيارة في ذلك اليوم الي أن قال : ثم قل : اللّهم عذّب الفجرة الذين شاقّوا رسولك ، وحاربوا أولياءك ، وعبدوا غيرك ، واستحلّوا محارمك ، والعن القادة والأتباع ، ومن كان منهم فخب وأوضع معهم ، أو رضي بفعلهم لعنا كثيرا .

اللّهم وعجّل فرج آل محمد ، واجعل صلواتك عليه وعليهم ، واستنقذهم من أيدي المنافقين المضلّين ، والكفرة الجاحدين ، وافتح لهم فتحا يسيرا ، وأتح لهم روحا وفرجا قريبا ، واجعل لهم من لدنك علي عدوّك وعدوّهم سلطانا نصيرا . .

اللّهم إنّ كثيرا من الأمّة ناصبت المستحفظين من الأئمة ، وكفرت

بالكلمة ، وعكفت علي القادة الظلمة ، وهجرت الكتاب والسنة ، وعدلت عن الحبلين اللّذين أمرت بطاعتهما ، والتمسك بهما ، فأماتت الحقّ ، وجارت عن القصد ، ومالأت الأحزاب ، وحرّفت الكتاب ، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها ، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها ، وضيّعت حقّك ، وأضلّت خلقك ، وقتلت أولاد نبيك ، وخيرة عبادك ، وحملة علمك ، وورثة حكمتك ووحيك .

اللّهم فزلزل أقدام أعدائك ، وأعداء رسولك ، وأهل بيت رسولك ، اللّهم وأخرب ديارهم ، وافلل سلاحهم ، وخالف بين كلمتهم ، وفتّ في أعضادهم ، وأوهن كيدهم ، واضربهم بسيفك القاطع ، وارمهم

بحجرك الدامغ ، وطمّهم بالبلاء طمّا ، وقمّهم بالعذاب قمّا ، وعذبهم عذابا نكرا ، وخذهم بالسنين والمثلات التي أهلكت بها أعداءك ، إنّك ذو نقمة من المجرمين .

اللّهم إنّ سنتك ضائعة ، وأحكامك معطلة ، وعترة نبيك في الأرض

هائمة ، اللّهم فأعن الحقّ وأهله ، واقمع الباطل وأهله ، ومنّ علينا بالنجاة ، واهدنا إلي الإيمان ، وعجّل فرجنا ، وانظمه بفرج أوليائك ، واجعلهم لنا ودّا ، واجعلنا لهم وفدا(1) .

والصلاة والسلام علي أصحاب الحسين عليه السلام الذين كشف لهم سيد الشهداء عليه السلام « الغطاء حتي رأوا منازلهم من الجنة ، فكان الرجل منهم يقدم علي القتل ليبادر إلي حوراء يعانقها ، وإلي مكانه من الجنة(2) » ، ووعدهم ربّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة علي أعدائهم فقال : « ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ » يخاطب بذلك أصحاب الحسين(3) عليه السلام .

وصلّي اللّه وسلّم علي صاحب ميمنة الحسين عليه السلام ، المحامي عن حرم

سيد المرسلين صلي الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام ، والفادي نفسه للمعصوم وهو قائم للصلاة بين يدي ربّ العالمين ، الذي خاطبه الحجة المنتقم - عجّل اللّه تعالي فرجه - قائلاً :

1- مصباح المتهجد : 784 ، بحار الأنوار : 98/305 باب 24 .
2- علل الشرائع : 1/229 باب 163 ح 1 ، بحار الأنوار : 44/297 باب 35 ح 1 .
3- تأويل الآيات الظاهرة : 272 .

السلام علي زهير بن القين البجلي ، القائل للحسين وقد اذن له في

الانصراف : لا واللّه لا يكون ذلك أبداً ، أترك ابن رسول اللّه أسيراً في يد الأعداء وانجو ، لا أراني اللّه ذلك اليوم(1) .

أمّا بعد :

فإنّ الحرب التي حمل رايتها الأمويون ومن سلّطلهم علي رقاب المسلمين لم تنته بعد منذ أن بادروا الي مواجهة خاتم النبيين صلي الله عليه و آله ، والي يوم الناس هذا ، وستبقي حتي ظهور المنقذ الأعظم ، والطالب بدم الحسين عليه السلام والآخذ بذحول الأنبياء والأوصياء والشهداء .

ولم تكن الحرب المفتوحة هذه تنحصر في صورة أو مشهد أو موقف معين ، كما أ نّها لم تنحصر في زمن من الأزمان منذ أن سقط هابيل مضرجا بدمه .

وقد إمتاز الأمويون عبر التاريخ بالإعلام القوي ، والحرب النفسية ، والتسلل الماكر الي قلوب الناس وأفكارهم ، وتغذيتهم بالسموم الفتّاكة ذات المنظر الخداع ، وقد اشتهر كلامهم علي الألسن : « للّه جنود من عسل » .

وكانت حربهم الإعلامية مع سيد الشهداء عليه السلام قوية ماكرة تتسم

بالخبث والشيطنة بحيث صوّرت سبط النبي صلي الله عليه و آله وريحانة الرسول ،

1- المزار لمحمد بن المشهدي : 493 ، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس : 3/77 ، بحار الأنوار : 45/71 ، و98/272 ، العوالم ، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني : 338 .

وسـيد شـباب أهل الجنة للمغرر بهم من السذج في صورة الخارجي ، وأبدت سـكان سـرادق العزّ من مخدرات الرسالة وعقائل الوحي في مشهد السبايا ..

فإذا كان هذا دأبهم مع المعصومين الأبرار الذي شهد لهم الكتاب

والسنة بالطهارة والعصمة والقدس ، فما ظنّك بأنصارهم والمدافعين عنهم والمحامين عن حريمهم ..

وربما إضطر العدو – أحيانا – الي ما يخاله نيلاً من أصحاب الأئمة

عمومـا ، وأنصـار سـيد الشـهداء عليه السـلام خصوصـا ، لأ نّه لا يجـد في الإمام مغمزا ولا مهمزا ، فيحاول الإقتراب من حريمه من خلال التعرض لأقرب الشخصيات منه ، والسعي في تهديم الأركان التي بنيت عليه أسس معسكرات الهدي .

فكان – فيما نحسب – زهير بن القين ، وهو أحـد أركان معسـكر سـيد الشـهداء عليه السـلام ، لأ نّه صاحب ميمنته ، والمقرّب عنده ، هدفا مهما

للأعداء .

ولذلك نصـبوه غرضا ، واتهموه بأقذر تهمة ، وسبّوه أقبح سبّة ، ورموه بفرية فادحة تقشعر لها القلوب والأبدان ، فقالوا عنه « عثماني » ، وأ نّه « كان يكره لقاء سيد شباب أهل الجنة عليه السلام » .

وتناقل الناس ما قاله عدو شرس من أعدائه وهو « عزرة بن قيس »

الذي كان علي خيل ابن سعد – لعنهما اللّه – .

ولم نجد – علي حدّ علمنا – من التفت الي ذلك سوي إشارة سريعة وخاطفة للأستاذ محمد نعمة السماوي حيث قال : « وكان زهير ذا ميول عثمانية علي حدّ تعبير أحد جنود ابن سعد »(1) .

وناقش الشيخ محمد جواد الطبسي في المجلد الثالث من كتاب « مع

الركب الحسيني » هاتين التهمتين مناقشة مقتضبة سريعة غير أ نّها مركزة ودقيقة ، فجزاهما اللّه خير الجزاء ، وبيّض وجهيهما يوم الحشر حينما يواجهان زهير بن القين وسيد الشهداء عليه السلام .

* * *

كان الألم يعتصر قلبي كلّما قرأت في التاريخ أو سمعت من الخطباء

وخدّام سيد الشهداء عليه السلام ما يتناقلونه عن زهير بن القين ، بيد أنّي لم أسمح

– في يوم من الأيام – لنفسي أن ألومهم علي ذلك ، فإنّهم ينقلون ما سطّره يراع العلماء والفطاحل والمؤرخين الكبار .

وأخيرا إستخرت اللّه وعزمت علي متابعة الموضوع واستكشافه ،

وسجّلت ما فتح اللّه عليّ ، وله الحمد والمنّة ، ولسيد الشهداء عليه السلام الشكر والفضل .

فإن كان ما ذكرناه في هذا الكتاب كافيا وافيا مقنعا فالحمد للّه أولاً وآخرا ، وإلاّ فالأمل كبير في القراء الكرام أن يتجنّبوا ذكر زهير بالعثمانية ، فإنّه ذنب لا يحبّ المؤمن أن يذكر به .

1- وتنفس صبح الحسين عليه السلام : 585 .

ولا يقاس بالحر الرياحي فإنّه لم يذكر بهذه التهمة في التاريخ ،

حيث أ نّه كان قد خرج لقطع الطريق علي الحسين عليه السلام وأصحابه وهو لا يري أ نّهم يبلغون بالحسين عليه السلام هذا المبلغ ، فلمّا رأي حياة سيد شباب أهل الجنة وصحبه وأهل بيته في خطر انحاز من النار الي الجنة ، فيما كان مبشرا بالجنة من قبل ، يوم سمع الهاتف يخاطبه من ورائه إبان خروجه من قصر بني مقاتل ، وكان يعرف للحسين عليه السلام وأمّه حرمة صدّته عن ذكر أمّه إلاّ بأفضل ما يقدر عليه من الذكر الحسن .

وما ضرّنا أن ندع ذكر زهير بالتعثمن وكراهة لقاء محبوب خاتم

الأنبياء ، فلو لم يكن هو كذلك حقّا فلا نخجل منه غدا يوم اللقاء ، وإن كان – وليس كذلك – فلا يسوغ لنا ذكر المؤمن بما يشينه ، فإنّ ذلك من الكبائر ، واللّه الساتر .

وفي الختام :

ما كان في ثنايا الكتاب من كلام صحيح نافع فيه الخير والصلاح ، فهو من أهل البيت عليهم السلام ، وما كان شططا أو خطأً فهو منّي وأستغفر اللّه لي وللمؤمنين ، والحمد للّه ربّ العالمين .

وأخيرا أتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور الحاج محمود البستاني

– حفظه اللّه ورعاه ورحم أمّه وأباه – فقد تفضّل عليّ بمراجعة الكتاب مشكورا مأجورا إن شاء اللّه .

اللّهم تقبّل منّا هـذا القليل ، واجعله نافعا لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ولا تفرّق بيننا وبين سـيد الشـهداء الحسـين عليه السـلام في الـدنيا والآخرة طرفـة عين أبدا ، واجعل وجه الحسـين عليه السـلام آخر وجه نراه في الدنيا وأول وجه نراه في القبر ويوم يقوم الناس لربّ العالمين ، وارحمني به وأولادي وأزواجي ووالديّ ومن ولدهما ومن ولدا والمؤمنين والمؤمنات ، وعجّل فرج وليّ أمرك الثائر لدم الحسين عليه السلام ، واجعلنا من جنده وأعوانه والآخذين بثأره . . آمين .

سيد علي جمال أشرف

»20/6/1429

ص: 18

اسمه ونسبه »

زهير بن القين بن قيس بن مالك بن دينار بن ثعلبة بن عمرو بن يشكر

بن علي بن مالك بن سعد بن بدر بن قيس الأنماري البجلي(1) .

وقد ورد في جميع المصادر باسم « زهير بن القين(2) » ، وأضافت بعضها

نسبته « الأنماري » ، وأكثرها « البجلي »(3) .

و« زهير » : من الزهر .

قال الطريحي في مجمع البحرين : « زهر » قوله تعالي : « وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلي ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا » بفتح الزاي وسكون الهاء ، أي زينتها وبهجتها .

والزهراء فاطمة بنت محمد صلي الله عليه و آله ، سمّيت بذلك لأ نّها إذا قامت في محرابها زهر نورها إلي السماء ، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض .

1- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للسماوي ، تحقيق علي جهاد الحساني : 175 ، نقلاً عن رجال الطوسي : 101 .

2- أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين : 88 .

3- أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين: 88 ، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: 7/71 .

وروي أنّها سمّيت الزهراء ، لأنّ اللّه خلقها من نور عظمته .ومن صفاته : أزهر اللون ، أي نيّر اللون ، من الزهرة ، وهي البياض النير ، وهو أحسن الألوان .

ومنه رجل أزهر : أي أبيض مشرق الوجه ، والمرأة زهراء .

وزهر الشيء يزهر – بفتحتين – : صفا لونه وأضاء .

قال في المصباح : وقد يستعمل في اللّون الأبيض خاصة .

وزهر الرجل : ابيض وجهه .

وزهر السراج والقمر والوجه – كمنع – زهورا : تلألأ .

واليوم الأزهر : يوم الجمعة .

وفي الخبر سورة البقرة وآل عمران الزهراوان ، أي المنيران .

وفي لسان العرب : زهر : الزَّهْرَةُ : نَوْرُ كلّ نبات ، والجمع زَهْرٌ ، وخصّ بعضهم به الأَبيض .

قال : الأَزْهَرُ من الرجال الأَبيض العتيقُ البياضِ النَّيِّرُ الحَسَنُ ، وهو أَحسن البياض كأَنَّ له بَرِيقاً ونُوراً ، يُزْهِرُ كما يُزْهِرُ النجم والسراج .

قال ابن سيده : والزَّاهِرُ : المشرق من أَلوان الرجال .

وتصغير الزَّهْرِ زُهَيْرٌ ، وبه سمّي الشاعر زُهَيْراً .

والزَّاهِرُ والأَزْهَرُ : الحسن الأَبيض من الرجال ، وقيل : هو الأَبيض فيه حمرة . ورجل أَزْهَرُ أَي أَبيض مُشْرِقُ الوجه .

والأَزهر : الأَبيض المستنير . والزُّهْرَةُ : البياض النَّيِّرُ ، وهو أَحسن الأَلوان .

والزَّشهُورُ : تَلأْلؤ السراج الزاهر .وزَهَرَ السراجُ يَزْهَرُ زُهُوراً وازْدَهَرَ : تلأْلأ ، وكذلك الوجه والقمر والنجم .

والأَزْهَرَان : الشمسُ والقمرُ لنورهما .

ودُرَّةٌ زَهْرَاءُ : بيضاء صافية .

وقد سمّت – العرب – زاهراً وأَزْهَرَ وزُهَيْراً .

والقين : بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت والنون ، وهو في الأصل اسم للعبد وللحداد ، يستعمل علماً كثيراً(1) .«

1- تنقيح المقال للمامقاني : 1/452 .

لقبه ونسبته

البجلي :

زهير بن القين البجلي ، بجلي : بجيلة ، هم بنو أنمار بن أراش بن كهلان ، من القحطانية ، من اليمن ، عرب الجنوب(1) .

الأنماري :

وزهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي(2) قال في الأعيان : الأنماري يوصف به زهير بن القين(3) .

والأنماري : نسبة الي أنمار بن أراش من كهلان من القحطانية

، لا أنمار بن نزار بقرينة البجلي ، فإنّه نسبة الي بجيلة ، وهم بطن من أنمار بن أراش ، وبجيلة أمّهم ، وقال في العبر : هم بنو بجيلة بن أنمار بن أراش(4) .

1- أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين : 88 رقم 22 .

2- أعيان الشيعة للسيد الأمين : 7/71 ، إبصار العين للسماوي : 161 .

3- أعيان الشيعة : 3/ 499 .

4- تنقيح المقال للمامقاني : 1/452 رقم 4282 .

سنّه

يبـدو أنّ زهير بن القين كان كبير السنّ في كربلاء(1) ، ويشـهد لـذلك اشتراكه في فتح « بلنجر » التي كانت أيام ملك عثمان بن عفان علي أشهر الأقوال وأكثرها(2) قبل سنة « 25 » للهجرة(3) وقيل : إنّها كانت أيام ملك عمر بن الخطاب(4) .

ويشـهد له أيضاً ما رواه الشـيخ المظفر في بطل العلقمي عنه من حـديث زواج أمير المؤمنين عليه السـلام بأمّ البنين(5) عليهاالسلام ، لأنّ ولادة أبي الفضل العباس عليه السـلام كانت سنة « 26 » للهجرة ، قال الشـيخ المظفر : قال السيد الداودي في عمدة الطالب : قتل العباس عليه السلام وله « 34 » سنة ، وهذا

1- أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين : 88 رقم 22 .

2- شـرح الأخبار للقاضـي النعمان : 3/376 ، تاريـخ خليفـة بن خياط : 118 ، التاريـخ الكبير للبخـاري : 7/306 ، الجرح والتعـديل : 8/211 ، تاريخ دمشق : 21/465 ، الاصابة : 4/257 ، المعارف لابن قتيبة : 433 ، ذكر أخبار اصبهان : 2/359 وغيرها .

3- الثقات لابن حبان : 4/332 .

4- معجم البلدان للحموي : 1/305 ، تاريخ دمشق : 21/471 ، وغيرها .

5- بطل العلقمي للعلامة المظفر : 1/120 ، أسرار الشهادة للفاضل الدربندي : 218 ، وسيأتي ذكره مفصلاً إن شاء اللّه تعالي .

القول هو المشهور ، وهو الأصوب إن شاء اللّه ، فتكون ولادته سنة « 26 »من الهجرة(1) . . .

فإذا افترضنا أنّ عمره الشريف كان بين العشرين والثلاثين يوم شارك في فتح بلنجر - وهو أقلّ ما يمكن افتراضه - يكون عمره يوم استشهاده بين الخمسة والخمسين والخمسة والستين(2) علي أقلّ التقادير ، واللّه العالم .

1- بطل العلقمي للمظفر : 2/8 .

2- أمّا إذا قلنا بما ذهب اليه الطبري من « أنّ أمّ البنين عليهاالسلام والدة العباس عليه السلام كانت أول من تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة الزهراء عليهاالسلام » بطل العلقمي : 8/2 فيكون عمره الشريف أكبر ممّا افترضنا ، واللّه العالم .

مكانته وشخصيته

التزامه بالتقية

الظاهر أنّ زهير بن القين كان من الشيعة الملتزمين بتعاليم أهل البيت عليهم السلام تماماً ، وإنّ من أهم تعاليمهم التي يختبر بها مستوي إيمان الشيعي

هي التقية ، وكان زهير من المتمسكين بها تمسكاً شديداً ، وممّا يشهد لذلك :

أولاً : تشبيه الحسين عليه السلام له بمؤمن آل فرعون

تشبيه الإمام الحسين عليه السلام له بمؤمن آل فرعون ساعة وقف زهير يعظ القوم يوم العاشر من المحرم ، فقال له الحسين عليه السلام : « لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء ، وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ(1) » .

كما لعن قاتله لعن قاتل مؤمن آل فرعون في تأبينه له لمّا صرع ، فوقف عليه وقال عليه السلام : لا يبعدنّك اللّه يا زهير ، ولعن قاتلك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير .

1- تاريخ الطبري : 4/323 .

وإنّما كان مؤمن آل فرعون يمتدح بتقيته ، قال اللّه تعالي : « وَقالَ رَجُلٌ

مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ(1) » .

ثانياً : إتهام الأعداء له

لشدّة عمله بالتقية ظنّه عزرة بن قيس أنّه كان عثمانياً ، فقال له عزرة بن قيس : إنّك لتزكّي نفسك ما إستطعت ، فقال له زهير : يا عزرة ، إنّ اللّه قد زكّاها وهداها ، فاتق اللّه يا عزرة ، فإنّي لك من الناصحين ، أنشدك اللّه – يا عزرة – أن تكون ممّن يعين الضلال علي قتل النفوس الزكية .

قال : يا زهير ، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ! إنّما كنت عثمانياً !!!

قال : أفلست تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم(2) ؟!

ثالثاً : إنّه لم يكن مشهوراً

إنّ زهير كان معروفاً ، ولكنّه لم يكن مشهوراً ، حاله كحال أكثر

أصحاب الحسين عليه السلام ، بل أكثر أصحاب الأئمة عليهم السلام .

لم يكن زهير مجهولاً عند أركان جيش الضلال ، ورؤوس عسكر

ابن سعد – لعنه اللّه – ، وكان من رجال الكوفة وشخصياتها ، وكان زهير

1– غافر : 28 .

2– تاريخ الطبري : 4/315 .

رجلاً شريفاً في قومه ، شجاعاً ، له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن

مشهودة(1) ، وسيأتيك خبر اشتراكه في فتح بلنجر .

ويشهد لذلك تقديمه لوعظ القوم ، وإرساله لمحاورة الأعداء .

والرجل الذي يكون علي وزان زهير في الشرف والجلالة والشجاعة في مجتمع قوامه السيف وقوة الساعد ، ورباطة الجأش ، لابد أن يكون مشهوراً ذا سمعة وجاه وصيت ، بيد أ نّه كان متكتّماً متّقياً نومة ، ينتظر يومه الذي اختاره اللّه له للوقوف مع ريحانة المصطفي صلي الله عليه و آله ، وقرّة عين فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، ومهجة قلب علي المرتضي عليه السلام .

روي الكليني في الكافي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : طُوبَي لِعَبْدٍ نُوَمَةٍ ، عَرَفَهُ اللَّهُ ولَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَي ، ويَنَابِيعُ الْعِلْمِ ، يَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ مُظْلِمَةٍ ، لَيْسُوا بِالْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ ، ولا بِالْجُفَاةِ الْمُرَاءِينَ .

1- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للشيخ محمد السماوي : 161 .

وقَالَ : قُولُوا الْخَيْرَ تُعْرَفُوا بِهِ ، واعْمَلُوا الْخَيْرَ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، ولا تَكُونُوا عُجُلاً مَذَابِيعَ ، فَإِنَّ خِيَارَكُمُ الَّذِينَ إِذَا نُظِرَ إِلَيْهِمْ ذُكِرَ اللّهُ ، وشِرَارُكُمُ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأحِبَّةِ ، الْمُبْتَغُونَ لِلْبُرَآءِ الْمَعَايِبَ .

ص: 28

دلالات تشبيهه بمؤمن آل فرعون

اشارة

المعصوم لا ينطق عن الهوي، فإذا تكلّم بكلام لابد من التعامل مع-ه ب-دقّ-ة وجدّ ، ومحاولة استكشاف مراده علي كلّ صعيد من خلال الدلالات المباشرة أو غير المباشرة التي تفيدها المواقف والظروف المؤثرة في فهم كلام المعصوم .

وفي تشبيه الإمـام الحسـين عليه السـلام له بمؤمن آل فرعون دلالات كثيرة ، يمكن اسـتكشافها من خلال مراجعـة ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السـلام من توصـيف مؤمن آل فرعون ، وبيان خصوصياته وسماته ، وسلوكه وأخلاقياته ، فإذا عرفنا ما قالوه في المشبّه به طبقناه علي المشبّه ، وعرفنا الكثير من خصوصيات زهير بن القين(1) .

فمن تلك الدلالات :

أنّه مؤمن

لقد شهد له الحسين عليه السلام أ نّه رجل مؤمن لقوله تعالي : « وَقالَ رَجُلٌ

مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ » .

1- وذلك أ نّنا نفهم من تشبيه المعصوم عليه السلام تشبيها للموقف ككلّ لا لمجرد الوعظ وأثره في القوم ، واللّه العالم .

والمؤمن في أدب أهل البيت عليهم السلام هو الشيعي المتّبع لهم ، المعتقد بإمامتهم(1) ، ولا تطلق هذه الكلمة في روايات أهل البيت عليهم السلام علي العثماني أبداً .

صفات المؤمن

وللمؤمن في أدب أهل البيت عليهم السلام تعريف واضح ، وصفات خاصة تميّزه عن غيره من بني البشر .

روي الكليني رحمه الله في الكافي في باب المؤمن وصفاته وعلاماته عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : قَامَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ « هَمَّامٌ » وَكَانَ عَابِداً نَاسِكاً مُجْتَهِداً إِلَي أَمِيرِ الْمُومِنِين عليه السلام وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُومِنِينَ ،صِفْ لَنَا صِفَةَ الْمُومِنِ كَأَنَّنَا نَنْظُرُ إِلَيْهِ ؟

فَقَالَ : يَا هَمَّامُ ، الْمُومِنُ هُوَ : الْكَيِّسُ ، الْفَطِنُ ، بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً ، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْساً ، زَاجِرٌ عَنْ كُلِّ فَانٍ ، حَاضٌّ عَلَي كُلِّ حَسَنٍ ، لا حَقُودٌ ، وَلا حَسُودٌ ، وَلا وَثَّابٌ ، وَلا سَبَّابٌ ، وَلا عَيَّابٌ ، وَلا مُغْتَابٌ ، يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَشْنَأُ السُّمْعَةَ ، طَوِيلُ الْغَمِّ ، بَعِيدُ الْهَمِّ ، كَثِيرُ الصَّمْتِ ، وَقُورٌ ، ذَكُورٌ ، صَبُورٌ ، شَكُورٌ ، مَغْمُومٌ بِفِكْرِهِ ، مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ ، رَصِينُ الْوَفَاءِ ، قَلِيلُ الأَذَي ، لا مُتَأَفِّكٌ وَلا مُتَهَتِّكٌ ، إِنْ ضَحِكَ لَمْ يَخْرَقْ ، وَإِنْ غَضِبَ لَمْ يَنْزَقْ ، ضِحْكُهُ تَبَسُّمٌ ، وَاسْتِفْهَامُهُ تَعَلُّمٌ ، وَمُرَاجَعَتُهُ تَفَهُّمٌ ، كَثِيرٌ عِلْمُهُ ، عَظِيمٌ حِلْمُهُ ، كَثِيرُ الرَّحْمَةِ ،

1- انظر ما ورد في التفريق بين الإسلام والإيمان في الكافي الجزء الثاني من الأصول .

لا يَبْخَلُ ، وَلا يَعْجَلُ ، وَلا يَضْجَرُ ، وَلا يَبْطَرُ ، وَلا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ ، وَلا يَجُورُ فِي عِلْمِهِ ، نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ، وَمُكَادَحَتُهُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ ، لا جَشِعٌ ، وَلا هَلِعٌ ، وَلا عَنِفٌ ، وَلا صَلِفٌ ، وَلا مُتَكَلِّفٌ ، وَلا مُتَعَمِّقٌ ، جَمِيلُ الْمُنَازَعَةِ ، كَرِيمُ الْمُرَاجَعَةِ ، عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ ، رَفِيقٌ إِنْ طَلَبَ ، لا يَتَهَوَّرُ ، وَلا يَتَهَتَّكُ ، وَلا يَتَجَبَّرُ ، خَالِصُ الْوُدِّ ، وَثِيقُ الْعَهْدِ ، وَفِيُّ الْعَقْدِ ، شَفِيقٌ ، وَصُولٌ ، حَلِيمٌ ، خَمُولٌ ، قَلِيلُ الْفُضُولِ ، رَاضٍ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مُخَالِفٌ لِهَوَاهُ ، لا يَغْلُظُ عَلَي مَنْ دُونَهُ ، وَلا يَخُوضُ فِيما لا يَعْنِيهِ ، نَاصِرٌ لِلدِّينِ ، مُحَامٍ عَنِ الْمُومِنِينَ ، كَهْفٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، لا يَخْرِقُ الثَّنَاءُ سَمْعَهُ ، وَلا يَنْكِي الطَّمَعُ قَلْبَهُ ، وَلا يَصْرِفُ اللَّعِبُ حُكْمَهُ ، وَلا يُطْلِعُ الْجَاهِلَ عِلْمَهُ ، قَوَّالٌ عَمَّالٌ ، عَالِمٌ حَازِمٌ ، لا بِفَحَّاشٍ وَلا بِطَيَّاشٍ ، وَصُولٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ، بَذُولٌ فِي غَيْرِ سَرَفٍ ، لا بِخَتَّالٍ ، وَلا بِغَدَّارٍ ، وَلا يَقْتَفِي أَثَراً ، وَلا يَحِيفُ بَشَراً ، رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ ، سَاعٍ فِي الأَرْضِ ، عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ ، غَوْثٌ لِلْمَلْهُوفِ ، لا يَهْتِكُ سِتْراً ، وَلا يَكْشِفُ سِرّاً ، كَثِيرُ الْبَلْوَي ، قَلِيلُ الشَّكْوَي ، إِنْ رَأَي خَيْراً ذَكَرَهُ ، وَإِنْ عَايَنَ شَرّاً سَتَرَهُ ، يَسْتُرُ الْعَيْبَ ، وَيَحْفَظُ الْغَيْبَ ، وَيُقِيلُ الْعَثْرَةَ ، وَيَغْفِرُ الزَّلَّةَ لا يَطَّلِعُ عَلَي نُصْحٍ فَيَذَرَهُ وَلا يَدَعُ جِنْحَ حَيْفٍ فَيُصْلِحَهُ ، أَمِينٌ ، رَصِينٌ ، تَقِيٌّ ، نَقِيٌّ ، زَكِيٌّ ، رَضِيٌّ ، يَقْبَلُ الْعُذْرَ ، وَيُجْمِلُ الذِّكْرَ ، وَيُحْسِنُ بِالنَّاسِ الظَّنَّ ، وَيَتَّهِمُ عَلَي الْعَيْبِ نَفْسَهُ ، يُحِبُّ فِي اللَّهِ بِفِقْهٍ وَعِلْمٍ ، وَيَقْطَعُ فِي اللَّهِ بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ ، لا يَخْرَقُ بِهِ فَرَحٌ ، وَلا يَطِيشُ بِهِ مَرَحٌ ، مُذَكِّرٌ لِلْعَالِمِ ، مُعَلِّمٌ لِلْجَاهِلِ ، لا يُتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةٌ ، وَلا يُخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ ، كُلُّ سَعْيٍ أَخْلَصُ عِنْدَهُ

مِنْ سَعْيِهِ ، وَكُلَّ نَفْسٍ أَصْلَحُ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ ، عَالِمٌ بِعَيْبِهِ ، شَاغِلٌ بِغَمِّهِ ، لا يَثِقُ بِغَيْرِ رَبِّهِ ، غَرِيبٌ ، وَحِيدٌ ، جَرِيدٌ ، حَزِينٌ ، يُحِبُّ فِي اللّٰهِ ، وَيُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لِيَتَّبِعَ رِضَاهُ ، وَلا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ ، وَلا يُوَالِي فِي سَخَطِ رَبِّهِ مُجَالِسٌ لأَهْلِ الْفَقْرِ ، مُصَادِقٌ لأَهْلِ الصِّدْقِ ، مُوازِرٌ لأَهْلِ الْحَقِّ ، عَوْنٌ لِلْقَرِيبِ ، أَبٌ لِلْيَتِيمِ ، بَعْلٌ للأَرْمَلَةِ ، حَفِيٌّ بِأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ ، مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ ، هَشَّاشٌ بَشَّاشٌ ، لا بِعَبَّاسٍ وَلا بِجَسَّاسٍ ، صَلِيبٌ ، كَظَّامٌ ، بَسَّامٌ ، دَقِيقُ النَّظَرِ ، عَظِيمُ الْحَذَرِ ، لا يَجْهَلُ ، وَإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمُ ، لا يَبْخَلُ وَإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ ، عَقَلَ فَاسْتَحْيَا ، وَقَنِعَ فَاسْتَغْنَى ، حَيَاوهُ يَعْلُو شَهْوَتَهُ ، وَوُدُّهُ يَعْلُو حَسَدَهُ ، وَعَفْوُهُ يَعْلُو حِقْدَهُ ، لا يَنْطِقُ بِغَيْرِ صَوَابٍ ، وَلا يَلْبَسُ إِلاّ الاقْتِصَادِ ، مَشْيُهُ التَّوَاضُعُ ، خَاضِعٌ لِرَبِّهِ بِطَاعَتِهِ ، رَاضٍ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالاتِهِ ، نِيَّتُهُ خَالِصَةٌ ، أَعْمَالُهُ لَيْسَ فِيهَا غِشٌّ وَلا خَدِيعَةٌ ، نَظَرُهُ عِبْرَةٌ ، سَكُوتُهُ فِكْرَةٌ ، وَكَلامُهُ حِكْمَةٌ ، مُنَاصِحاً مُتَبَاذِلاً مُتَوَاخِياً ، نَاصِحٌ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ ، لا يَهْجُرُ أَخَاهُ وَلا يَغْتَابُهُ وَلا يَمْكُرُ بِهِ ، وَلا يَأْسَفُ عَلَي مَا فَاتَهُ ، وَلا يَحْزَنُ عَلَي مَا أَصَابَهُ ، وَلا يَرْجُو مَا لا يَجُوزُ لَهُ الرَّجَاءُ ، وَلا يَفْشَلُ فِي الشِّدَّةِ ، وَلا يَبْطَرُ فِي الرَّخَاءِ ، يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ ، وَالْعَقْلَ بِالصَّبْرِ ، تَرَاهُ بَعِيداً كَسَلُهُ ، دَائِماً نَشَاطُهُ ، قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، مُتَوَقِّعاً لأَجَلِهِ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، ذَاكِراً رَبَّهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْفِيّاً جَهْلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَزِيناً لِذَنْبِهِ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ ، كَظُوماً غَيْظَهُ ، صَافِياً خُلُقُهُ ، آمِناً مِنْهُ جَارُهُ ، ضَعِيفاً كِبْرُهُ ، قَانِعاً بِالَّذِي قُدِّرَ لَهُ ، مَتِيناً صَبْرُهُ ، مُحْكَماً أَمْرُهُ ، كَثِيراً ذِكْرُهُ ، يُخَالِطُ النَّاسَ لِيَعْلَمَ ،

وَيَصْمُتُ لِيَسْلَمَ ، وَيَسْأَلُ لِيَفْهَمَ ، وَيَتَّجِرُ لِيَغْنَمَ ، لا يُنْصِتُ لِلْخَيرِ لِيَفْجُرَ بِهِ ، وَلا يَتَكَلَّمُ لِيَتَجَبَّرَ بِهِ عَلَي مَنْ سِوَاهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ فَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ ، إِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّي يَكُونَ اللَّهُ الَّذِي يَنْتَصِرُ لَهُ ، بُعْدُهُ مِمَّنْ تَبَاعَدَ مِنْهُ بُغْضٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ تَكَبُّراً وَلا عَظَمَةً ، وَلا دُنُوُّهُ خَدِيعَةً وَلا خِلابَةً بَلْ يَقْتَدِي بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ ، فَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ .

وعَنِ الدِّلْهَاثِ مَوْلَي الرِّضَا عليه السلام قَالَ : سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ : لا يَكُونُ الْمُومِنُ مُومِناً حَتَّي يَكُونَ فِيهِ ثَلاثُ خِصَالٍ : سُنَّةٌ مِنْ رَبِّهِ ، وسُنَّةٌ مِنْ نَبِيِّهِ ، وسُنَّةٌ مِنْ وَلِيِّهِ .

فَأَمَّا السُّنَّةُ مِنْ رَبِّهِ : فَكِتْمانُ سِرِّهِ ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - : « عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلي غَيْبِهِ أَحَداً إِلا مَنِ ارْتَضي مِنْ رَسُولٍ » .

وأَمَّا السُّنَّةُ مِنْ نَبِيِّهِ : فَمُدَارَاةُ النَّاسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - أَمَرَ نَبِيَّهُ صلي الله عليه و آله بِمُدَارَاةِ النَّاسِ فَقَالَ : « خُذِ الْعَفْوَ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ » .

وأَمَّا السُّنَّةُ مِنْ وَلِيِّهِ : فَالصَّبْرُ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ(1) .

1- الكافي : 2/227 . وفي الكافي أيضاً عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : يَنْبَغِي لِلْمُومِنِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَمَانُ خِصَالٍ : وَقُورٌ عِنْدَ الْهَزَاهِزِ ، صَبُورٌ عِنْدَ الْبَلاءِ ، شَكُورٌ عِنْدَ الرَّخَاءِ ، قَانِعٌ بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ ، لا يَظْلِمُ الأَعْدَاءَ ، ولا يَتَحَامَلُ لِلأَصْدِقَاءِ ، بَدَنُهُ مِنْهُ فِي تَعَبٍ ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، إِنَّ الْحِلْمَ خَلِيلُ الْمُومِنِ ، والْحِلْمَ وَزِيرُهُ ، والصَّبْرَ أَمِيرُ جُنُودِهِ ، والرِّفْقَ أَخُوهُ ، واللِّينَ والِدُهُ . وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهماالسلام قَالَ : الْمُومِنُ يَصْمُتُ لِيَسْلَمَ ، ويَنْطِقُ لِيَغْنَمَ ، لا يُحَدِّثُ أَمَانَتَهُ الأَصْدِقَاءَ ، ولا يَكْتُمُ شَهَادَتَهُ مِنَ الْبُعَدَاءِ ، ولا يَعْمَلُ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ رِيَاءً ، ولا يَتْرُكُهُ حَيَاءً ، إِنْ زُكِّيَ خَافَ مِمَّا يَقُولُونَ ، ويَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ ، لا يَغُرُّهُ قَوْلُ مَنْ جَهِلَهُ ، ويَخَافُ إِحْصَاءَ مَا عَمِلَهُ . وعن أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : الْمُومِنُ لَهُ قُوَّةٌ فِي دِينٍ ، وحَزْمٌ فِي لِينٍ ، وإِيمَانٌ فِي يَقِينٍ ، وحِرْصٌ فِي فِقْهٍ ، ونَشَاطٌ فِي هُدًي ، وبِرٌّ فِي اسْتِقَامَةٍ ، وعِلْمٌ فِي حِلْمٍ ، وكَيْسٌ فِي رِفْقٍ ، وسَخَاءٌ فِي حَقٍّ ، وقَصْدٌ فِي غِنًي ، وتَجَمُّلٌ فِي فَاقَةٍ ، وعَفْوٌ فِي قُدْرَةٍ ، وطَاعَةٌ لِلَّهِ فِي نَصِيحَةٍ ، وانْتِهَاءٌ فِي شَهْوَةٍ ، ووَرَعٌ فِي رَغْبَةٍ ، وحِرْصٌ فِي جِهَادٍ ، وصَلاةٌ فِي شُغُلٍ ، وصَبْرٌ فِي شِدَّةٍ ، وفِي الْهَزَاهِزِ وَقُورٌ ، وفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ ، وفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ ، ولا يَغْتَابُ ، ولا يَتَكَبَّرُ ، ولا يَقْطَعُ الرَّحِمَ ، ولَيْسَ بِوَاهِنٍ ، ولا فَظٍّ ولا غَلِيظٍ ، ولا يَسْتَبِقُهُ بَصَرُهُ ، ولا يَفْضَحُهُ بَطْنُهُ ، ولا يَغْلِبُهُ فَرْجُهُ ، ولا يَحْسُدُ النَّاسَ ، يُعَيَّرُ ولا يُعَيِّرُ ، ولا يُسْرِفُ ، يَنْصُرُ الْمَظْلُومَ ، ويَرْحَمُ الْمِسْكِينَ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، لا يَرْغَبُ فِي عِزِّ الدُّنْيَا ، ولا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا ، لِلنَّاسِ هَمٌّ قَدْ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ ، ولَهُ هَمٌّ قَدْ شَغَلَهُ ، لا يُرَي فِي حُكْمِهِ نَقْصٌ ، ولا فِي رَأْيِهِ وَهْنٌ ، ولا فِي دِينِهِ ضَيَاعٌ ، يُرْشِدُ مَنِ اسْتَشَارَهُ ، ويُسَاعِدُ مَنْ سَاعَدَهُ ، ويَكِيعُ عَنِ الْخَنَا والْجَهْلِ . وفيه أيضاً عَنْ أَحَدِهِمَا عليهماالسلام قَالَ : مَرَّ أَمِيرُ الْمُومِنِينَ عليه السلام بِمَجْلِسٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَإِذَا هُوَ بِقَوْمٍ بِيضِ ثِيَابُهُمْ ، صَافِيَةٍ أَلْوَانُهُمْ ، كَثِيرٍ ضِحْكُهُمْ ، يُشِيرُونَ بِأَصَابِعِهِمْ إِلَي مَنْ يَمُرُّ بِهِمْ . ثُمَّ مَرَّ بِمَجْلِسٍ لِلأَوْسِ والْخَزْرَجِ ، فَإِذَا قَوْمٌ بُلِيَتْ مِنْهُمُ الأَبْدَانُ ، ودَقَّتْ مِنْهُمُ الرِّقَابُ ، واصْفَرَّتْ مِنْهُمُ الأَلْوَانُ ، وقَدْ تَوَاضَعُوا بِالْكَلامِ . فَتَعَجَّبَ عَلِي عليه السلام مِنْ ذَلِكَ ، ودَخَلَ عَلَي رَسُولِ اللَّهِ صلي الله عليه و آله فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي ، إِنِّي مَرَرْتُ بِمَجْلِسٍ لآلِ فُلانٍ ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ ، ومَرَرْتُ بِمَجْلِسٍ لِلأَوْسِ والْخَزْرَجِ فَوَصَفَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : وجَمِيعٌ مُومِنُونَ ؟! فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِصِفَةِ الْمُومِنِ ؟ فَنَكَسَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : عِشْرُونَ خَصْلَةً فِي الْمُومِنِ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ لَمْ يَكْمُلْ إِيمَانُهُ : إِنَّ مِنْ أَخْلاقِ الْمُومِنِينَ - يَا عَلِيُّ - : الْحَاضِرُونَ الصَّلاةَ ، والْمُسَارِعُونَ إِلَي الزَّكَاةِ ، والْمُطْعِمُونَ الْمِسْكِينَ ، الْمَاسِحُونَ رَأْسَ الْيَتِيمِ ، الْمُطَهِّرُونَ أَطْمَارَهُمْ ، الْمُتَّزِرُونَ عَلَي أَوْسَاطِهِمْ ، الَّذِينَ إِنْ حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا ، وإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا ، وإِذَا ائْتُمِنُوا لَمْ يَخُونُوا ، وإِذَا تَكَلَّمُوا صَدَقُوا ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ ، أُسْدٌ بِالنَّهَارِ ،

صَائِمُونَ النَّهَارَ ، قَائِمُونَ اللَّيْلَ ، لا يُوذُونَ جَاراً ، ولا يَتَأَذَّي بِهِمْ جَارٌ ، الَّذِينَ مَشْيُهُمْ عَلَي الأَرْضِ هَوْنٌ ، وخُطَاهُمْ إِلَي بُيُوتِ الأَرَامِلِ وعَلَي أَثَرِ الْجَنَائِزِ ، جَعَلَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ . وعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُومِنٌ . وعَنْ عَمْرِو بْنِ جُمَيْعٍ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : شِيعَتُنَا هُمُ الشَّاحِبُونَ ، الذَّابِلُونَ ، النَّاحِلُونَ ، الَّذِينَ إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ اسْتَقْبَلُوهُ بِحُزْنٍ . وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : شِيعَتُنَا أَهْلُ الْهُدَي ، وأَهْلُ التُّقَي ، وأَهْلُ الْخَيْرِ ، وأَهْلُ الإِيمَانِ ، وأَهْلُ الْفَتْحِ والظَّفَرِ . وعَنْ مُفَضَّلٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : إِيَّاكَ والسَّفِلَةَ ، فَإِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وفَرْجُهُ ، واشْتَدَّ جِهَادُهُ ، وعَمِلَ لِخَالِقِهِ ، ورَجَا ثَوَابَهُ ، وخَافَ عِقَابَهُ ، فَإِذَا رَأَيْتَ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ شِيعَةُ جَعْفَرٍ . وعَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : إِنَّ شِيعَةَ عَلِيٍّ كَانُوا خُمُصَ الْبُطُونِ ، ذُبُلَ الشِّفَاهِ ، أَهْلَ رَأْفَةٍ وعِلْمٍ وحِلْمٍ ، يُعْرَفُونَ بِالرَّهْبَانِيَّةِ ، فَأَعِينُوا عَلَي مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِالْوَرَعِ والاجْتِهَادِ . وعَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : إِنَّمَا الْمُومِنُ الَّذِي إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ مِنْ حَقٍّ ، وإِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وإِذَا قَدَرَ لَمْ يَأْخُذْ أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ . وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : يَا سُلَيْمَانُ ، أَتَدْرِي مَنِ الْمُسْلِمُ ؟ قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَنْتَ أَعْلَمُ . قَالَ : الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ . ثُمَّ قَالَ : وتَدْرِي مَنِ الْمُومِنُ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَنْتَ أَعْلَمُ . قَالَ : إِنَّ الْمُومِنَ مَنِ ائْتَمَنَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَي أَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ ، والْمُسْلِمُ حَرَامٌ عَلَي الْمُسْلِمِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً تُعَنِّتُهُ . وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : إِنَّمَا الْمُومِنُ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي إِثْمٍ ولا بَاطِلٍ ، وإِذَا سَخِطَ لَمْ يُخْرِجْهُ سَخَطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ ، والَّذِي إِذَا قَدَرَ لَمْ تُخْرِجْهُ قُدْرَتُهُ إِلَي التَّعَدِّي إِلَي مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ . وعَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ رَفَعَهُ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْمُومِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ إِذَا قِيدَ انْقَادَ وإِنْ أُنِيخَ عَلَي صَخْرَةٍ اسْتَنَاخَ . وعَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : ثَلاثَةٌ مِنْ عَلامَاتِ الْمُومِنِ : الْعِلْمُ بِاللَّهِ ، ومَنْ يُحِبُّ ، ومَنْ يَكْرَهُ . وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : الْمُومِنُ كَمِثْلِ شَجَرَةٍ لا يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا فِي شِتَاءٍ ولا صَيْفٍ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ومَا هِيَ ؟ قَالَ : النَّخْلَةُ . وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : الْمُومِنُ حَلِيمٌ لا يَجْهَلُ ، وإِنْ جُهِلَ عَلَيْهِ يَحْلُمُ ، ولا يَظْلِمُ وإِنْ ظُلِمَ غَفَرَ ، ولا يَبْخَلُ وإِنْ بُخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ . وعَنْ آدَمَ أَبِي الْحُسَيْنِ اللُّولُوِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : الْمُومِنُ مَنْ طَابَ مَكْسَبُهُ ، وحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وصَحَّتْ سَرِيرَتُهُ ، وأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ كَلامِهِ ، وكَفَي النَّاسَ شَرَّهُ ، وأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِالْمُومِنِ مَنِ ائْتَمَنَهُ الْمُومِنُونَ عَلَي أَنْفُسِهِمْ وأَمْوَالِهِمْ ، أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِالْمُسْلِمِ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ويَدِهِ ، والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ وتَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، والْمُومِنُ حَرَامٌ عَلَي الْمُومِنِ أَنْ يَظْلِمَهُ أَوْ يَخْذُلَهُ أَوْ يَغْتَابَهُ أَوْ يَدْفَعَهُ دَفْعَةً . وعَنْ جَابِرٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : إِنَّمَا شِيعَةُ عَلِيٍّ الْحُلَمَاءُ ، الْعُلَمَاءُ ، الذُّبُلُ الشِّفَاهِ ، تُعْرَفُ الرَّهْبَانِيَّةُ عَلَي وُجُوهِهِمْ . وعَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : صَلَّي أَمِيرُ الْمُومِنِينَ عليه السلام بِالنَّاسِ الصُّبْحَ بِالْعِرَاقِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ وَعَظَهُمْ ، فَبَكَي وأَبْكَاهُمْ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا واللَّهِ لَقَدْ عَهِدْتُ أَقْوَاماً عَلَي عَهْدِ خَلِيلِي رَسُولِ اللَّهِ صلي الله عليه و آله وإِنَّهُمْ لَيُصْبِحُونَ ويُمْسُونَ شُعْثاً غُبْراً خُمُصاً ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ كَرُكَبِ الْمِعْزَي ، يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِيَاماً ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وجِبَاهِهِمْ ، يُنَاجُونَ رَبَّهُمْ ، ويَسْأَلُونَهُ فَكَاكَ رِقَابِهِمْ مِنَ النَّارِ ، واللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ مَعَ هَذَا وهُمْ خَائِفُونَ مُشْفِقُونَ . وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهماالسلام قَالَ : صَلَّي أَمِيرُ الْمُومِنِينَ عليه السلام الْفَجْرَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ فِي مَوْضِعِهِ حَتَّي صَارَتِ الشَّمْسُ عَلَي قِيدِ رُمْحٍ ، وأَقْبَلَ عَلَي النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : واللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وقِيَاماً ، يُخَالِفُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ ورُكَبِهِمْ ، كَأَنَّ زَفِيرَ النَّارِ فِي آذَانِهِمْ ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عِنْدَهُمْ مَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ ، كَأَنَّمَا الْقَوْمُ بَاتُوا غَافِلِينَ ، قَالَ : ثُمَّ قَامَ ، فَمَا رُئِيَ ضَاحِكاً حَتَّي قُبِضَ عليه السلام . وعَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَصْحَابِي فَانْظُرْ إِلَي مَنِ اشْتَدَّ وَرَعُهُ ، وخَافَ خَالِقَهُ ، ورَجَا ثَوَابَهُ ، وإِذَا رَأَيْتَ هَولاءِ فَهَولاءِ أَصْحَابِي . وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُومِنِينَ عليه السلام : شِيعَتُنَا الْمُتَبَاذِلُونَ فِي وَلايَتِنَا الْمُتَحَابُّونَ فِي مَوَدَّتِنَا الْمُتَزَاوِرُونَ فِي إِحْيَاءِ أَمْرِنَا ، الَّذِينَ إِنْ غَضِبُوا لَمْ يَظْلِمُوا ، وإِنْ رَضُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، بَرَكَةٌ عَلَي مَنْ جَاوَرُوا ، سِلْمٌ لِمَنْ خَالَطُوا . وعَنْ عِيسَي النَّهْرِيرِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وعَظَّمَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الْكَلامِ ، وبَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ ، وعَفَّا نَفْسَهُ بِالصِّيَامِ والْقِيَامِ . قَالُوا : بِآبَائِنَا وأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَولاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سَكَتُوا فَكَانَ سُكُوتُهُمْ ذِكْراً ، ونَظَرُوا

فَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً ، ونَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً ، ومَشَوْا فَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكَةً ، لَوْلا الآجَالُ الَّتِي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ خَوْفاً مِنَ الْعَذَابِ وشَوْقاً إِلَي الثَّوَابِ . وخَطَبَ النَّاسَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِي عليهماالسلام فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَخٍ لِي كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي ، وكَانَ رَأْسُ مَا عَظُمَ بِهِ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ ، ولا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ، كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ ، فَلا يَسْتَخِفُّ لَهُ عَقْلَهُ ولا رَأْيَهُ ، كَانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ ، فَلا يَمُدُّ يَدَهُ إِلا عَلَي ثِقَةٍ لِمَنْفَعَةٍ ، كَانَ لا يَتَشَهَّي ، ولا يَتَسَخَّطُ ، ولا يَتَبَرَّمُ ، كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَمَّاتاً ، فَإِذَا قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ ، كَانَ لا يَدْخُلُ فِي مِرَاءٍ ، ولا يُشَارِكُ فِي دَعْوَي ، ولا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّي يَرَي قَاضِياً ، وكَانَ لا يَغْفُلُ عَنْ إِخْوَانِهِ ، ولا يَخُصُّ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ دُونَهُمْ ، كَانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً ، فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ كَانَ لَيْثاً عَادِياً ، كَانَ لا يَلُومُ أَحَداً فِيمَا يَقَعُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّي يَرَي اعْتِذَاراً ، كَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ ويَفْعَلُ مَا لا يَقُولُ ، كَانَ إِذَا ابْتَزَّهُ أَمْرَانِ لا يَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ نَظَرَ إِلَي أَقْرَبِهِمَا إِلَي الْهَوَي فَخَالَفَهُ ، كَانَ لا يَشْكُو وَجَعاً إِلا عِنْدَ مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبُرْءَ ، ولا يَسْتَشِيرُ إِلا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ ، كَانَ لا يَتَبَرَّمُ ، ولا يَتَسَخَّطُ ، ولا يَتَشَكَّي ، ولا يَتَشَهَّي ، ولا يَنْتَقِمُ ، ولا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ . فَعَلَيْكُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الأَخْلاقِ الْكَرِيمَةِ إِنْ أَطَقْتُمُوهَا ، فَإِنْ لَمْ تُطِيقُوهَا كُلَّهَا فَأَخْذُ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ . وعَنْ مِهْزَمٍ الأَسَدِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : يَا مِهْزَمُ شِيعَتُنَا مَنْ لا يَعْدُو صَوْتُهُ سَمْعَهُ ، ولا شَحْنَاوُهُ بَدَنَهُ ، ولا يَمْتَدِحُ بِنَا مُعْلِناً ، ولا يُجَالِسُ لَنَا عَائِباً ، ولا يُخَاصِمُ لَنَا قَالِياً ، إِنْ لَقِيَ مُومِناً أَكْرَمَهُ ، وإِنْ لَقِيَ جَاهِلاً هَجَرَهُ . قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِهَولاءِ الْمُتَشَيِّعَةِ ؟ قَالَ : فِيهِمُ التَّمْيِيزُ ، وفِيهِمُ التَّبْدِيلُ ، وفِيهِمُ التَّمْحِيصُ ، تَأْتِي عَلَيْهِمْ سِنُونَ تُفْنِيهِمْ ، وطَاعُونٌ يَقْتُلُهُمْ ، واخْتِلافٌ يُبَدِّدُهُمْ ، شِيعَتُنَا مَنْ لا يَهِرُّ هَرِيرَ الْكَلْبِ ، ولا يَطْمَعُ طَمَعَ الْغُرَابِ ، ولا يَسْأَلُ عَدُوَّنَا وإِنْ مَاتَ جُوعاً . قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، فَأَيْنَ أَطْلُبُ هَولاءِ ؟ قَالَ : فِي أَطْرَافِ الأَرْضِ ، أُولَئِكَ الْخَفِيضُ عَيْشُهُمْ ، الْمُنْتَقِلَةُ دِيَارُهُمْ ، إِنْ شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، وإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، ومِنَ الْمَوْتِ لا يَجْزَعُونَ ، وفِي الْقُبُورِ يَتَزَاوَرُونَ ، وإِنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ ذُو حَاجَةٍ مِنْهُمْ رَحِمُوهُ ، لَنْ تَخْتَلِفَ قُلُوبُهُمْ وإِنِ اخْتَلَفَ بِهِمُ الدَّارُ ؟ ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : أَنَا الْمَدِينَةُ وعَلِيٌّ الْبَابُ ، وكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ لا مِنْ قِبَلِ الْبَابِ ، وكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي ويُبْغِضُ عَلِيّاً عليه السلام . وعَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قَالَ : مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ ، وحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ ، ووَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ ، كَانَ مِمَّنْ حُرِّمَتْ غِيبَتُهُ ، وكَمَلَتْ مُرُوءَتُهُ ، وظَهَرَ عَدْلُهُ ، ووَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ . وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي عليهماالسلام قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : ثَلاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ اسْتَكْمَلَ خِصَالَ الإِيمَانِ : إِذَا رَضِيَ لَمْ يُدْخِلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ ، وإِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ الْغَضَبُ مِنَ الْحَقِّ ، وإِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ . وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُومِنِينَ عليه السلام : إِنَّ لأَهْلِ الدِّينِ عَلامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا : صِدْقَ الْحَدِيثِ ، وأَدَاءَ الأَمَانَةِ ، ووَفَاءً بِالْعَهْدِ ، وصِلَةَ الأَرْحَامِ ، ورَحْمَةَ الضُّعَفَاءِ ، وقِلَّةَ الْمُرَاقَبَةِ لِلنِّسَاءِ ، أَوْ قَالَ : قِلَّةَ الْمُوَاتَاةِ لِلنِّسَاءِ ، وبَذْلَ الْمَعْرُوفِ ، وحُسْنَ الْخُلُقِ ، وسَعَةَ الْخُلُقِ ، واتِّبَاعَ الْعِلْمِ ومَا يُقَرِّبُ إِلَي اللَّهِ - عَزَّ وجَلَّ - زُلْفَي ، « طُوبي لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ » ، وطُوبَي شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، أَصْلُهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلي الله عليه و آله ، ولَيْسَ مِنْ مُومِنٍ إِلاَّ وفِي دَارِهِ غُصْنٌ مِنْهَا ، لا يَخْطُرُ عَلَي قَلْبِهِ شَهْوَةُ شَيْءٍ إِلا أَتَاهُ بِهِ ذَلِكَ ، ولَوْ أَنَّ رَاكِباً مُجِدّاً سَارَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مَا خَرَجَ مِنْهُ ، ولَوْ طَارَ مِنْ أَسْفَلِهَا غُرَابٌ مَا بَلَغَ أَعْلاهَا حَتَّي يَسْقُطَ هَرِماً ، أَلا فَفِي هَذَا فَارْغَبُوا . إِنَّ الْمُومِنَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، والنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ افْتَرَشَ وَجْهَهُ وسَجَدَ لِلَّهِ - عَزَّ وجَلَّ - بِمَكَارِمِ بَدَنِهِ يُنَاجِي الَّذِي خَلَقَهُ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِهِ ، أَلا فَهَكَذَا كُونُوا . وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ صلي الله عليه و آله عَنْ خِيَارِ الْعِبَادِ ، فَقَالَ : الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا وإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا وإِذَا أُعْطُوا شَكَرُوا وإِذَا ابْتُلُوا صَبَرُوا وإِذَا غَضِبُوا غَفَرُوا . وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلي الله عليه و آله : إِنَّ خِيَارَكُمْ أُولُو النُّهَي . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ومَنْ أُولُو النُّهَي ؟ قَالَ : هُمْ أُولُو الأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ ، والأَحْلامِ الرَّزِينَةِ ، وصِلَةُ الأَرْحَامِ ، والْبَرَرَةُ بِالأُمَّهَاتِ والآبَاءِ ، والْمُتَعَاهِدِينَ لِلْفُقَرَاءِ والْجِيرَانِ والْيَتَامَي ، ويُطْعِمُونَ الطَّعَامَ ، ويُفْشُونَ السَّلامَ فِي الْعَالَمِ ، ويُصَلُّونَ والنَّاسُ نِيَامٌ غَافِلُونَ . وعَنْ يَحْيَي بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِيِّ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : أَيُّ الْخِصَالِ بِالْمَرْءِ أَجْمَلُ ؟ فَقَالَ : وَقَارٌ بِلا مَهَابَةٍ ، وسَمَاحٌ بِلا طَلَبِ مُكَافَاةٍ ، وتَشَاغُلٌ بِغَيْرِ مَتَاعِ الدُّنْيَا . وعَنْ أَبِي وَلادٍ الْحَنَّاطِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ : إِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِكَمَالِ دِينِ الْمُسْلِمِ تَرْكُهُ الْكَلامَ فِيمَا لا يَعْنِيهِ ، وقِلَّةُ مِرَائِهِ ، وحِلْمُهُ ، وصَبْرُهُ ، وحُسْنُ خُلُقِهِ . وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّه عليه السلام قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلي الله عليه و آله : أَلا أَخْبِرُكُمْ بِأَشْبَهِكُمْ بِي ؟ قَالُوا : بَلَي يَا رَسُولَ اللّهِ . قَالَ : أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً ، وأَلْيَنُكُمْ كَنَفاً ، وأَبَرُّكُمْ بِقَرَابَتِهِ ، وأَشَدُّكُمْ حُبّاً لإِخْوَانِهِ فِي دِينِهِ ، وأَصْبَرُكُمْ عَلَي الْحَقِّ ، وأَكْظَمُكُمْ لِلْغَيْظِ ، وأَحْسَنُكُمْ عَفْواً ، وأَشَدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ إِنْصَافاً فِي الرِّضَا والْغَضَبِ . وعَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْن عليهماالسلام قَالَ : مِنْ أَخْلاقِ الْمُومِنِ الإِنْفَاقُ عَلَي قَدْرِ الإِقْتَارِ ، والتَّوَسُّعُ عَلَي قَدْرِ التَّوَسُّعِ ، وإِنْصَافُ النَّاسِ ، وابْتِدَاوهُ إِيَّاهُمْ بِالسَّلامِ عَلَيْهِمْ . وعَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَر عليه السلام قَالَ : الْمُومِنُ أَصْلَبُ مِنَ الْجَبَلِ ،الْجَبَلُ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ والْمُومِنُ لا يُسْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ . وعَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : الْمُومِنُ حَسَنُ الْمَعُونَةِ ، خَفِيفُ الْمَئُونَةِ ، جَيِّدُ التَّدْبِيرِ لِمَعِيشَتِهِ ، لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ .

هـذه هي بعض صـفات المؤمن ، وقـد اتصف بها زهير وتزيّن بها ، وأقامها بحـدودها ، حتي صار معلماً تشعّ منه أنوار الأخلاق الكريمـة ، والصفات الحميدة ، وينتشر لذكر اسمه عبق المكارم والفضائل والمناقبوالمحامد والعلي والسؤدد .

إنّه عامل بالتقية

شبهه سـيد الشـهداء عليه السـلام بمؤمن آل فرعون ، والصفة الأهم التي وصفه بها القرآن بعد أن أثبت له الإيمان أ نّه كان « يكتم إيمانه » ، قال اللّه تعالي : « وَقالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ » ، وكتمان الإيمان خصـلة ممدوحة لا تصبغ إلاّ من امتحن اللّه قلبه للإيمان من العظماء ، وقد ورد الحثّ عليها كشرط للشيعي والموالي لأهل البيت عليهم السلام .

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَـيْن عليهماالسـلام قَالَ : وَدِدْتُ واللَّهِ أَنِّي افْتَدَيْتُ خَصْلَتَيْنِ فِي الشِّيعَةِ لَنَا بِبَعْضِ لَحْمِ سَاعِدِي : النَّزَقَ ، وقِلَّةَ الْكِتْمانِ(1)

1- الكافي : 2/222 . عَنْ أَبِي أُسَامَةَ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السـلام : أُمِرَ النَّاسُ بِخَصْـلَتَيْنِ فَضَيَّعُوهُمَا ، فَصَارُوا مِنْهُمَا عَلَي غَيْرِ شَـيْءٍ : الصَّبْرِ والْكِتْمَانِ . عَنْ أَبِي جَعْفَر عليه السـلام قَالَ : دَخَلْنَا عَلَيْهِ جَمَاعَةً فَقُلْنَا : يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّا نُرِيدُ الْعِرَاقَ فَأَوْصِـنَا ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَر عليه السـلام : لِيُقَوِّ شَدِيدُكُمْ ضَـعِيفَكُمْ ، ولْيَعُدْ غَنِيُّكُمْ عَلَي فَقِيرِكُمْ ، ولا تَبُثُّوا سِرَّنَا، ولا تُذِيعُوا أَمْرَنَا ، وإِذَا جَاءَكُمْ عَنَّا حَدِيثٌ فَوَجَدْتُمْ عَلَيْهِ شَاهِـداً أَوْ شَاهِـدَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَخُـذُوا بِهِ ، وإِلا فَقِفُوا عِنْدَهُ ، ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَيْنَا حَتَّي يَسْـتَبِينَ لَكُمْ ، واعْلَمُوا أَنَّ الْمُنْتَظِرَ لِهَذَا الأمْرِ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الْقَـائِمِ ، ومَنْ أَدْرَكَ قَائِمَنَا فَخَرَجَ مَعَهُ فَقَتَلَ عَـدُوَّنَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ عِشْـرِينَ شَـهِيداً ، ومَنْ قُتِلَ مَعَ قَائِمِنَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسَـةٍ وعِشْـرِينَ شَـهِيداً . عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ : سَـمِعْتُ أَبَا جَعْفَر عليه السـلامِيَقُولُ : واللَّهِ إِنَّ أَحَبَّ أَصْـحَابِي إِلَيَّ أَوْرَعُهُمْ وأَفْقَهُهُمْ وأَكْتَمُهُمْ لِحَدِيثِنَا ، وإِنَّ أَسْوَأَهُمْ عِنْدِي حَالاً وأَمْقَتَهُمْ لَلَّذِي إِذَا سَـمِعَ الْحَدِيثَ يُنْسَبُ إِلَيْنَا ويُرْوَي عَنَّا ، فَلَمْ يَقْبَلْهُ اشْـمَأَزَّ مِنْهُ وجَحَدَهُ وكَفَّرَ مَنْ دَانَ بِهِ ، وهُوَ لا يَدْرِي لَعَلَّ الْحَدِيثَ مِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ ، وإِلَيْنَا أُسْنِدَ ، فَيَكُونَ بِذَلِكَ خَارِجاً عَنْ وَلايَتِنَا . عَنْ عَمَّارٍ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : أَخْبَرْتَ بِمَا أَخْبَرْتُكَ بِهِ أَحَداً ؟ قُلْتُ : لا ، إِلا سُـلَيْمَانَ بْنَ خَالِدٍ . قَالَ : أَحْسَـنْتَ ، أَ مَا سَـمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ : فَلا يَعْدُوَنْ سِرِّي وسِرُّكَ ثَالِثاً أَلا كُلُّ سِـرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ شَائِعٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْـرٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنْ مَسْأَلَةٍ ، فَأَبَي وأَمْسَكَ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ أَعْطَيْنَاكُمْ كُلَّمَا تُرِيدُونَ كَانَ شَـرّاً لَكُمْ ، وأُخِذَ بِرَقَبَةِ صَاحِبِ هَذَا الأمْرِ . قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ ، والْزَمُوا بُيُوتَكُمْ ، فَإِنَّهُ لا يُصِـيبُكُمْ أَمْرٌ تَخُصُّونَ بِهِ أَبَـداً ، ولا تَزَالُ الزَّيْدِيَّةُ لَكُمْ وِقَاءً أَبَداً . عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَـي عَنْ أَبِي الْحَسَن عليه السـلام قَالَ : إِنْ كَانَ فِي يَدِكَ هَذِهِ شَيْءٌ ، فَإِنِ اسْـتَطَعْتَ أَنْ لا تَعْلَمَ هَـذِهِ فَافْعَلْ . قَالَ : وكَانَ عِنْـدَهُ إِنْسَانٌ فَتَذَاكَرُوا الإذَاعَةَ ، فَقَالَ : احْفَظْ لِسَانَكَ تُعَزّ، ولا تُمَكِّنِ النَّاسَ مِنْ قِيَادِ رَقَبَتِكَ فَتَذِلَّ . عَنْ خَالِدِ بْنِ نَجِيحٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : إِنَّ أَمْرَنَا مَسْتُورٌ مُقَنَّعٌ بِالْمِيثَاقِ ، فَمَنْ هَتَكَ عَلَيْنَا أَذَلَّهُ اللَّهُ .

وعَنْ سُلَيْمانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللّه عليه السلام : يَا سُلَيْمانُ ، إِنَّكُمْ عَلَي دِينٍ مَنْ كَتَمَهُ أَعَزَّهُ اللّهُ ، ومَنْ أَذَاعَهُ أَذَلّهُ اللّهُ .

ص: 42

وعَنْ عَبْدِ الأعْلَي قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللّه عليه السلام يَقُولُ : إِنَّهُ لَيْسَ مِن احْتِمالِ أَمْرِنَا التَّصْدِيقُ لَهُ والْقَبُولُ فَقَطْ ، مِن احْتِمالِ أَمْرِنَا سَتْرُهُ وصِيَانَتُهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، فَأَقْرِئْهُمُ السَّلامَ وقُلْ لَهُمْ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً اجْتَرَّ مَوَدَّةَ النَّاسِ إِلَي نَفْسِهِ ، حَدِّثُوهُمْ بِمَا يَعْرِفُونَ واسْتُرُوا عَنْهُمْ مَا يُنْكِرُونَ .

ثُمَّ قَالَ : واللَّهِ مَا النَّاصِبُ لَنَا حَرْباً بِأَشَدَّ عَلَيْنَا مَئُونَةً مِنَ النَّاطِقِ عَلَيْنَا بِمَا نكْرَهُ ، فَإِذَا عَرَفْتُمْ مِنْ عَبْدٍ إِذَاعَةً فَامْشُوا إِلَيْهِ ورُدُّوهُ عَنْهَا ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْكُمْ وإِلا فَتَحَمَّلُوا عَلَيْهِ بِمَنْ يُثَقِّلُ عَلَيْهِ ويَسْمَعُ مِنْهُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَيَلْطُفُ فِيهَا حَتَّي تُقْضَي لَهُ ، فَالْطُفُوا فِي حَاجَتِي كَمَا تَلْطُفُونَ فِي حَوَائِجِكُمْ ، فَإِنْ هُوَ قَبِلَ مِنْكُمْ وإِلا فَادْفِنُوا كَلامَهُ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، ولا تَقُولُوا إِنَّهُ يَقُولُ ويَقُولُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْمَلُ عَلَيَّ وعَلَيْكُمْ .

أَمَا واللَّهِ ، لَوْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ مَا أَقُولُ لاقْرَرْتُ أَنَّكُمْ أَصْحَابِي ، هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ لَهُ أَصْحَابٌ ، وهَذَا الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لَهُ أَصْحَابٌ ، وأَنَا امْرُو مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ وَلَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله وعَلِمْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، وفِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ ، بَدْءِ الْخَلْقِ ، وأَمْرِ السَّمَاءِ وأَمْرِ الأرْضِ ، وأَمْرِ الأوَّلِينَ وأَمْرِ الآخِرِينَ ، وأَمْرِ مَا كَانَ وأَمْرِ مَا يَكُونُ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَي ذَلِكَ نُصْبَ عَيْنِي .

وعَنْ حَرِيزٍ عَنْ مُعَلَّي بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : يَا مُعَلَّي ، اكْتُمْ أَمْرَنَا وَلا تُذِعْهُ ، فَإِنَّهُ مَنْ كَتَمَ أَمْرَنَا ولَمْ يُذِعْهُ أَعَزَّهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، وجَعَلَهُ نُوراً بَيْنَ عَيْنَيْهِ فِي الآخِرَةِ يَقُودُهُ إِلَي الْجَنَّةِ .

يَا مُعَلَّي ، مَنْ أَذَاعَ أَمْرَنَا ولَمْ يَكْتُمْهُ أَذَلَّهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا ، ونَزَعَ النُّورَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْهِ فِي الآخِرَةِ ، وجَعَلَهُ ظُلْمَةً تَقُودُهُ إِلَي النَّارِ .

يَا مُعَلّي ، إِنَّ التَّقِيَّةَ مِنْ دِينِي ودِينِ آبَائِي ، ولا دِينَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ .

يَا مُعَلَّي ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي السِّرِّ كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ فِي الْعَلانِيَةِ .

يَا مُعَلَّي إِنَّ الْمُذِيعَ لأمْرِنَا كَالْجَاحِدِ لَهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَر عليه السلام : وَلايَةُ اللَّهِ أَسَرَّهَا إِلَي جَبْرَئِيل عليه السلام وأَسَرَّهَا جَبْرَئِيلُ

إِلَي مُحَمَّدٍ صلي الله عليه و آله ، وأَسَرَّهَا مُحَمَّدٌ إِلَي عَلِي عليه السلام وأَسَرَّهَا عَلِيٌّ إِلَي مَنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُذِيعُونَ ذَلِكَ ، مَنِ الَّذِي أَمْسَكَ حَرْفاً سَمِعَهُ .

وعَنْ عِيسَي بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام يَقُولُ : نَفَسُالْمَهْمُومِ لَنَا الْمُغْتَمِّ لِظُلْمِنَا تَسْبِيحٌ ، وهَمُّهُ لأمْرِنَا عِبَادَةٌ ، وكِتْمانُهُ لِسِرِّنَا جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ : اكْتُبْ هَذَا بِالذَّهَبِ ، فَمَا كَتَبْتَ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُ .

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَر عليه السلام : خَالِطُوهُمْ بِالْبَرَّانِيَّةِ ، وخَالِفُوهُمْ بِالْجَوَّانِيَّةِ ، إِذَا كَانَتِ الإمْرَةُ صِبْيَانِيَّةً (1)

1- الظاهر من كلام أهل البيت عليهم السلام بعد التدقيق والتأمل - وهم عليهم السلام أعلم بمرادهم - أنّ التقية عبارة عن تكليفين مستقلين ، أحدهما إعتقادي لا مجال للتقية فيه بتاتاً ، فلا مندوحة للمؤمن من الإعتقاد بالتوحيد والنبوة وولاية أمير المؤمنين وذريته الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين ، والبراءة من أعدائهم ، ولا سلطان لأحد من العالمين علي قلوب العباد سوي أئمة الدين ومن أعطاهم ذلك ، وهو ربّ العالمين ، فماذا تعني التقية إذن في إعتقاد يكمن في القلب ويختفي في الروح ؟ وأمّا التكليف الآخر فهو مجاراة الناس أو مداراتهم أو مجاملتهم أو التكلم معهم علي قدر عقولهم أو النسج علي منوالهم أو عبّر ما شئت من التعبير المفيد لمعني التعايش والرفق وقبول الآخر . وهذا الأمر لا يخصّ التعامل مع السلطان أو مع المخالف في المذهب أو الدين ، بل يشمل كلّ جوانب التعايش الإجتماعي مع الآخرين حتي لو كانوا علي دينه ومذهبه ورأيه ، فقد تختلف مع أخ مؤمن لك إلاّ أنّك تدرك أ نّه لا يطيق كلامك وأنت تعتقد أ نّه الحقّ ، فلا تحملّه فوق طاقته فتكسره ، ومن كسر مؤمناً فعليه جبره . وهذا الفهم للتقية يفتح أمامنا آفاقاًجديدة مديدة ، ويجعل الروايات والأحاديث ، بل التكاليف الواردة في أخبار التقية حية متجددة في حياة الفرد المؤمن أبد الدهر ، لأ نّه حكم عملي جار مجري بقية الأحكام الواردة في مواطن مرّ الحقّ ، فإذا توفرت شروطه ومقتضياته وجب الأخذ به والعمل وفقه ، فإذا أفطر موافقة للسلطان فإنّه لا يعتقد أنّ تكليفه هنا كان الصيام إلاّ أ نّه أفطر تقية ، وإنما يعتقد تماماً أنّ تكليفه هنا هو الإفطار لا غير ، فليس ثمة تكليفان في المقام ، وإنما هو تكليف واحد ، ويكون هو الموقف العملي الذي لا يجوز التخطي عنه . ولتفصيل ذلك موضع آخر لا يسعه هذا المجال .

وعَنْ دُرُسْتَ الْوَاسِطِيِّ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : مَا بَلَغَتْ تَقِيَّةُ أَحَدٍ تَقِيَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، إِنْ كَانُوا لَيَشْهَدُونَ الأَعْيَادَ ، ويَشُدُّونَ الزَّنَانِيرَ ،فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ .

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ : « أُولَئِكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا » قَالَ : بِمَا صَبَرُوا عَلَي التَّقِيَّةِ ، « ويَدْرَونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ »قَالَ : الْحَسَنَةُ التَّقِيَّةُ ، والسَّيِّئَةُ الإذَاعَةُ .

وعَنْ أَبِي عُمَرَ الأَعْجَمِيِّ قَالَ : قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : يَا أَبَا عُمَرَ ، إِنَّ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الدِّينِ فِي التَّقِيَّةِ ، ولا دِينَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ ، والتَّقِيَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إلا فِي النَّبِيذِ ، والْمَسْحِ عَلَي الْخُفَّيْنِ .

وعَنْ هِشَامٍ الْكِنْدِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللّه عليه السلام يَقُولُ : إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلاً يُعَيِّرُونا بِهِ ، فَإِنَّ وَلَدَ السَّوْءِ يُعَيَّرُ وَالِدُهُ بِعَمَلِهِ ، كُونُوا لِمَنِ انْقَطَعْتُمْ إِلَيْهِ زَيْناً ، ولا تَكُونُوا عَلَيْهِ شَيْناً ، صَلُّوا فِي عَشَائِرِهِمْ ، وعُودُوا مَرْضَاهُمْ ، واشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ ، ولا يَسْبِقُونَكُمْ إِلَي شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ ، فَأَنْتُمْ أَوْلَي بِهِ مِنْهُمْ ، واللَّهِ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْخَبْ ءِ ، قُلْتُ : ومَا الْخَبْ ءُ ؟ قَالَ : التَّقِيَّةُ .

وعَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام التَّقِيَّةُ مِنْ دِينِ اللَّهِ .

قُلْتُ : مِنْ دِينِ اللَّهِ ؟!

قَالَ : إِي واللَّهِ ، مِنْ دِينِ اللَّهِ ، ولَقَدْ قَالَ يُوسُف عليه السلام : « أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ

لَسارِقُونَ » واللَّهِ مَا كَانُوا سَرَقُوا شَيْناً ، ولَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيم عليه السلام : « إِنِّي سَقِيمٌ » واللَّهِ مَا كَانَ سَقِيماً .

وعَنْ حَبِيبِ بْنِ بِشْرٍ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : لاواللَّهِ ، مَا عَلَي وَجْهِ الأَرْضِ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ التَّقِيَّةِ .

يَا حَبِيبُ ، إِنَّهُ مَنْ كَانَتْ لَهُ تَقِيَّةٌ رَفَعَهُ اللَّهُ .

يَا حَبِيبُ ، مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ تَقِيَّةٌ وَضَعَهُ اللَّهُ .

يَا حَبِيبُ ، إِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا هُمْ فِي هُدْنَةٍ ، فَلَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَ هَذَا .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : اتَّقُوا عَلَي دِينِكُمْ ،فَاحْجُبُوهُ بِالتَّقِيَّةِ ، فَإِنَّهُ لا إِيمَانَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالنَّحْلِ فِي الطَّيْرِ ، لَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَعْلَمُ مَا فِي أَجْوَافِ النَّحْلِ مَا بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ

إلا أَكَلَتْهُ ، ولَوْ أَنَّ النَّاسَ عَلِمُوا مَا فِي أَجْوَافِكُمْ ، أَنَّكُمْ تُحِبُّونَّا أَهْلَ الْبَيْتِ لاكَلُوكُمْ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، ولَنَحَلُوكُمْ فِي السِّرِّ والْعَلانِيَةِ ، رَحِمَ اللّهُ عَبْداً مِنْكُمْ كَانَ عَلَي وَلايَتِنَا .

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ « ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ » قَالَ : الْحَسَنَةُ التَّقِيَّةُ ، والسَّيِّئَةُ الإذَاعَةُ ، وقَوْلُهُ عَزَّ وجَلَّ « ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ » قَالَ : الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : التَّقِيَّةُ « فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(1) »

1- عَنْ أَبِي عَمْرٍو الْكِنَانِيِّ قَالَ : قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام : يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَرَأَيْتَكَ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِحَدِيثٍ أَوْ أَفْتَيْتُكَ بِفُتْيَا ، ثُمَّ جِئْتَنِي بَعْدَ ذَلِكَ فَسَأَلْتَنِي عَنْهُ ، فَأَخْبَرْتَكَ بِخِلافِ مَا كُنْتُ أَخْبَرْتُكَ ، أَوْ أَفْتَيْتُكَ بِخِلافِ ذَلِكَ ، بِأَيِّهِمَا كُنْتَ تَأْخُذُ ؟ قُلْتُ : بِأَحَدِهِمَا وأَدَعُ الآخَرَ . فَقَالَ : قَدْ أَصَبْتَ ، يَا أَبَا عَمْرٍو ، أَبَي اللَّهُ إلا أَنْ يُعْبَدَ سِرّاً ، أَمَا واللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ إِنَّهُ لَخَيْرٌ لِي ولَكُمْ ، وأَبَي اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - لَنَا ولَكُمْ فِي دِينِهِ إلاّ التَّقِيَّةَ . عَنْ حَمَّادِ بْنِ وَاقِدٍ اللَّحَّامِ قَالَ : اسْتَقْبَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام فِي طَرِيقٍ ، فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ بِوَجْهِي ومَضَيْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنِّي لالْقَاكَ فَأَصْرِفُ وَجْهِي كَرَاهَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ، فَقَالَ لِي : رَحِمَكَ اللَّهُ ، ولَكِنَّ رَجُلاً لَقِيَنِي أَمْسِ فِي مَوْضِعِ كَذَا وكَذَا ، فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلامُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا أَحْسَنَ ولا أَجْمَلَ . عَنْ زُرَارَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَر عليه السلام قَالَ : التَّقِيَّةُ فِي كُلِّ ضَرُورَةٍ ،وصَاحِبُهَا أَعْلَمُ بِهَا حِينَ تَنْزِلُ بِهِ . عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : كَانَ أَبِي عليه السلام يَقُولُ : وأَيُّ شَيْءٍ أَقَرُّ لِعَيْنِي مِنَ التَّقِيَّةِ ، إِنَّ التَّقِيَّةَ جُنَّةُ الْمُومِنِ . عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْجُعْفِيِّ ومُعَمَّرِ بْنِ يَحْيَي بْنِ سَالِمٍ ومُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وزُرَارَةَ قَالُوا سَمِعْنَا أَبَا جَعْفَر عليه السلام يَقُولُ : التَّقِيَّةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ ابْنُ آدَمَ ، فَقَدْ أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطَاءٍ قَالَ : قُلْتُ لأبِي جَعْفَر عليه السلام :رَجُلانِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ أُخِذَا فَقِيلَ لَهُمَا : ابْرَأَا مِنْ أَمِيرِ الْمُومِنِينَ ، فَبَرِئَ واحِدٌ مِنْهُمَا ، وأَبَي الآخَرُ ، فَخُلِّيَ سَبِيلُ الَّذِي بَرِئَ ، وقُتِلَ الآخَرُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الَّذِي بَرِئَ فَرَجُلٌ فَقِيهٌ فِي دِينِهِ ، وأَمَّا الَّذِي لَمْ يَبْرَأْ فَرَجُلٌ تَعَجَّلَ إِلَي الْجَنَّةِ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّه عليه السلام يَقُولُ : التَّقِيَّةُ تُرْسُ الْمُومِنِ ، والتَّقِيَّةُ حِرْزُ الْمُومِنِ ، ولا إِيمَانَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ ، إِنَّ الْعَبْدَ لَيَقَعُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيثِنَا فَيَدِينُ اللَّهَ - عَزَّ وجَلَّ - بِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَهُ ، فَيَكُونُ لَهُ عِزّاً فِي الدُّنْيَا ، ونُوراً فِي الآخِرَةِ ، وإِنَّ الْعَبْدَ لَيَقَعُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ مِنْ حَدِيثِنَا ، فَيُذِيعُهُ فَيَكُونُ لَهُ ذُلاً فِي الدُّنْيَا ، ويَنْزِعُ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - ذَلِكَ النُّورَ مِنْهُ .

وعَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ : قِيلَ لأبِي عَبْدِ اللّه عليه السلام : إِنَّ النَّاسَ يَرْوُونَ أَنَّ عَلِيّا عليه السلام قَالَ عَلَي مِنْبَرِ الْكُوفَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ سَتُدْعَوْنَ إِلَي سَبِّي فَسُبُّونِي ، ثُمَّ تُدْعَوْنَ إِلَي الْبَرَاءَةِ مِنِّي فَلا تَبَرَّءُوا مِنِّي .

فَقَالَ : مَا أَكْثَرَ مَا يَكْذِبُ النَّاسُ عَلَي عَلِي عليه السلام .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا قَالَ : إِنَّكُمْ سَتُدْعَوْنَ إِلَي سَبِّي فَسُبُّونِي ، ثُمَّ سَتُدْعَوْنَ إِلَي الْبَرَاءَةِ مِنِّي ، وإِنِّي لَعَلَي دِينِ مُحَمَّدٍ ، ولَمْ يَقُلْ لا تَبَرَّءُوا مِنِّي .

فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ : أَرَأَيْتَ إِنِ اخْتَارَ الْقَتْلَ دُونَ الْبَرَاءَةِ ؟

فَقَالَ : واللَّهِ مَا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، ومَا لَهُ إِلاّ مَا مَضَي عَلَيْهِ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ حَيْثُ أَكْرَهَهُ أَهْلُ مَكَّةَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمَانِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - فِيهِ « إِلا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ » فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلي الله عليه و آله عِنْدَهَا : يَا عَمَّارُ ، إِنْ عَادُوا فَعُدْ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - عُذْرَكَ ، وأَمَرَكَ أَنْ تَعُودَ إِنْ عَادُوا .

وعَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلادٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَن عليه السلام عَنِ الْقِيَامِ لِلْوُلاةِ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَر عليه السلام : التَّقِيَّةُ مِنْ دِينِي ودِينِ آبَائِي ، ولا إِيمَانَ لِمَنْ لا تَقِيَّةَ لَهُ .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي جَعْفَر عليه السلام قَالَ : إِنَّمَا جُعِلَتِ التَّقِيَّةُ لِيُحْقَنَ بِهَا الدَّمُ ، فَإِذَا بَلَغَ الدَّمَ فَلَيْسَ تَقِيَّةٌ .

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : كُلَّمَا تَقَارَبَ هَذَا الأَمْرُ كَانَ أَشَدَّ لِلتَّقِيَّةِ .

وعَنْ حَرِيزٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ : قَالَ : التَّقِيَّةُ تُرْسُ اللَّهِ بَيْنَهُ وبَيْنَ خَلْقِهِ .

وبعد كلّ هذه الأحاديث الشريفة في بيان التقية وحدودها ومواردها

وضرورة الإلتزام بها يكون من الطبيعي جدّاً أن يتصوّر العدو زهيراً في دائرة السلطة ، فيما كان زهير يعيش محنة معاوية ومن سبقه وولاتهم الذين لاحقوا شيعة أمير المؤمنين عليه السلام تحت كلّ حجر ومدر ، وهو من الشخصيات المعروفة ، حاله حال أصحاب الكهف ، وحال مؤمن آل فرعون ، سيما إذا عرفنا – كما سيأتي – أ نّه كان ينتظر يومه في نصرة سيد شباب آل محمد صلي الله عليه و آله .

ولو تأملنا عبارة العدو التي اتهم بها زهير نجدها دقيقة في التعبير عن سلوكه ، حيث قال : يا زهير ، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنّماكنت عثمانياً ، قال : أفلست تستدل بموقفي هذا أنّي منهم(1) ؟!!

1- تاريخ الطبري : 4/315 .

قال العدو : ما كنت عندنا شـيعياً ، بل كنت عندنا عثمانياً ، شـهادة بيّنة أنّ ظاهره كان يوهم العدو أ نّه منهم، لأ نّهم كانوا يحسبونه «عندهم» لا في الواقع .

إنّه يدافع عن المعصوم

قال تعالي : « وَقالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ » .

فهـذا مؤمن آل فرعون يدافع عن المعصوم ويقول لهم لم تقتلونه ، وهو لم يفعل شـيئاً سوي أ نّه قال : « رَبِّيَ اللَّهُ » ، وكذلك فعل زهير حينما خطب القوم وحذرهم من قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته .

إنّه يعتقد أنّ الحسين جاء بالبينات

« وَقـالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ(1) » .

ولو تأملنـا خطبـة زهير يوم عـاشوراء نجـدها تكرّس دعوة مؤمن آل فرعون تمامـاً ، وتكشف لهم عن البينات التي جاءهم بها الحسـين عليه السلاموضرورة متابعته وترك مقاتلته ، لأنّ في ذلك الفوز الحتمي ، وبخلافه

سيعرّضون أنفسهم للخطر الذي لابد منه .

1- غافر : 28 .

إنّه من القلّة الممدوحة

قال الصادق عليه السلام في كلام : يَا هِشَامُ ، ثُمَّ مَدَحَ الْقِلَّةَ ، فَقَالَ « وقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ » ، وقَالَ « وقَلِيلٌ ما هُمْ » ، وقَالَ « وقالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيم-انَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُ-ولَ رَبِّيَ اللَّهُ(1) » .

فكـان مؤمن آل فرعون رجلاً واحـداً بين أولئك الكثرة الكثيرة التي واجهها ، كما كان زهير وصـحبه من القلّـة التي اختارها اللّه للوقوف بين يدي الحسـين عليه السلام في مواجهة تلك الجيوش الجرارة ، والسيول البشرية التي انحدرت لقتال الحقّ القائم في شخص سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام .

برأ الحسين عليه السلام دينه وأ نّه لم يضفه اليهم بدينه

قال عليه السـلام في حديث: وأمّا الحادي عشـر : فقول اللّه - عزّ وجلّ - في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون « وقالَ رَجُ-لٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَ-دْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ » تمام الآيـة ، فكان ابن خال فرعون ، فنسبه إليفرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه(2) .

1- الكافي : 1/15 .

2- الأمالي للصدوق : 533 المجلس 79 .

وقال عليه السلام : وقوله « وقالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ » كان ابن عمّه خربيل ، وهو الذي قال لموسي : « إِنَّ الْمَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ »

نسبه إلي القرابة لا إلي الدين(1) .

وقد برّأ الحسين عليه السلام دين زهير بن القين ، وفرّق بينه وبين القوم دينياً بتشبيهه بمؤمن آل فرعون ، كما أنّ زهيراً نفسه خاطبهم خطاب واحد منهم ، ولكنّه أكدّ لهم أنّ للسيف حداً فاصلاً قاطعا يميز بينهم دينياً ، ويقطع العصمة بينهم إذا ما وقع القتال .

كما أنّ العدو أقرّ باختلاف زهير معه في الدين وإن كان ينتسب اليهم بالقرابة ، كما هو واضح من الحوار الذي دار بينه وبينهم .

إنّه من الصالحين العاملين بالتقية

قال عليه السلام : ثم لم يزل أهل الإيمان وذوو البصائر كالأنبياء عليهم السلاموالصالحين

يكتمون إيمانهم من قومهم وعشائرهم ، لاقتضاء المصلحة ، كمؤمن آل فرعون الذي قصّ اللّه – تعالي – قصّته في كتابه فقال – عزّ وجلّ – : « وقالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وإِنْيَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ » .

1- متشابه القرآن : 2/61 .

فإن كان أبو طالب بكتمان إيمانه وإخفاء إسلامه كفر ، فكذلك هذا الذي قد سمّاه اللّه في كتابه مؤمناً ، ثم شهد عليه أ نّه يكتم إيمانه قد كفر بكتمان إيمانه ، إذ كان كتمانه الإيمان هداية ، وهذا مؤمن آل فرعون كانت حاله مع قومه كحال أبي طالب – رضي اللّه عنه – مع قريش ، فإنّه كان يخفي عنهم حاله ، ويدخل معهم بيوت متعبداتهم ، ويقسم بمعبودهم ، ويأكل من مأكولهم ، ويشرب من مشروبهم ، حتي تمّ له ما كان يسرّه من التوحيد باللّه تعالي ، ولم يعلموا بحاله حتي جاءهم موسي فقال « أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ » .

ثم قدّم لهم « وإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ » حتي يخفي عليهم موضع عنايته به ، ولم يقل: وهو صادق ، وإنّما قال « وإِنْ يَكُ صادِقاً » تلطفاً بهم ، كما كان أبو طالب يتلطّف قومه ، فقبلوا منه رأيه .

وكان فرعون قد عزم علي قتل موسي عليه السلام وشايعه قومه علي ذلك ، وكان الرجل المؤمن مرضياً عندهم يرجعون إلي رأيه ، ويسمعون قوله ، فدفع عن موسي عليه السلام القتل بوجه لطيف ، ولو كان مظهراً الإيمان لما أطاعوه ، ولا قبلوا منه ، بل كانوا يعادونه ويقتلونه .

وهكذا كانت حالة أبي طالب مع قريش حذو القذة بالقذة يدعو بدعائهم ، ويحضر في مجامعهم ، ويقسم بمعبودهم ، وكان سيدهم الذي يصمدون إليه ، وعميدهم الذي يعولون عليه ، ويرجعون إلي قوله ،ويستمعون إلي حديثه ، وكان أوفي مرتبة من مؤمن آل فرعون ، لأ نّه صدق النبي صلي الله عليه و آله في أشعاره وخطبه ، وكشف أمره ، وأعلن بصحة نبوته ،

وخاصم قومه وناظرهم ، وكاشفهم ونابذهم ، ولذلك اجتمعت علي نفيه إلي الشعب المعروف بشعب أبي طالب ، ونفي جماعته ، فصبروا معه ، وعامتهم مشركون للأصنام يعبدون(1) .

وكذلك فعل زهير فعل مؤمن آل فرعون وفعل أبي طالب عليه السلام .

إنّه ممدوح بكتمان علمه

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : قال رجل وأنا عنده : إنّ الحسن البصري يروي أنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال: من كتم علماً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من النار !

قال: كذب – ويحه – فأين قول اللّه « قالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ » ثم مدّ بها أبو جعفر عليه السلام صوته فقال: ليذهبوا حيث شاءوا ، أما – واللّه – لا يجدون العلم إلاّ هاهنا ، ثم سكت ساعة ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام : عند آل محمد(2) .

وروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ لَيْمانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَر عليه السلام يَقُولُ وعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهُ « عُثْمانُ الأعْمَي » وهُوَ يَقُولُ: إِنَّ الْحَسَنَالْبَصرِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْعِلْمَ يُوذِي رِيحُ بُطُونِهِمْ أَهْلَ النَّارِ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَر عليه السلام : فَهَلَكَ إِذَنْ مُومِنُ آلِ فِرْعَوْنَ ، مَا زَالَ الْعِلْمُ مَكْتُوماً

1- إيمان أبي طالب للفخار : 358 .

2- بصائر الدرجات : 6 باب10 ح6 .

مُنْذُ بَعَثَ اللّهُ نُوحا عليه السلام فَلْيَذْهَبِ الْحَسَنُ يَمِيناً وشِمَالاً ، فَوَ اللّهِ مَا يُوجَدُ الْعِلْمُ إلا هَاهُنَا(1) .

وهكذا كان زهير – بمقتضي تشبيه الحسين عليه السلام له بمؤمن آل فرعون – في كتمانه لعلم الحقّ المكتوم منذ بعث اللّه نوحاً ، وقد أخذه من أهل بيت النبوة .

إنّه تحمل البقاء مع الأعداء لحماية الإمام

كان خازن فرعون مؤمناً بموسي عليه السلام قد كتم إيمانه ستمائة سنة ، وهو الذي قال اللّه « وقالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ » .

وبلغ فرعون خبر قتل موسي عليه السلام الرجل ، فطلبه ليقتله ، فبعث المؤمن إلي موسي عليه السلام : « إِنَّ الْمَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْها » ، كما حكي اللّه « خائِفاً يَتَرَقَّبُ » قال: يلتفت عن يمنة ويسره ويقول « رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(2) »

مدح الحسين عليه السلام أسلوبه في الوعظ وشهد له بالبلاغة وقوةالعقل

قال ابن أبي الحديد ضمن أمثلة كثيرة ذكرها في قوة الخطباء

1- الكافي : 1/51 ح15 .
2- تفسير القمي : 2/137 .

المستدرجين لمخاطبيهم وذوي الاحتجاجات القوية ، والأساليب المتينة في الحوارات الكاشفة عن قوة العقل :

قالوا : ومن ذلك قول اللّه – تعالي – حكاية عن مؤمن آل فرعون

« وقـالَ رَجُلٌ مُومِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَـدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَـذِبُهُ وإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ » .

فـإنّه أخـذ معهم في الاحتجاج بطريق التقسـيم ، فقال: هـذا الرجل إمّا أن يكون كاذباً ، فكـذبه يعود عليه ولا يتعـداه ، وإمّا أن يكون صادقاً فيصـيبكم بعض مـا يعـدكم به ، ولـم يقل كلّ ما يعـدكم به مخادعـة لهـم ، وتلطفاً واسـتمالة لقلوبهم ، كي لا ينفروا منه لو أغلظ في القول ، وأظهر لهم أ نّه يهضمه بعض حقّه .

وكذلك تقديم قسم الكذب علي قسم الصدق ، كأنّه رشاهم ذلك ، وجعله برطيلاً لهم ليطمئنوا إلي نصحه(1) . . .

وكذا كان زهير في خطابه الذي وجهه للقوم ، بل امتاز بدقته ، وقوته ،وفصاحته ، وبلاغته ، ورصانته في انتقاء المعاني والألفاظ والأفكار

والأمثال ، وقوة المحاججة . . .

1- شرح نهج البلاغة : 2/170 .

إنّه ممدوح بتحمله البلاء والدعوة مع ابتلائه

عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: قُلْتُ لأبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام : إِنَّ هَذَا الَّذِي ظَهَرَ بِوَجْهِي يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْتَلِ بِهِ عَبْداً لَهُ فِيهِ حَاجَةٌ!

فَقَالَ لِي: لَقَدْ كَانَ مُومِنُ آلِ فِرْعَوْنَ مُكَنَّعَ الأصَابِعِ ، فَكَانَ يَقُولُ هَكَذَا ، ويَمُدُّ يَدَيْهِ ويَقُولُ: « يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(1) » .

تشبيهه بسباق الأمم وأنهم لم يكفروا باللّه طرفة عين

وفي هذا التشبيه منه عليه السلام أبلغ الدفاع وأقوي الإثبات علي أنّ زهيرا لم يكن خارجاً من مكة حاجاً ، ولم يكن كارهاً لمنازلة الحسين عليه السلامفي الطريق ، لأ نّه شبيه السباق من الأمم الذين سبقوا الي الحقّ وبادروا الي نصرة المعصوم المظلوم .

وفي هذا التشبيه إشارة الي أ نّه كان سبّاقاً سبق من خرج من أقرانه لنصرة الحسين عليه السلام من أمثال مجمع بن عبد اللّه العائذي ونافع بن هلال وغيرهم .

بل في التشبيه إشارة تكاد تكون واضحة الي أ نّه سبق كلّ أنصارالحسين عليه السلام الملتحقين به من الكوفة حتي أمثال عابس بن شبيب وغيره ممّن التحق بالحسين عليه السلام في مكة أو في أوئل الطريق .

1- الكافي : 2/259 ح30 .

فهو إذن قد سكن البرية ، واعتزل العمران والبشرية ، واختار تحمل

الهجير والرمضاء والفيافي والصحراء منذ زمن بعيد انتظاراً لنصرة سيد شباب أهل الجنة وسبط خير البرية .

وقد روي عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله أ نّه قال : سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا باللّه طرفة عين : خربيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب ياسين ، وعلي بن أبي طالب عليهماالسلام ، وهو أفضلهم(1) .

وهذا الحديث ركّز علي نفي الكفر مطلقاً عن هؤلاء السباقين ، ولو كان زهير ممّن قال بمقالة عثمان وحزبه أو مال اليهم لما شبهه المعصوم بهم ، فهو إذن نظيف الإيمان ، و إيمانه كامل الأركان ، وعقيدته لا يشوبها شك ولا ريب ولا أدران .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : السابقون أربعة : ابن آدم المقتول ، والسابق في أمة موسي ، وهو مؤمن آل فرعون ، والسابق في أمة عيسي ، وهو حبيب النجار ، والسابق في أمة محمد صلي الله عليه و آله ، وهو علي بن أبي طالب(2) عليهماالسلام .

السابقون هنا أربعة ، جمعهم إضافة الي السبق الذي تشبه به زهير ، أمر أخر هو أ نّهم قتلوا في سبيل اللّه والدفاع عن الحقّ الصراح ، ومحاربةالإنحراف في أمم الأنبياء ، والعودة بهم الي جادة الصواب و إلتزام السنة النبوية .

1- بحار الأنوار : 13/58 باب 2 .

2- بحار الأنوار : 66/156 باب 32 .

وقد تشبه بهم زهير وخرج مع مولاه الحسين عليه السلام الذي خرج يطلب

الإصلاح في أمّة جدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله وأراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقتل بين يديه تماماً كما قتل السباقون الذين شبه بهم .

وفي تفسير فرات الكوفي : عن ابن عباس قال قوله تعالي « رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ولِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمانِ » قال : هم ثلاثة نفر مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب مدينة الأنطاكية وعلي بن أبي طالب(1) عليهماالسلام .

والتشبيه هنا بلحاظ السبق بالإيمان من جهة ، فلم يكن إيمان زهير

غضاً جديداً طارئاً أيام الطف ، وشموله للدعوة بالمغفرة من جهة ثانية .

تشبيهه بالثلة من الأولين

وفي هذا التشبيه تأكيد علي ما مرّ قبل قليل .

عن محمد بن فرات عن جعفر بن محمد عليهماالسلام في هذه الآية « ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ » ابن آدم الذي قتله أخوه ، ومؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب يس « وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ » علي بن أبي طالب عليهماالسلام(2) .

وعن أبي سعيد المدائني قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قوله تعالي « ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ » قال: «ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ » مؤمن آل فرعون ، « وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ » علي بن أبي طالب عليهماالسلام(3) .

1- بحار الأنوار : 38/225 باب 65 .

2- بحار الأنوار : 35/333 باب 12 .

3- بحار الأنوار : 35/333 باب 12 .

تشبيهه بالصديقين

عن داود بن بلاـل بن أحيحـة عن النبي صـلي الله عليه و آله : الصـديقون ثلاثـة : حبيب النجـار مؤمن آل يس ، وحزقيل مؤمن آل فرعون ، وعلي بن أبي طالب الثالث ، وهو أفضلهم(1) .

رواه أحمد في كتاب فضائل علي عليه السلام الحديث الثامن عشر: الصديقون ثلاثة: حبيب(2) النجار الذي جاء من أقصي المدينة يسعي ، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه ، وعلي بن أبي طالب ، وهو أفضلهم .

إخباره أ نّه ممّن لا يفتن في دينه

عن أيوب بن الحر عن أبي عبد اللّه عليه السـلام في قول اللّه عزّوجلّ « فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا » فقال: أما لقد بسـطوا عليه وقتلوه ، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه .

وقد مرّ معنا قبل قليل تشبيهه بسباق الأمم ، وقد قتلوا جميعاً .

إخباره عليه السلام له بقتله إخباراً خاصاً وأ نّه يقطع إرباً

في تفسـير القمي رحمه الله قوله « فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا » يعني مؤمن آل فرعون ، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام واللّه لقد قطعوه إرباً إرباً ، ولكن وقاه اللّه أن يفتنوه في دينه(3) .

1- بحار الأنوار : 40/76 باب 91 . 2 بحار الأنوار : 40/84 باب 91 .

-2

3- تفسير القمي : 2/258 .

إخباره عن تسليمه وتفويض أمره للّه

في مصباح الشريعة : قال اللّه – عزّ وجلّ – في مؤمن آل فرعون « وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَي اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا وحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ » .

والتفويض خمسة أحرف ، لكلّ حرف منها حكم ، فمن أتي بأحكامه فقد أتي به :

التاء : من تركه التدبير في الدنيا .

والفاء : من فناء كلّ همّة غير اللّه .

والواو : من وفاء العهد وتصديق الوعد .

والياء : اليأس من نفسك ، واليقين بربّك .

والضاد : الضمير الصافي للّه ، والضرورة إليه .

والمفوّض لا يصبح إلاّ سالماً من جميع الآفات ، ولا يمسي إلاّ معافاً بدينه(1) .

وقد فوّض مؤمن آل فرعون أمره إلي اللّه فقال: « وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَي اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ فَوَقاهُ اللَّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا » ، ولا ريب أنّ هذامتفرع علي قوة الإيمان باللّه وسبباً لشدّة اليقين أيضاً ، والرضا بقضاء اللّه في الشدّة والرخاء ، والعافية والبلاء .

وهذا أيضاً يحصل من الإيمان بكونه سبحانه مالكاً لنفع العباد

وضرّهم ، ولا يفعل بهم إلاّ ما هو الأصلح لهم.

1- مصباح الشريعة: 176 ، سعد السعود : 133 .

ويصير أيضاً سبباً لكمال اليقين والتسليم لأمر اللّه ، أي الانقياد له في كلّ ما أمر به ونهي عنه ، ولنبيه وأوصيائه فيما صدر عنهم من الأقوال والأفعال ، كما قال سبحانه « فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤمِنُونَ حَتَّي يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ».

ومدخلية هذه الخصلة في الإيمان وكماله أظهر من أن يحتاج إلي البيان واللَّهُ الْمُسْتَعانُ(1) .

امتداحه باليقين والصبر علي الشدائد

إنّ الموقن يتوكّل علي اللّه، ويفوض أمره إليه، فيقيه عن كلّ مكروه كما قال – عزّ وجلّ – « أَلَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ » ، وكما قال مؤمن آل فرعون: « وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَي اللّهِ إِنَّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ فَوَقاهُ اللّهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا » .

وسرّ ذلك أنّ المؤمن الموقن المنتهي إلي حدّ الكمال لا ينظر إلي الأسباب والوسائط في النفع والضر ، وإنّما نظره إلي مسببها ، وأمّا من لم يبلغ ذلك الحدّ من اليقين ، فإنّه يخاطب بالفرار قضاء لحقّ الوسائط(2) .

أشار الي وجوب الأخذ بكلامه لأ نّه موافق للاحتياط

روي الشيخ الطوسي في حديث: . . . فجاء علي عليه السلام فقال له عثمان : ألا تغني عنّا سفيهك هذا !!

1- بحار الأنوار : 65/341 باب 27 .

2- انظر بحار الأنوار : 67/151 باب 52 .

قال : أيّ سفيه ؟ قال : أبوذر .

قال علي عليه السلام ليس بسفيه ، سمعت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول : ما أظلّت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء ، أصدق لهجة من أبي ذر ، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون ، إن يك كاذباً فعليه كذبه ، وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم(1) .

الشهادة له بأنّه ممّن يدخل الجنة بمجرد القتل

في أوائل المقالات: قال في قصة مؤمن آل فرعون: « قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ(2) » .

فكان القتل جسره الي جنات النعيم ، وبمجرد أن قتل قيل له ادخل الجنة ، وكذا كان زهير وصحبه فقد رأي موضعه في الجنة قبل القتل ، وقد شبه لهم الحسين عليه السلام في بعض كلماته الشهادة بالجسر الذي يعبرون عليه من الدنيا الفانية الي الآخرة الباقية .

تشبيهه بأصحاب الكهف وأبي طالب وأنّ اللّه كتب لهم الأجر مرّتين

إنّ أصحاب الكهف كتموا إيمانهم مع قومهم حتي تمكّنوا من مطلوبهم ، وقصتهم مشهورة ، وحالهم معلومة ، وقد روي عن الأئمة من آل محمد صلي الله عليه و آله ومواليهم أنّ حال أبي طالب عليه السلام كحال أصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون .

1- الأمالي للطوسي : 71 .

2- أوائل المقالات : 49 .

ومثل ذلك في القرآن المجيد والسير والآثار كثير لا يبلغ أمده ولا يحصي عدده .

وقد روي بالإسناد عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عليهم السلامفي حديث طويل يذكر فيه : أنّ اللّه - تبارك وتعالي - أوحي إلي رسوله صلي الله عليه و آله : إنّي قد أيّدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً ، وشيعة تنصرك علانية ، فأمّا التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم عمّك أبو طالب عليه السلاموأمّا التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب عليهماالسلام ، ثم قال : وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتم إيمانه .

وقال الصادق عليه السلام إنّ جبرئيل عليه السلام أتي النبي صلي الله عليه و آله فقال: يا محمد ، إنّ ربّك يقرئك السلام ويقول لك: إنّ أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك ، فأتاهم اللّه أجرهم مرتين ، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك ، فأتاه اللّه أجره مرتين(1) .

الشهادة له بأنّه من شيعة أهل البيت الخلص

روي أنّه دخل رجل علي محمد بن علي بن موسي الرضا عليهماالسلام وهو مسرور ، فقال: ما لي أراك مسروراً؟ قال: يا ابن رسول اللّه ، سمعت أباك يقول: أحقّ يوم بأن يسرّ العبد فيه يوم يرزقه اللّه صدقات ومبرات وسدّ خلات من إخوان له مؤمنين ، وإنّه قصدني اليوم عشرة

1- إنّ ثمة ارتباطاً وثيقاً بين سورة الكهف وبين الحسين عليه السلام حيث كان عليه السلام يقرأها ورأسه المقدّس علي رأس السنان .

من إخواني المؤمنين الفقراء لهم عيالات ، قصدوني من بلد كذا وكذا ، فأعطيت كلّ واحد منهم ، فلهذا سروري .

فقال محمد بن علي عليه السلام لعمري إنّك حقيق بأن تسرّ إن لم تكن أحبطته ، أو لم تحبطه فيما بعد .

فقال الرجل: وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخلص ؟!

قال : هاه ، قد أبطلت برّك بإخوانك وصدقاتك .

قال : وكيف ذاك يا ابن رسول اللّه؟

قال له محمد بن علي عليهماالسلام : اقرأ قول اللّه عزّ وجلّ : « يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ والأذي » .

قال الرجل : يا ابن رسول اللّه ، ما مننت علي القوم الذين تصدّقت

عليهم ، ولا آذيتهم .

قال له محمد بن علي عليهماالسلام : إنّ اللّه – عزّ وجلّ – إنّما قال: « لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ والأذي » ، ولم يقل: لا تبطلوا بالمنّ علي من تتصدقون عليه، وبالأذي لمن تتصدقون عليه ، وهو كلّ أذي ، أفتري أذاك للقوم الذين تصدّقت عليهم أعظم ، أم أذاك لحفظتك وملائكة اللّه المقربين حواليك ، أم أذاك لنا ؟فقال الرجل : بل هذا يا ابن رسول اللّه .

فقال : فقد آذيتني وآذيتهم ، وأبطلت صدقتك .

قال : لماذا ؟ قال لقولك : وكيف أحبطته وأنا من شيعتكم الخلص ؟! ويحك ، أتدري من شيعتنا الخلص ؟ قال : لا .

قال : شـيعتنا الخلص حزقيل المؤمن ، مؤمن آل فرعون ، وصاحب يس الـذي قال اللّه تعالي فيه: « وجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْـعي » ، وسلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، وعمار ، أسوّيت نفسك بهؤلاء ؟! أما آذيت بهذا الملائكة ، وآذيتنا ؟

فقال الرجل : أستغفر اللّه وأتوب إليه ، فكيف أقول ؟

قال : قل: أنا من مواليكم ومحبّيكم ، ومعادي أعدائكم ، وموالي أوليائكم.

فقال : كـذلك أقول ، وكـذلك أنا يا ابن رسول اللّه ، وقـد تبت من القول الـذي أنكرته ، وأنكرته الملائكة ، فما أنكرتم ذلك إلاّ لإنكار اللّه عزّ وجلّ .

فقال محمد بن علي بن موسي الرضا عليهماالسلام : الآن قد عادت إليك مثوبات صدقاتك ، وزال عنها الإحباط(1) .

شبهه بمن يقومون مع القائم قياماً خاصاً

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد اللّه عليه السـلام قال : إذا قام قائم آل محمد صـلي الله عليه و آله استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً ، خمسة عشـر من قوم موسي الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون ، وسبعة من أصحاب الكهف ،ويوشع وصي موسي ، ومؤمن آل فرعون ، وسلمان الفارسي ، وأبا دجانة الأنصاري ، ومالك الأشتر(2) .

ولا شكّ أنّ زهير سيكرّ فيمن يكرّ من أصحاب سيد الشهداء عليه السلام .

1- تفسير الإمام العسكري : 314 ح160 .

2- تفسير العياشي : 2/32 ح90 .

مواقف زهير

اشارة

بالرغم من شحّة النصوص التاريخية التي تتحدّث عن زهير بن القين وأصحاب سيد الشهداء عليه السلام الآخرين ، إلاّ أنّ ما توفر لدينا يرسم صورة مشرقة مشرفة تتطاول لها أعناق الموالين والشرفاء والأحرار والشيعة والمؤمنين في كلّ الأعصار والأمصار .

ويمكن للمحقّق والباحث أن يستنطق النصوص التاريخية ويستنتج منها الكثير من المواقف بمقدار ما يفتح عليه اللّه تبارك وتعالي، وسيد الشهداء عليه السلام .

ونحاول هنا أن نذكر بعض مواقفه ، ونترك البعض الآخر ممّا تناثر في ثنايا هذا الكتاب ، لئلا يلزم التكرار .

موقف زهير بذي حسم

قال عقبة بن أبي العيزار : قام حسين عليه السلام بذي حسم ، فحمد اللّه وأثنيعليه ، ثم قال :

إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، واستمرت جدا(1) فلم يبق منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء ،

1- في بعض النسخ : « جداء » وفي بعضها : « حذاء » .

وخسيس عيش كالمرعي الوبيل ، ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به ، وأنّ الباطل لا يتناهي عنه ، ليرغب المؤمن في لقاء اللّه محقّاً ، فإني لا أري الموت إلاّ شهادة(1) ولا الحياة مع الظالمين إلاّ برما .

قال : فقام زهير بن القين البجلي ، فقال لأصحابه : تكلّمون أم أتكلّم ؟

قالوا : لا ، بل تكلّم .

فحمد اللّه فأثني عليه ، ثم قال :

قد سمعنا – هداك اللّه يا ابن رسول اللّه – مقالتك ، واللّه لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنّا فيها مخلدين ، إلاّ أنّ فراقها في نصرك ومواساتك ، لآثرنا الخروج معك علي الإقامة فيها .

قال : فدعا له الحسين ، ثم قال له خيرا(2) . .

زهير مع الحسين عليه السلام علي مشارف كربلاء

قال الشيخ المفيد في الإرشاد : وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان علي غير ماء ولا قرية ، فقال له الحسين عليه السلام : دعنا – ويحك – ننزل فيهذه القرية أو هذه – يعني نينوي والغاضرية(3) – أو هذه – يعني شفية – .

1– في بعض النسخ : « سعادة » .

2– تاريخ الطبري : 4/305 – 304 ، المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين : 225 ، أعيان الشيعة: 7/71، اللهوف للسيد ابن طاووس : 47، إبصار العين للسماوي: 177.

3– لما كانت كربلاء هي أم لعدّة قري تحيط بها ، فقد أطلقت أسماء تلك القري مجازا علي كربلاء ، وإنّ بعض أسماء هذه القري عامة واسعة ، وبعضها أسماء خاصة لمنطقة محدودة ضيقة . ومن تلك الأسماء : الطف أو الطفوف : الطف في اللغة ما أشرف من أرض العرب علي ريف العراق ، وإنّما سمّي طفا لأ نّه دنا من الريف من قولهم : خذ ما طفا لك واستطف أي ما دنا وأمكن معجم البلدان للحموي : 6/52 وكانت قري الطف قبل الفتح الإسلامي ضياعا لكبار العجم . . . نينوي : وتقع شرقي كربلاء ، وهي سلسلة تلول أثرية تمتد من جنوب سدّة الهندية حتي مصب نهر العلقمي في الأهوار ، وتعرف بتلول نينوي ، وكانت إذ ذاك قرية عامرة زاهرة بالعلوم والمعارف في عهد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . . وكان اسم كربلاء يطلق علي نينوي ، واسم هذه علي تلك علي حدّ سواء . . النواويس : وهي الآن مقابر ، مفردها ناووس علي وزن فاعول ، واللفظة من الدخيل ، وهذه القطعة واقعة شرقي كربلاء ممّا يلي بحيرة السليمانية في محل يقال له « براز علي » وزان ذهاب ، وتتصل بنهر الحسينية ، وتوجد في هذه القطعة الآثار المؤيدة بصحة موقعها ووجودها كالتلال والروابي والمرتفعات ، ويستخرج أحيانا منها توابيت الخزف ، وفي داخلها طريق ضيق للغاية ، ويوجد في قعره تراب أصفر اللون . . وذكر بعضهم أنّ النواويس التي وردت في عرض كلام الحسين عليه السلام واقعة ممّا يلي قبر الحر بن يزيد الرياحي ، وعرف بعضهم كربلاء بأنّه مجاور لقبر ابن حمزة علي النهر المشهور بنهر الحلّة القريب من الوادي العتيق . . . والنواويس مقابر النصاري كما في حواشي الكفعمي ، وسمعنا أ نّها في المكان الذي فيه مزار الحر الرياحي من شهداء الطف ، وهو فيما بين الغرب وشمال البلد . وهذا القول هو الرأي السائد لدي المؤرخين

، فقالوا : إنّ النواويس مقابر النصاري الذين سكنوا كربلاء قبل دخول المسلمين ، وقد ذكرها الحسين عليه السلام في إحدي خطبه لمّا توجه الي الكوفة فقال : « كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء . . » . وكانت هذه البقاع من بابل الي الكوفة والحيرة فالي أطراف خليج فارس آهلة بقبائل عربية ، وكانت بعضها تدين بالمسيحية علي مذهب النساطرة (انظر العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان : 187) . العقر : قال ياقوت الحموي : العقر بفتح أوله وسكون ثانيه ، منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة . . الغاضرية : ذكرها ياقوت الحموي : قال : « الغاضرية بعد الألف ضاد معجمة منسوبة الي غاضرة من بني أسد ، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء (معجم البلدان : 6/261) . وجاء في « مدينة الحسين عليه السلام » : الغاضريات نسبة الي غاضرة ، وكلمة غاضرة هي اسم لامرأة من بني عامر ، وهم بطن من بني أسد ، كانوا يسكنون هذه الأراضي التي تقع اليوم شمال الهيابي التي فيها مصانع الآجر ، وتبعد عن كربلاء أقلّ من نصف كيلومتر » . وكانت قرية عامرة كبيرة تمتد علي ضفة الفرات في شمال كربلاء الي شمالها الشرقي ، أي علي طريق بغداد القديم . روي أن الحسين عليه السلام اشتري النواحي التي فيها قبره من أهل نينوي والغاضرية بستين ألف درهم وتصدّق بها عليهم وشرط أن يرتدوا الي قبره ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام . وقال الصادق عليه السلام : حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال ، فهو حلال لولده ومواليه حرام علي غيرهم ممّن خالفهم وفيه البركة . وكان الطريق بين الغاضرية وكربلاء بضعة أمتار حيث الآن حرم أبي الفضل العباس عليه السلام ، لأ نّه قتل بطريق الغاضرية علي المسناة (انظر الإرشاد للمفيد : 210) بجانب الفرات . وكانت المسناة مبنية بالآجر من النوع الكبير الذي يوجد أحيانا تحت الأرض في كربلاء وأطرافها . وكلّ مظاهر الثروة والنعمة والرخاء كانت بادية علي الغاضرية وجارتها نينوي بنخيلها الكثير وأشجارها الباسقة ، وكان يسكن هاتين الضيعتين كبار الملاكين من أصحاب الأطيان والأراضي الكبيرة الي مسافة بعيدة من أطراف كربلاء ، لأنّ الحسين عليه السلام بعد نزوله كربلاء في أوائل العشرة الأولي من محرم الحرام عام 61 من الهجرة اشتري من أهل الغاضرية ونينوي مساحة كبيرة من الأراضي الواقعة أطراف هذه البقعة كانت تبلغ مساحتها من حيث المجموع أربعة أميال في أربعة أميال بستين ألف درهم ، ثم تصدّق عليهم بتلك الأراضي الواسعة شرط أن يقوم أهلها بإرشاد الزائرين الي قبره الشريف ، وأن يقوموا بضيافتهم ثلاثة أيام غير أ نّهم لم يفوا بهذا الشرط من القيام بإرشاد الزوّار وضيافتهم ، فسقط حقّهم فيها ، وبقيت تلك الأراضي المشتراة منهم ملكا للحسين عليه السلامولولده من بعده كما كان الحال قبل التصدّق بها عليهم بذلك الشرط (انظر جغرافية كربلاء القديمة وبقاعها للدكتور جواد الكليدار : 12) . قصر مقاتل : يقع هذا القصر في جنوب حصن الأخيضر ، قال ياقوت : « قصر مقاتل قصر كان بين عين التمر والشام » وقال السكوني : هو قرب القطقطانة وسلام ثم القريات ، وهو منسوب الي مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس . . وأخبار هذا القصر أي مقاتل كثيرة في كتب الأدب والتاريخ . الحائر أو الحير : وهو اسم من أسماء كربلاء العديدة كانت تعرف به منذ العصر الأول ، فكان يطلق تارة علي المدينة وأخري علي القبر المطهر علي حد سواء كما يستدل ذلك من أقوال المؤرخين وأهل اللغة ، فالأراضي المنخفضة المحيطة بالروضة المطهرة وقف حولها الماء وحار عنه القبر لمّا أجراه قائد المتوكل « الديزج » ليطمس آثار معالم القبر ويعفي أثره عام 236 ه- ، وقد أحيط هذا الاسم بحرمة وتقديس وأنيطت به أعمال وأحكام شرعية وتعبدية فيها البركة وقبول الدعاء والقربة الي اللّه تعالي ، وفي هذه القدسية وردت عن الأئمة عليهم السلام روايات كثيرة . ثم توسع معني الحائر فصار يطلق علي البناء الذي يحيط بالقبر . . . شط الفرات أو شاطيء الفرات : كانت كربلاء تعرف حينا بشط الفرات وآخر بشاطي ء الفرات ، لأ نّها واقعة علي طرف البرية في جهة وعلي جانب الفرات من جهة أخري ، وهو الفرات الذي يمرّ بها ، وكثيرا ما ورد ذكر كربلاء بأحد هذين الاسمين في كتب الحديث والتاريخ . . ولأرض كربلاء أسماء سمّيت بعد مقتل الحسين عليه السلام أبرزها : « مشهد الحسين عليه السلام » . وسمّيت كربلاء بأرض ما بين النهرين لوقوعها بين الخندق ونهر العلقمي . . نقلناه باختصار عن الدكتور سلمان آل طعمة في كتابه تاريخ مرقد الحسين عليه السلاموالعباس عليه السلام : 21 - 29 .

قال : لا واللّه ، ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بعث إليّ عيناً عليّ .

فقال له زهير بن القين : إنّي واللّه ، ما أراه يكون بعد هذا الذي ترون إلا أشدّ مما ترون ، يا ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، إنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم ، فلعمري ليأتينا بعدهم ما لا قبل لنا به .

فقال الحسين عليه السلام : صدقت يا زهير ، ولكن ما كنت بالذي أنذرهم بقتال حتي يبتدروني(1)

1- قال ابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح : 5/80 - 81 .:.. وأصبح الحسين عليه السلاممن وراء عذيب الهجانات ، وإذا بالحر بن يزيد قد ظهر له أيضاً في جيشه . فقال الحسين عليه السلام : ما وراءك يا بن يزيد ؟! أليس قد أمرتنا أن نأخذ علي الطريق ، فأخذنا وقبلنا مشورتك ؟ فقال : صدقت ، ولكن هذا كتاب عبيد اللّه بن زياد قد ورد علي يؤنبني ويعنفني في أمرك . فقال الحسين عليه السلام فذرنا حتي ننزل بقرية نينوي أو الغاضرية ، فقال الحر : لا واللّه ما أستطيع ذلك ، هذا رسول عبيد اللّه بن زياد معي ، وربما بعثه عيناً عليّ . قال : فأقبل الحسين بن علي عليهماالسلام علي رجل من أصحابه يقال له زهير بن القين البجلي ، فقال له : يا بن بنت رسول اللّه ! ذرنا حتي نقاتل هؤلاء القوم ، فإنّ قتالنا الساعة نحن وإياهم أيسر علينا وأهون من قتال من يأتينا من بعدهم . فقال الحسين عليه السلام : صدقت يا زهير ! ولكن ما كنت بالذي أنذرهم بقتال حتي يبتدروني . فقال له زهير : فسر بنا حتي نصير بكربلاء ، فإنها علي شاطئ الفرات فنكون هنالك ، فإن قاتلونا قاتلناهم ، واستعنا باللّه عليهم . قال : فدمعت عينا الحسين عليه السلام ثم قال : اللّهم ! ثم اللّهم ! إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء ! ونزل الحسين في موضعه ذلك ، ونزل الحر بن يزيد حذاءه في ألف فارس ، ودعا الحسين بدواة وبيضاء وكتب إلي أشراف الكوفة . . .

فقال له زهير : فسـر بنا إلي هذه القرية ، فإنّها حصينة ، وهي علي شاطيء الفرات ، فإن منعونا قاتلناهم ، فقتالهم أهون من قتال من يجيء من بعدهم .

فقال الحسين عليه السلام : وأيّة قرية هي ؟

قال : هي العقر .

فقال الحسين : اللّهم إنّي أعوذ بك من العقر .

فقال له زهير : فسر بنا حتي نصير بكربلاء ، فإنّها علي شاطي ء الفرات فنكون هنالك ، فإن قاتلونا قاتلناهم ، واستعنا باللّه عليهم .

قال : فدمعت عينا الحسين عليه السلام ثم قال : اللّهم ! ثم اللّهم ! إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء !

ونزل الحسين عليه السلام في موضعه ذلك ، ونزل الحر بن يزيد حذاءه فيألف فارس(1) ، وذلك يوم الخميس وهو اليوم الثاني من المحرم سنة إحدي وستين(2) .

منع العدو من الدخول علي الحسين عليه السلام خوفاً من إغتياله

لمّا جاء عمر بن سعد – لعنه اللّه – دعا بعض أصحابه ليمضي الي الحسين عليه السلام ويسأله عمّا جاء به الي كربلاء ، فاعتذروا اليه ، لأ نّهم كانوا

قد كاتبوه من قبل ودعوه .

فدعا ابن سعد – لعنه اللّه – بكثير بن شهاب وقال له : انطلق إلي الحسين عليه السلام وقل له : ما الذي جاء بك إلينا ؟ وأقدمك علينا ؟

فأقبل حتي وقف بإزاء الحسين عليه السلام ونادي : يا حسين ! ما الذي جاء بك إلينا وأقدمك علينا ؟

فقال الحسين عليه السلام أتعرفون هذا الرجل ؟

فقال له أبو ثمامة الصيداوي: هذا من أشرّ أهل الأرض.

فقال عليه السلام سلوه ما يريد ؟

فقال: أريد الدخول علي الحسين عليه السلام .

1- الفتوح لابن أعثم : 5/80 .

2- الإرشاد للمفيد : 2/84 ، روضة الواعظين للفتال النيسابوري : 180 ، إبصار العين للسماوي : 178 ، تاريخ الطبري : 3/310 ، بحار الأنوار : 44/380 ، مستدرك الوسائل للميرزا النوري : 11/80 .

فقال له زهير بن القين: ألق سلاحك وادخل .فقال: لست أفعل .

فقال: انصرف من حيث أتيت.

فانصرف إلي ابن سعد وأخبره بذلك(1) . . .

الوقوف أمام الحسين عليه السلام يقيه بنفسه في الصلاة

وقف أبو الأئمة عليهم السلام يوم عاشوراء ، وقد اجتمع عليه ثلاثون ألفاً ، وافترقوا عليه أربع فرق : فرقة بالسيوف ، وفرقة بالرماح ، وفرقة بالسهام ، وفرقة بالحجارة ، فبينا هو في هذه الحالة ، إذ حضرت صلاة الظهر ، فأمر عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد اللّه الحنفي أن يتقدّما أمامه بنصف من تخلّف معه ، فتقدّما أمامه يقيان بنفسهما نفسه(2) وصلّي بهم صلاة الخوف بعد أن طلب منهم الفتور عن القتال لأداء الفرض .

قال ابن حصين : إنها لا تقبل منك ، قال حبيب بن مظاهر : لا يقبل من آل رسول اللّه وأنصارهم ، وتقبل منك وأنت شارب الخمر(3) !!

1- موسوعة كلمات الإمام الحسين: 462 ، عن معالي السبطين: 1/309 ، مقتل الحسين عليه السلام : 81 ، الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه: 1/124 ، وفي المصادر الأخري كتاريخ الطبري ، والبحار ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي وغيرها: أنّ الذي قام له ومنعه هو أبو ثمامة الصائدي .

2- مستدرك سفينة البحار لعلي النمازي : 4/383 .

3- مثير الأحزان لابن نما الحلي : 48 ، المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين : 341 .

وروي سبط ابن الجوزي هذا الموقف أيضاً فقال :

ثم جاء وقت صلاة الظهر ، فصلّي بأصحابه صلاة الخوف ، فبينا هم فيالصلاة تكالبوا عليه ، فحمل زهير بن القين يذبّ عن الحسين عليه السلامويقول : « أنا زهير وأنا ابن القين . . . » .

ثم صاح زهير بالحسين عليه السلام : « أقدم هديت هادياً مهديا(1) » .

الحسين عليه السلام يخبر عن سؤال زهير وحبيب

روي صاحب الهداية الكبري بالإسناد عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت علياً بن الحسين عليهماالسلام يقول :

لمّا كان اليوم الذي استشهد فيه أبو عبد اللّه عليه السلام جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم ، فقال لهم : يا أهلي وشيعتي ، اتخذوا هذا الليل جملاً لكم وانجوا بأنفسكم ، فليس المطلوب غيري ، ولو قتلوني ما فكروا فيكم ، فانجوا بأنفسكم رحمكم اللّه ، فأنتم في حلّ وسعة من بيعتي ، وعهد اللّه الذي عاهدتموني .

فقال إخوته وأهله وأنصاره بلسان واحد : واللّه يا سيدنا أبا عبد اللّه ، لا تركناك أبداً ، أيش يقول الناس : تركوا إمامهم وسيدهم وكبيرهم وحده حتي قتل ؟! ونبلوا بيننا وبين اللّه عذراً ، وحاش للّه أن يكون ذلك أبداً ، أو نقتل دونك .

1- تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : 227 .

فقال عليه السلام : يا قوم ، فإني غداً أقتل وتقتلون كلّكم حتي لا يبقي منكم أحد .فقالوا : الحمد للّه الذي أكرمنا بنصرتك ، وشرّفنا بالقتل معك ، أو لا ترضي أن نكون معك في درجتك يا ابن بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ فقال لهم خيراً ، ودعا لهم بخير . . .

فقال له القاسم ابن أخيه الحسن عليه السلام : يا عمّ وأنا أقتل ؟

فاشفق عليه ، ثم قال : يا ابن أخي كيف الموت عندك ؟

قال : يا عمّ ، أحلي من العسل .

قال : أي واللّه ، إنّك لأحد من يقتل من الرجال معي بعد أن تبلو بلاءا عظيماً ، وابني عبد اللّه .

قال : يا عمّ ، ويصلون إلي النساء حتي يقتل عبد اللّه ، وهو رضيع ؟!!

فقال : فداك عمّك! يقتل عبد اللّه إذا جفت روحي عطشاً ، وصرت إلي خيامنا فطلبت ماء ولبناً ، فلا أجد قط ، فأقول : ناولني عبد اللّه أشرب من فيه أندي لهواتي ، فيعطوني إياه ، فأحمله علي يدي ، فأدني فاه من في ، فيرميه فاسق منهم – لعنه اللّه – بسهم ، فينحره ، وهو يناغي ، فيفيض دمه في كفّي ، فأرفعه إلي السماء ، وأقول : اللّهم صبراً واحتساباً فيك ، فتلحقني الأسنة منهم ، والنار تحرق وتسعر في الخندق الذي في ظهر الخيم ، فأكرّ عليهم في آخر أوقات بقائي في دار الدنيا ، فيكون ما يريد اللّه .

فبكي وبكينا ، وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول اللّه صلي الله عليه و آله في الخيم .

ويسألني زهير بن القين وحبيب بن مظاهر عن علي عليه السلام فيقولان : يا سيدنا ، علي عليه السلام إلي ما يكون من حاله ؟فأقول مستعبراً : لم يكن اللّه ليقطع نسلي من الدنيا ، وكيف يصلون إليه ، وهو أبو ثمانية أئمة .

وكان كلّما قاله صار ، فكان هذا من دلائله(1) .

يكشف هذا السؤال عن مدي اهتمام حبيب وزهير – وهما يمثلان الأنصار ، لأنّهما علي ميمنة معسكر الحسين عليه السلام وميسرته التي تضمّ

الأنصار جميعاً – بحرم الرسالة وسكان سرادق العزّة ، ومخدرات أمير المؤمنين عليه السلام لأنّهما سمعا من الصادق المصدق ، والسبط الزكي المطهر أنّ المعسكر كلّه سينتقل في يوم واحد الي رحاب اللّه ، حتي القاسم وعبد اللّه عليهماالسلام فمن يبقي مع النساء ؟ وهل ستقطع بنات الرسالة وعقائل النبوة

بقية المسيرة دون أن يكون معهن محرم أو ولي وحمي ؟!

إنّها الغيرة النبيلة علي نساء الحسين عليه السلام وحرمه !

ثم إنّه سؤال يكشف أيضاً عن عمق معرفة هذين الرجلين المقدّسين

بالولاء والإمامة ، فهما يسألان ما إذا سيقتل علي بن الحسين عليهماالسلام أيضاً ، فهذا يعني أنّ الدنيا ستنتهي ، ونظام الكون سيتفكك ، وتقوم القيامة بعد الطف ، لأنّهما يعرفان تمام المعرفة أنّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام نصت

1– الهداية الكبري لحسين بن حمدان الخصيبي : 205 – 204 ، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني : 4/216 .

بمـا لاـ يعتريه شـك ولاـ ريب أنّ الـدنيا لا تقوم إلاّ بإمام ، ولو خلت الأرض من حجـة وإمام ولو للحظـة واحـدة لساخت بأهلها ، فإذا قتل زينالعابدين وسيد الساجدين عليه السلام فكيف ستستمر رحلة البشرية حتي تدرك القائم المنتظر عجّل اللّه تعالي فرجه ؟!

زهير في جملة الممثلين للحسين عليه السلام

يستمهل القوم مع العباس عليه السلام

سيأتي مفصلاً في مناقشة اتهامه بالتعثمن .

موقف زهير ليلة العاشر

كتب عبيـد اللّه بن زياد الي عمر بن سـعد كتاباً جاء فيه : إذا أتاك كتابي هـذا ، فلا تمهلن الحسـين بن علي ، وخـذ بكظمه ، وحل بين الماء وبينه ، كما حيل بين عثمان وبين الماء يوم الدار .

فلمّا وصل الكتاب إلي عمر بن سعد – لعنه اللّه – ، أمر مناديه ، فنادي : إنّا قد أجلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم .

فجمع الحسـين عليه السـلام أصـحابه عند قرب المساء ، قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم ، وأنا إذ ذاك مريض ، فسمعت أبي يقول لأصحابه :

أثني علي اللّه أحسن الثناء ، وأحمده علي السراء والضراء ، اللّهم إنّي أحمدك علي أن أكرمتنا بالنبوة ، وعلّمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ،وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، فاجعلنا من الشاكرين .

أمّا بعد :

فإنّي لا أعلم أصحابا أوفي ، ولا خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ وأوصل من أهل بيتي ، فجزاكم اللّه عني خيراً .

ألا وإنّي لأظن يوماً لنا من هؤلاء ، ألا وإنّي قد أذنت لكم ، فانطلقوا جميعاً في حلّ ، ليس عليكم حرج مني ولا ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً .

فقال له إخوته وأبناو وبنو أخيه وابنا عبد اللّه بن جعفر : لم نفعل ذلك! لنبقي بعدك ؟ لا أرانا اللّه ذلك أبداً .

بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليهماالسلام واتبعته الجماعة عليه ، فتكلّموا بمثله ونحوه .

فقال الحسين عليه السلام : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل عليهماالسلام فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم .

فقالوا : سبحان اللّه ! ما يقول الناس ؟! نقول : إنّا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا ، خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برمح ، ولم نضرب معهم بسيف ، ولا ندري ما صنعوا ، لا واللّه ما نفعل ذلك ، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ، ونقاتل معك حتي نرد موردك ، فقبّح اللّه العيش بعدك .

وقـام إليه مسـلم بن عوسـجة ، فقـال : أنحن نخلي عنك ؟! وبما نعتـذر إلي اللّه في أداء حقّك ؟ لا واللّه حتي أطعن في صـدورهم برمحي ، وأضربهم بسيفي ماثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به ، لقذفتهم بالحجارة ، واللّه لا نخليك حتي يعلم اللّه أنا قد حفظنا غيبة رسول اللّه صلي الله عليه و آله فيك .

أما واللّه ، لو علمت أني أقتل ، ثم أحيي ، ثم أحرق ، ثم أحيي ، ثم أذري ، يفعل ذلك بي سبعين مرّة ، ما فارقتك حتي ألقي حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ، وإنما هي قتله واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

وقام زهير بن القين فقال : واللّه لوددت أنّي قتلت ، ثم نشـرت ، ثم قتلت ، حتي أقتل هكذا ألف مرّة ، وأنّ اللّه يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك .

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد ، فجزّاهم الحسين عليه السلام خيراً ، وانصرف إلي مضربه(1) .

وفي أمالي الصدوق : وقام إليه رجل يقال له « زهير بن القين البجلي »

فقال : يا بن رسول اللّه ، ووددت أني قتلت ، ثم نشـرت ، ثم قتلت ، ثم نشـرت ، ثم قتلت ، ثم نشـرت فيك وفي الـذين معك مائة قتلة ، وإنّ اللّه دفع بي عنكم أهل البيت . فقال له ولأصحابه : جزيتم خيرا(2) .

1- تاريخ الطبري : 4/318 ، روضة الواعظين : 183 ، الإرشاد للمفيد : 2/92 ، لواعج الأشجان للأمين : 119 ، أعيان الشيعة للأمين : 1/106 ، إعلام الوري للطبرسي : 1/456 ، اللهوف لابن طاووس : 56 ، بحار الأنوار : 44/316 . . .
2- أمالي الصدوق : 220 .

دفاع زهير ورجاله في الميمنة عن الحسين عليه السلام

أعلن عمر بن سعد – لعنه اللّه – حربه علي سيد الشهداء عليه السلاموأصحابهبسهم وضعه في كبد القوس ورمي به نحو معسكر الحسين عليه السلام ، وقال : اشهدوا لي أنّي أول من رمي ، ثم بدأت المعركة ، فكان أول هجوم شنّه الأشقياء بعد مبارزة عبد اللّه بن عمير الكلبي – من أصحاب الحسين عليه السلام – استهدف شخص زين السماوات والأرضين ، والحجّة علي الخلق أجمعين . .

قال الشيخ المفيد رحمه الله وغيره : وحمل عمرو بن الحجاج علي ميمنة أصحاب الحسين عليه السلام – وكان زهير علي الميمنة – فيمن كان معه من أهل الكوفة ، فلمّا دنا من الحسين عليه السلام جثوا له علي الركب ، وأشرعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم خيلهم علي الرماح ، فذهبت الخيل لترجع ، فرشقهم أصحاب الحسين عليه السلام

بالنبل ، فصرعوا منهم رجالاً ، وجرحوا منهم آخرين(1) .

دفاع زهير عن حرم الحسين عليه السلام

في إبصار العين للسماوي : وروي أبو مخنف عن حميد بن مسلم قال : حمل شمر حتي طعن فسطاط الحسين عليه السلام برمحه ، وقال : عليّ بالنار حتي أحرق هذا البيت علي أهله ، فصاحت النساء ، وخرجن من الفسطاط .

فصاح الحسين عليه السلام : يا بن ذي الجوشن ، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي علي أهلي!! حرقك اللّه بالنار .

1- الإرشاد للمفيد : 2/102 ، إعلام الوري للطبرسي : 243 الفصل 4 ، بحار الأنوار : 45/13 بقية الباب 37 .

وحمل زهير بن القين في عشـرة من أصـحابه ، فشدّ علي شمر وأصحابه ، فكشفهم عن البيوت حتي ارتفعوا عنها ، وقتل زهير أبا عزّة الضبابي منأصحاب الشمر وذوي قرباه ، وتبع أصحابه الباقين ، فتعطّف الناس عليهم ، فكثروهم ، وقتلوا أكثرهم ، وسلم زهير(1) .

وفي الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله : وقاتل أصحاب الحسين بن علي عليهماالسلام

القوم أشدّ قتال حتي انتصف النهار .

فلمّا رأي الحصـين بن نمير – وكان علي الرماة – صبر أصـحاب الحسـين عليه السلام تقدّم إلي أصحابه – وكانوا خمسمائة نابل – أن يرشقوا أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل ، فرشقوهم ، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم ، وجرحوا الرجال ، وأرجلوهم .

واشـتد القتـال بينهم ساعـة ، وجاءهم شـمر بن ذي الجوشن في أصـحابه ، فحمل عليهم زهير بن القين – رحمه اللّه – في عشـرة رجال من أصحاب الحسين فكشفهم عن البيوت ، وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن فقتل من القوم ، وردّ الباقين إلي مواضعهم .

وأنشأ زهير بن القين يقول مخاطباً للحسين عليه السلام :

اليوم نلقي جدّك النبيا***وحسناً والمرتضي عليا

وذا الجناحين الفتي الكميا(2)

1- إبصار العين للسماوي : 182 ، عن تاريخ الطبري : 3/326 .
2- الإرشاد للمفيد : 2/105 – 104 .

وفي بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله : لمّا قتل مسلم بن عوسجة صاحت جارية له : يا سيداه ، يا ابن عوسجتاه ، فنادي أصحاب ابن سعدمستبشرين : قتلنا مسلم بن عوسجة !

فقال شبث بن ربعي لبعض من حوله : ثكلتكم أمهاتكم ، أما إنّكم

تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذلّون عزّكم ، أتفرحون بقتل مسلم بن عوسجة ، أما والذي أسلمت له ، لربّ موقف له في المسلمين كريم ، لقد رأيته يوم آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتام خيول المسلمين .

ثم حمل شمر بن ذي الجوشن في الميسرة ، فثبتوا له ، وقاتلهم أصحاب

الحسين عليه السلام قتالاً شديداً ، وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً ، فلا يحملون علي جانب من أهل الكوفة إلاّ كشفوهم .

فدعا عمر بن سعد بالحصين بن نمير في خمسمائة من الرماة ، فاقتبلوا

حتي دنوا من الحسين عليه السلام وأصحابه ، فرشقوهم بالنبل ، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم ، وقاتلوهم حتي انتصف النهار ، واشتد القتال ، ولم يقدروا أن يأتوهم إلاّ من جانب واحد ، لاجتماع أبنيتهم ، وتقارب بعضها من بعض .

فأرسل عمر ابن سعد – لعنه اللّه – الرجال ليقوضوها عن أيمانهم وشمائلهم ، ليحيطوا بهم ، وأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين عليه السلام يتخلّلون ، فيشدّون علي الرجل يعرض وينهب ، فيرمونه عن قريب ، فيصرعونه فيقتلونه .

فقال ابن سعد : أحرقوها بالنار ! فأضرموا فيها .

فقال الحسين عليه السلام : دعوهم يحرقوها ، فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يجوزواإليكم ، فكان كما قال عليه السلام . . .

وأخذوا لا يقاتلونهم إلاّ من وجه واحد ، وشدّ أصحاب زهير بن

القين فقتلوا أبا عذرة الضبابي من أصحاب شمر .

فلم يزل يقتل من أصحاب الحسين عليه السلام الواحد والإثنان فيبين ذلك فيهم لقلتهم ، ويقتل من أصحاب عمر العشرة فلا يبين فيهم ذلك لكثرتهم(1)

1- بحار الأنوار : 45/21 - 20 .

شجاعة زهير

لقد امتاز أصحاب الحسين عليه السلام جميعاً بالشجاعة والفروسية والشهامة والإقدام ، وأول ما كشف عن شجاعتهم وإقدامهم وشهامتهم هو اختيارهم الوقوف في صف سيد الشهداء عليه السلام كالبنيان المرصوص ، حتي

لكأنّك تنظر الي رجل واحد يتكرر في عدّة صور ، بالرغم من وجود التفاوت الشخصي بينهم .

وإذا تأملنا في مواقف الأعداء نجد أ نّهم قدّموا إعترافات في حقّ بعض أصحاب الحسين عليه السلام كما حصل مع مسلم بن عوسجة ، أو فيهم ككوكبة كاملة كما سمعنا منادي القوم يصرخ : ويلكم يا حمقي ، مهلاً أتدرون من تقاتلون ؟ إنما تقاتلون فرسان المصر ، وأهل البصائر ، وقوماً مستميتين(1) . .

فهم إذن قوم معروفون بالشجاعة والبصيرة والإستبسال ، وأ نّهم

أصحاب مقامات ووجاهات إجتماعية بارزة .

أمّا زهير بن القين فهو نجم لامع بين « فرسان المصر وأهل البصائر والمستميتين » ، وقد رأيناه في مواقفه مع أبي الضيم وسيد الشهداء عليه السلام

1- أنصار الحسين عليه السلام لشمس الدين : 186 عن تاريخ الطبري : 4/331 .

منذ اللحظة الأولي والشجاعة تتدفق من كلّ روحه وقلبه وجسمه وكلماته وكلّ شيء فيه .

وقد اعترف له العدو لمّا طلب مبارزته أو حبيب ، قال المفيد رحمه الله : وتبارزوا فبرز يسار مولي زياد بن أبي سفيان ، وبرز إليه عبد اللّه بن عمير ، فقال له يسار : من أنت ؟ فانتسب له ، فقال : لست أعرفك ! حتي يخرج إليّ زهير بن القين ، أو حبيب بن مظاهر(1) فقال له عبد اللّه بن عمير : يا ابن الفاعلة ، وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ، ثم شدّ عليه فضربه بسيفه حتي برد(2) . . .

إنّه طلب مبارزة زهير أو حبيب لأ نّهم فيما يري من أشجع « فرسان المصر » ، والقتل بسيفهم مفخرة له لعنه اللّه .

ونحن لا نريد الإطالة والتكرار ، ففي المراجعة السريعة لبعض مواقفه التي سجلها لنا التاريخ كفاية لمعرفة شجاعته التي تذهل العقول ، وتمتلك القلوب !

أرأيته يوم وقف يستأذن الحسين عليه السلام في قتال عسكر الحر الذي خاله البعض سواد النخيل لتلاحمه وكثرته وتداخل راياته وأسنته وسيوفه ورماحه ، وهو في وعثاء السفر ، وأتعاب الطريق ، علي غير ماء ولا ملجأ في وسط الصحراء القاحلة المكشوفة .

1- ولابد لهذه الموازنة بين زهير وحبيب هنا أو في اختيار الحسين عليه السلام لهما علي الميمنة والميسرة أبعاد ومعاني تدعو الي التأمل والتدبر !

2- بحار الأنوار : 45/12 .

ورأيناه يوم وقف أمام تلك الجيوش الجرارة ، والوحوش الكاسرة ، والأمواج المتلاطمة من الرجال والسلاح ، وهو يعظهم بكلّ شجاعة وثبات وإستقامة . .

ورأيناه في غاية الثبات والإستقامة والشجاعة والإقدام وهو يواسي

الحسين بشهادة حبيب ، ويواسي العباس عليه السلام بذكر قصة زواج أمير المؤمنين عليه السلامبأمّه عليهاالسلام ويدفع هجوم الشمر وعسكره علي الخيام في عشرة من رجاله فقط !! ويقف أمام الحسين عليه السلام ليقيه بنفسه في الصلاة ، ثم ينبري وحده ليفرق الجيش ويبعدهم عن الحسين عليه السلاموأصحابه وهم في الصلاة !!

وتوّج كلّ مشاهد الشجاعة في مبارزته وقتاله وأخيراً في شهادته . . .

ص: 88

مقام الوعظ

اشارة

في تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية ، والكامل في التاريخ ، وتاريخ اليعقوبي ، ولواعج الأشجان ، واللفظ للأول :

قال أبو مخنف : فحدّثني علي بن حنظلة بن أسعد الشامي عن رجل من قومه شهد مقتل الحسين عليه السلام حين قتل يقال له « كثير بن عبد اللّه الشعبي(1) » قال :

لمّا زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج إلينا زهير بن القين علي فرس له ذنوب ، شاك في السلاح ، فقال:

يا أهل الكوفة ، نذار لكم من عذاب اللّه نذار(2) إنّ حقّاً علي المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتي الآن إخوة ، وعلي دين واحد ، وملّة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منّا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنّا أمّة وأنتم أمّة .

إنّ اللّه قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلّي اللّه عليه وآله وسلّم ،

1- وهو أحد الإثنين الذين اشتركا في قتل زهير بن القين ، كما سيأتي .

2- تاريخ اليعقوبي : 2/244 : « نذار لكم من عذاب اللّه ! نذار عباد اللّه! » . وفي أعيان الشيعة : 7/71 : « بدار إنذار لكم من عذاب اللّه بدار نذار » .

لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنّا ندعوكم إلي نصـرهم ، وخذلان الطاغية عبيد اللّه بن زياد ، فإنّكم لا تدركون منهما إلاّ بسوء عمر سلطانهما كله ، ليسملان(1) أعينكم ، ويقطعـان أيـديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم علي جـذوع النخل ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه .

قال : فسـبّوه وأثنوا علي عبيد اللّه بن زياد ، ودعوا له ، وقالوا : واللّه لا نبرح حتي نقتل صاحبك ، ومن معه ، أو نبعث به وبأصـحابه إلي الأمير عبيد اللّه سلماً .

فقال لهم : عباد اللّه ، إنّ ولد فاطمة رضوان اللّه عليها ، أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية ، فإن لم تنصروهم فأعيذكم باللّه أن تقتلوهم ، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية ، فلعمري إنّ يزيد ليرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام .

قال: فرماه شمر بن ذي الجوشن بسهم ، وقال : اسكت ، أسكت اللّه نأمتك(2) أبرمتنا بكثرة كلامك .

فقـال له زهير : يـا ابن البوال علي عقبيه ، مـا إياك أخاطب ، إنما أنت بهيمـة ، واللّه ما أظنّك تحكم من كتاب اللّه آيتين ، فأبشـر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم

1- يسملان : يقال : سمل عينه أي فقأها بميل محمي .

2- في إبصار العين للشـيخ محمد السماوي : أسكت اللّه نامتك : النأمة بالهمزة ، والنامة بالتشديد : الصوت ، يقال ذلك كناية عن الموت ، وهو دعاء عند العرب مشهور .

فقال له شمر : إنّ اللّه قاتلك وصاحبك عن ساعة .

قال : أفبالموت تخوفني ؟! فواللّه للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم .

قال : ثم أقبل علي الناس رافعاً صوته ، فقال : عباد اللّه ، لا يغرنّكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه ، فواللّه لا تنال شفاعة محمد صلّي اللّه عليه وآله وسلّم قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم .

قال : فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد اللّه يقول لك : أقبل ، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت ، لو نفع النصح والابلاغ(1) .

وفي العقائد الإسلامية نقلاً عن تاريخ الطبري : . . . فقال : عباد اللّه لا يغرنّكم من دينكم هذا الجلف الجافي.. فو اللّه لا تنال شفاعة محمد قوماً أراقوا دماء ذريته وأهل بيته !! ولا يقبل عمل المسلم إلاّ بحبّهم(2) .

* * *

وفي تاريخ اليعقوبي : وخرج زهير بن القين علي فرس له فنادي :

يا أهل الكوفة ! نذار لكم من عذاب اللّه ! نذار عباد اللّه ! ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنصر من ولد سمية ، فإن لم تنصروهم ، فلا تقاتلوهم .

1- تاريخ الطبري : 4/323 ، البداية والنهاية لابن كثير : 8/194 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : 4/63 ، تاريخ اليعقوبي : 2/244 ، لواعج الأشجان للسيد الأمين : 133 .

2- العقائد الإسلامية / مركز المصطفي صلي الله عليه و آله : 4/122 نقلاً عن تاريخ الطبري : 5/426 .

أيّها الناس ! إنّه ما أصبح علي ظهر الأرض ابن بنت نبي إلاّ الحسين عليه السلامفلا يعين أحد علي قتله ولو بكلمة إلاّ نغصه اللّه الدنيا ، وعذّبه أشدّ عذاب الآخرة(1) .

خروجه شاك في السلاح

خرج زهير الي القوم وهو شاك في السلاح ، فيما كان يتقدّم إليهم بالنصح والوعظ والإرشاد ، ولابد أن يكون لخروجه في كامل عدّته دلالات لأ نّه من رجال الحسين عليه السلام ورجال الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كانوا يتصرفون علي مرأي ومسمع ومنظر من سيد الشهداء عليه السلام ولا يطئون موطأ ، ولا ينبسون بلفظة ، ولا يحركون ساكناً إلا بعد الاستئذان من المعصوم ، فتصرفاتهم ينتشر منها شذي العصمة المترشحة عليهم من أبي الأئمة المعصومين عليهم صلوات ربّ العالمين .

ويمكن أن نتصور لخروجه في هذه الصورة عدّة تصورات :

التصوّر الأول : إنّه متقدّم للموت فنصيحته لا مصلحة له فيها للدنيا

إنّ زهيراً خرج يعظ قوماً اصطفوا لقتاله ، وخرجوا لمحاربته ، ومعاطسهم تتمدد وتتهيج بما تتخيله من رائحة دمه ودماء أصحابه ، وأنيابهم تصطك استعداداً لتمزيق أبدانهم ، وقد مسخوا سباعاً متوحشة

1- تاريخ اليعقوبي : 2/244 .

لتمزيق أشـلائهم ، فهم أعـداء ، جهلـة ، مضـللين ، قد طبع علي قلوبهم ،ورانت علي أعينهم غشاوة ، وفرق بين أن يعظ الانسان قوماً يرجو فيهم

الصـلاح ، ويتسـمون بالهدوء والموضوعية والروة الإيجابية للناصح ، وبين أن يعظ قوماً مسودّة قلوبهم ، مظلمة حلومهم ، في جو مشـحون بالعداوة والبغضاء.

فالموقف مع الطائفـة الثانيـة تظلّه أجواء الشك والريبـة وانعـدام الثقـة بين المتخاطبين ، فإذا تقدّم الواعظ للوعظ يحتاج إلي تقديم ضـمانات تطمئن المخاطب ، وتدعوه إلي الوثوق بالواعظ ، وسلامة نواياه ، وأ نّه يتكلّم بدافع إرادة الخير للمخاطبين .

ولهذا خرج زهير شاك في السلاح ليوحي إليهم أ نّه لا يبتغي من وراء نصحه مصلحة له ، فهو لا يريد أن يثنيهم عن القتال ، ليكسب السلامة ، ويمـدد فترة بقائه في هذه الدنيا الدنية الزائلة ، فهو عازم علي القتال ، موطن نفسه علي النزال ، مسـتعد للرحيل عن هذه الدنيا والتحليق إلي مجاورة النبي صلي الله عليه و آله ، والانتقال إلي الجنان ، ومعانقة الحور الحسان .

ومن كان موطناً نفسه علي الموت ، مقبلاً عليه غير مـدبر ، لا يظن أحـد أ نّه يبتغي مصـلحة خاصـة له ، ويجرّ نفعاً لنفسه ، وينصح الآخرين ليجني ثمار نصحه .

التصور الثاني : تحرزاً من القوم

إنّ زهيراً تقدّم للخطبة والوعظ في قوم شأنهم الغدر والمكر والفتك والاغتيال ، لا يعرفون القيم وآداب الحوار ، وقد بدرت منهم أكثر

من بـادرة في إجابـة المتكلّم بالسـهام والنبال ، كما فعل شـمر لعنه اللّه حينما قطع عليه خطابه وختم كلامه بسـهم رماه به وقال : اسـكت ، اسكت اللّه نامتك(1) .

وكما فعلوا مع برير :

روي محمد بن أبي طالب في تسلية المجالس وزينة المجالس قال: وركب

أصـحاب عمر بن سعد – لعنه اللّه – ، فقرّب إلي الحسين عليه السلامفرسه ، فاستوي عليه ، وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه ، وبين يديه « برير بن خضير » ، فقال له الحسين عليه السلام كلّم القوم .

فتقـدّم برير فقال : يا قوم ، اتقوا اللّه ، فإنّ ثقل محمد قد أصـبح بين أظهركم ، هؤلاء ذريّته وعترته وبناته وحرمه ، فهاتوا ما عندكم ، وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم ؟

فقالوا : نريد أن نمكّن منهم الأمير ابن زياد ، فيري رأيه فيهم .

فقال لهم برير : أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلي المكان الذي جاءوا منه ! ويلكم يا أهل الكوفة ! أنسـيتم كتبكم ، وعهودكم التي أعطيتموها وأشـهدتم اللّه عليهـا ؟ يـا ويلكم ، أدعوتم أهل بيت نبيكم وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسـكم دونهم حتي إذا أتوكم أسـلمتموهم إلي ابن زياد ، وحلأتموهم عن ماء الفرات ، بئس ما خلفتم نبيكم في ذريته ، ما لكم ، لا سقاكم اللّه يوم القيامة ، فبئس القوم أنتم .

1- تاريـخ الطبري : 4/324 ، الكامـل في التاريـخ لابن الأثير : 4/63 ، لواعج الأشـجان للأمين : 133 ، أعيان الشـيعة للأمين : 7/72 ، إبصار العين للسماوي : 181 .

فقال له نفر منهم : يا هـذا ، ما نـدري ما تقول !!فقال برير : الحمـد للّه الـذي زادني فيكم بصـيرة ، اللّهم إنّي أبرأ إليك من فعال هؤلاء القوم ، اللّهم ألق بأسهم بينهم حتي يلقوك وأنت عليهم غضبان . فجعل القوم يرمونه بالسهام(1) .

هذا هو دأبهم ، ومبلغ علمهم ، أن يردوا الكلام والفضيلة بالسهام

والنبال والقتل وسفك الدماء ، وقد فعل ذلك أميرهم اللعين يوم قابل وعظ سيد الشهداء الحسين عليه السلام بهذا المنطق الهمجي الأرعن ، فاغتـاظ عمر بن سـعد من كلاـمه عليه السـلامثم صـرف بوجهه عنه ، ونـادي بأصـحابه : ما تنتظرون به ؟! احملوا بأجمعكم ، إنما هي أكلة واحدة(2) !!

ومن لا تؤمن غوائله ، وقـد عرف بالغـدر والمكر والفتك لابـد لمن وقف منه موقف العـدو ، ونصب نفسه غرضاً مكشوفاً للأعداء أن يتحرز ، ويكون علي أهبة الاستعداد للقتال والدفاع عن النفس .

التصور الثالث: استعرض القوة والاستعداد أمام العدو

استعراض القوة أمام العدو من أدبيات المقاتل المؤمن ، وقد أكد

القرآن الكريم علي ذلك ، لما فيه من إرهاب للعدو وهزّ لكيانه ، وزلزلة في مواقفه فقال : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » .

1- تسلية المجالس وزينة المجالس : 2/272 ، بحار الأنوار : 45/5 .

2- مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : 2/11 ، بحار الأنوار : 45/9 .

وروي سيد الساجدين علي بن الحسين عن أبيه عن علي عليهم السلامقال :قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ صهيل الخيل ليقرع قلوب الأعداء ، ورأيت جبرئيل يتبسم عند صهيلها ، فقلت : يا جبرئيل ، لم تتبسم ؟ فقال : وما يمنعني والكفار ترجف قلوبهم في أجوافهم عند صهيلها وترعد كلاهم(1) .

وبنفس الإسناد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال : لمّا كان يوم بدر اعتم أبو دجانة بعمامته ، وأرخي عذبة للعمامة من خلفه بين كتفيه ، ثم جعل يتبختر بين يدي الصفين ، فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ هذه لمشية يبغضها اللّه – عزّ وجلّ – إلاّ عند القتال(2) .

فالظهور بمظهر يرهب الأعداء ، ويلقي في قلوبهم الرعب ، ويكشف لهم عن قوة رجال الحقّ واستعدادهم وتأهبهم للقتال مطلوب من أمثال رجال الحسين عليه السلام الذين اختصهم اللّه لأبي عبد اللّه صلوات اللّه عليه وعليهم .

التصور الرابع : لأ نّه قائد عسكري في ساحة الوغي

كان زهير علي ميمنة معسكر الأنبياء والأوصياء وسيد الشهداء عليه السلام فهو قائد عسكري مهم ، فلابد أن يكون علي أهبة الاستعداد دائماً ، سيما وأ نّه كان يعظهم يوم عاشوراء ، وقد أزفت الحرب أن تقوم علي ساق ، واستعد معسكر الحقّ ومعسكر الضلال للتلاقي ، فهو الآن يقف

1- الجعفريات : 86 باب السيرة في الخيل ، دعائم الإسلام : 1/345 .

2- الجعفريات : 77 كتاب الجهاد .

موقف المحارب المقاتل الذي اقتحم ساحة الوغي ، ودخل الميدانالذي تحفّه المخاطر وتحوم حوله الأسـنة والرماح كألسنة النيران واللظي ، وليست الموعظة هذه كباقي المواعظ التي يستمع اليها في رحاب الدعة والرخاء .

فالموقف يسـتدعي أن يكون المقاتل في زيه المرسوم ، وإن كان واعظاً ، بيد أنّه يرتقي صـهوة جواده بدل أعواد المنابر ، ويشير اليهم بالسنان بدل البنان . ..

ص: 97

مضامين خطبته

أولاً : يا أهل الكوفة

بدأ خطابه لهم بنداء: « يا أهل الكوفة » ، والكوفة لها مكانتها ، قَالَ أَبُو سَ عِيدٍ سَ مِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلي الله عليه و آله يَقُولُ : الْكُوفَةُ جُمْجُمَةُ الْعَرَبِ ، وَرُمْحُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَي وَكَنْزُ الإيمَانِ(1) .

والكوفة لها تأريخها في الوقوف بوجه الضلال ، ومحاربة بني أمية ومعاوية ، ولها ثارات مع الأمويين ، فقد قتل معاوية رجالهم وشخصياتهم وكبارهم في صفين ، وبعد صفين ، فما الذي حدا بهم للوقوف مع سلطانه المتمثل بيزيد ؟! . . .

والكوفة كتبت إلي سيد الشهداء عليه السلام وسلطان المظلومين تدعوه وتعده النصر(2) .

فربما أراد زهير أن يذكرهم بكلّ هذا وغيره . . .

1- الكافي : 6/243 ، علل الشرائع : 2/460 باب 222 ، بحار الأنوار : 97/396 باب 33 .

2- الإرشاد : 2/36 ، مثير الأحزان : 26 .

ثم إنّه ضـخّ من خلال هذا الخطاب أنجع دواء لدائهم الفتاك الذي ابتلوا به يومئذ ، فلم يخاطبهم بجند الشـيطان ، أو جند بني أمية ، أو جند يزيـد ، أو ما شاكل ، مع أ نّهم حقّاً كـذلك ، بل خاطبهم « يا أهل الكوفة » ، فأعطاهم بذلك جرعة مؤثرة تمنحهم فرصة العودة إلي الذات ، والتشبث بالإرادة ، والتمسك بالهوية الأصيلة التي ميّعتها الأطماع والرغبات والخوف من العقوبات .

« يا أهل الكوفة » . . تذكير لهم بأنّ لهم شخصـية مستقلة قائمة بذاتها لها خصوصياتها ومواقفها وآراوا ، ولها أن تتخذ موقفاً بشكل مستقل ، لا يكون خاضعاً للأمويين الذي ولعوا بدمائهم . .

ثانياً : إعلانه عن مهمته

لقد أعلن زهير للملأ عن دوافعه في الوعظ وتقديم النصح ، ولخّصها في أمرين:

الأمر الأول : الإنذار

« نذار » : بفتح النون وكسر الراء ، أي : خافوا ، وهو اسم فعل من الإنذار ، وهو الإبلاغ مع التخويف(1) .

وهذا الأمر لا يستدعي أن يكون بينه وبينهم من الوشائج ما يدعوه

للقيام به ، فهو ينذرهم سواء كانوا مسـلمين أو مشـركين ، وعذاب اللّه ينتظرهم إن أصـرّوا علي معاندة إمام الدين سـيد الشهداء الحسين عليه السلام .

1- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام لمحمد السماوي : 168 .

فقال لهم: « نذار لكم من عذاب اللّه نذار » .

إنّه إنـذار له وقع مهول علي القلوب ، يهزّ الكيان ، ويرتجف له الإنسان ، وترتعد منه الفرائص والمفاصل . . نذار لكم . . من عذاب اللّه نذار !!

إنـذار يشـبه تمامـاً إنـذار مؤمن آل فرعون حينمـا قال : « يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جاءَنا قالَ فِرْعَوْنُ مـا أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَرى وما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ وَقالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ » .

الأمر الثاني: النصيحة

الدافع الثاني أو الأمر الثاني الذي دعاه للوقوف هذا الموقف هو أداء التكليف ، وإنصاف الآخرين من نفسه ، وقيامه بما عليه من واجب ، وما يعرفه وظيفة في دينه ، ألا وهي النصيحة .

إنّ للمسلم علي مسلم حقوقاً تعلّمها زهير من أئمته عليهم السلام الذين بينوا له

دينه ، وهو الآن يقف موقفاً يريد فيه استمالة القلوب القاسية ، وتنوير الأفئدة المظلمة ، وترويض البهائم الجامحة ، وتقويم المواقف الجانحة ، وتعريف الممسوخين بهويتهم الحقيقية ، وإزاحة الغشاوة عن أبصارهم وبصائرهم .

قال زهير : « إنّ حقّاً علي المسلم نصيحة أخيه المسلم ، ونحن حتي الآن إخوة ، وعلي دين واحد ، وملّة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منّا أهل ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنّا أمّة وأنتم أمّة » .

والعصمة : أي المنعة بالإسلام ، يقال : من شهد الشهادتين فقد عصم نفسه أي منعها(1) .

ثالثاً : أتباع الدين الواحد لا يتقاتلون

كان خطاب زهير خطاباً متعدد الجوانب ، فهو يلقي الحجة عليهم ، وفي نفس الوقت يحاول إقناعهم ، وينبش رواسب قلوبهم ليكسح ما ران عليها ، ويثير كوامنهم لينفض عن فطرتهم ما تراكم عليها من الدنس والظلمات ، فيقول لهم : نحن حتي الآن إخوة ، وعلي دين واحد ، وملّة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منّا أهل . . .

إنّنا جميعاً مسلمون ، وإنّنا إخوة ، وعلي دين واحد ، فلماذا يقتل بعضنا بعضاً ، تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم ، تعالوا نحتكم ونرجع إلي الدين الذين تدّعون أنّكم ارتضيتموه ، ارجعوا إلي الإسلام الذي تعتنقونه ، وتتعبدون اللّه به ، فإذا رضيتم أنّكم مسلمون ، فنحن وإياكم علي دين واحد ، ونبينا واحد ، وقد بقي من عترته ذكري واحدة ، ألا وهو الحسين عليه السلام ريحانته وسبطه ، فلماذا تقاتلونه وهو ابن النبي الذين تتدينون بدينه ؟

1- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام لمحمد السماوي : 168 .

رابعاً : التحذير من الارتداد والكفر

ونحن وإن كنّا حتي الآن إخوة ، وعلي دين واحد ، وملّة واحدة ، كانت لدمائنا حرمة ، ولكن إذا وقع بيننا وبينكم السيف انقطعت العصمة ، وكنّا أمّة وأنتم أمّة .

فلا تستحقون منّا بعدئذٍ النصيحة ، ولا حرمة لكم ، ولا تراحم ، لأنّنا ننشطر الي فريقين ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، ولا تبقي بيننا العصمة ، وذلك أن لا عصمة ولا تراحم بين أهل الجنة وأهل النار .

إنّكم تحاربون اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله ، وتشهرون السيف علي التوحيد والقرآن ، وتسفكون دم النبي صلي الله عليه و آله ، فتخرجون من الدين برمته ، وتنكرون شهادة أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمداً رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وتتوغلون في الشرك ، والعبودية لغير اللّه .

خامساً : ابتلانا اللّه وإياكم بذرية النبي صلي الله عليه و آله

خطب أمير المؤمنين عليه السلام فذكر صاحبة الجمل مرّة بعد مرّة ، فقال عمار : يا أمير المؤمنين ، كفّ عنها فإنها أمّك ؟! فقال عليه السلام : كلا ، إنّي مع اللّه علي من خالفه ، وإنّ أمّكم! ابتلاكم اللّه بها ليعلم أمعه تكونون أم معها(1) ؟

وقال عمار يحرّض الناس علي نصرة أمير المؤمنين عليه السلام علي البغاة ، فذكر صاحبة الجمل وقال : ولكن اللّه – عزّ وجلّ – ابتلاكم لتتبعوه أو إياها(2) .

1- كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصاري : 438 .

2- أنساب الأشراف : 3/384 .

وفي لفظ آخر : ولكن اللّه – تبارك وتعالي – ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي(1) ؟

ورواه المفيد في الجمل بلفظ : ولكن اللّه قد ابتلاكم لينظر كيف تعملون(2) ؟

ولعل هذا يفسّر لنا قول زهير : « إنّ اللّه قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلّي اللّه عليه وآله وسلم ، لينظر ما نحن وأنتم عاملون » . .

فهناك ابتلاهم اللّه وخيّرهم بين طاعته وطاعة امرأة ركبت عسكراً ، وهنا ابتلاهم اللّه بين طاعة الحسين عليه السلام وهي طاعة اللّه ، وبين طاعة يزيد ، بين أن ينصروا اللّه أو ينصروا الطاغوت .

وقد أمرهم اللّه بمحبّة ذرية النبي صلي الله عليه و آله ونصرهم والوقوف معهم ، وأوجب المودّة لهم علي الخلائق أجمعين ، وجعل مودّتهم أجر رسالة الأنبياء أجمعين ، فقال تعالي : « قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي » ، ومن أدّي أجر خاتم الأنبياء فقد أدّي أجر الأنبياء جميعاً .

فذرية النبي صلي الله عليه و آله ابتلاء للبرّ والفاجر ، وإنّكم الآن في امتحان عسير ، لأنّكم تواجهون ذرية النبي صلي الله عليه و آله وعلي المبتلي أن يكون حذراً يقظاً لا تخبطه الفتنة ، ولا تستزله الشهوة ، ولا تغريه المطامع ، ولا يعميه بريق الصفراء والبيضاء .

1- كتاب البخاري : 8/97 ، فتح الباري لابن حجر : 13/49 ، تفسير الآلوسي : 18/132 ، تاريخ الإسلام للذهبي : 3/484 ، الفصول المهمة لابن الصباغ : 1/396 ، جواهر المطالب لابن الدمشقي : 2/12 .
2- الجمل للمفيد : 142 .

يقول لهم : إنّنا أمام مفترق طريق لا ـ محيص عن الاختيار فيه ، فإمّا أنكون مع ذرية النبي صلي الله عليه و آله علي عدوّه ، فنكون من الفائزين ، أو نكون مع عدّوه حرباً علي ربّ العالمين !

والابتلاء لنا جميعاً سواء ، فقد ابتلانا اللّه و إياكم . . . أمّا نحن فقد اخترنا الحسنيين معاً .

سادساً : دعوتهم إلي نصر الحسين عليه السلام

« إنّا ندعوكم إلي نصرهم » . .

إنّهم قد ران علي قلوبهم ، وغطّت أبصارهم غشاوة ، فلا يستطيعون

تمييز الحقّ من الباطل ، وقد ركبتهم الفتنة ، وأعمت أمواجها بصائرهم ، فانبري زهير يعينهم علي تمييز الحقّ ، ويدلّهم علي الطريق ، ويأخذ بأيديهم إلي الصراط المستقيم ، فيدعوهم لنصرة الذرية الطيبة ، وينصحهم ، ويحدد لهم معالم طريق الحقّ والهدي والفوز بالجنان .

والفوز بنعيم الدنيا والآخرة منحصر في أمرين يقومان معاً :

أحدهما : نصر آل محمد صلي الله عليه و آله .

والآخر : خذلان الطاغية .

سابعاً : دعوتهم إلي خذلان الطاغية

دعاهم إلي نصر آل محمد صلي الله عليه و آله ، وخذلان الطاغية ، وذكرهم بما ذاقوه في ظلّ الحكم الأموي الغاشم ، علي يدي الأدعياء من أمثال زياد وابنه . .

« وخذلان الطاغية عبيد اللّه بن زياد ، فإنّكم لا تدركون منهمابسوءعمر سلطانهما كلّه ، ليسملان(1) أعينكم ، ويقطعان أيديكم وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم علي جذوع النخل ، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه » .

إنّها دعوة صريحة واضحة ، ونصيحة نيرة لائحة ، حدّد فيها زهير

لكلّ ذي عينين معالم الطريق ، ورسم له منار المسار ، وأقام عليهم الحجة الساطعة ، دعاهم بصراحة إلي نبذ الأوثان العالقة في أعماقهم ، والتخلص من الأغلال التي صفّدت قلوبهم ، والإقلاع عن ممارسة بيع الآخرة بدنيا غيرهم ، فشجعهم وهزّ نفوسهم المستسلمة بدعوتهم إلي خذلان الطاغية ابن زياد ، فإنّه يمثّل الباطل بعينه ، وقد بان ذلك في مواجهته إمام زمانه المفترض عليه طاعته ، وإطاعته الأدعياء والطلقاء وخدمتهم ، واستدلّ لهم بتاريخه الأسود الذي تتدفق الدماء البريئة من كلّ سطوره وصفحاته .

وقد ذكّرهم زهير بمشاهد عاصروها ، ورأوها مل ء العين ، واكتووا بنارها الحامية ، ولا يزالون يئنون من لظاها ، وذكرهم بشخصياتهم وروسهم الشامخة التي اقتطفتها أحقاد الأمويين وأذنابهم من أمثال

حجر بن عدي وهاني بن عروة الذين صرّح باسميهما ، ومن أمثال ميثم التمار ورشيد الهجري وغيرهما ممّن ذكرهم بالصفة التي لقوا اللّه

1- يسملان : يقال : سمل عينه أي فقأها بميل محمي .

بها علي يدي شرار خلقه من قبيل قطع الأيدي والأرجل والصلبعلي جذوع النخل ... .

وقد اقتبس زهير كلامه هذا من كتاب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية حيث يقول عليه السلام في كلام له : .. ألست القاتلُ حجرا أخا كندة والمصلين العابدين ؟ الذين كانوا ينكرون الظلم ، ويستعظمون البدع ، ولا يخافون في اللّه لومة لائم ، ثمّ قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة ، أن لا تأخذهم بحدثٍ كان بينك وبينهم ، ولا بإحنةٍ تجدها في نفسك عليهم .

أوَ لست قاتل عمرو بن الحمق ، صاحب رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ العبد الصالح

الذي أبلته العبادة فأنحلت جسمه ، واصفرّ لونه ، بعد ما أ منّته وأعطيته عهود اللّه ومواثيقه ما لو أعطيته طائرا لنزل إليك من رأس الجبل ، ثمّ قتلته جرأة علي ربك ، واستخفافا بذلك العهد .

أوَ لست المدعي زياد ابن سمية ؟ المولود علي فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك ، وقد قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » ، فتركت سنّة رسول اللّه صلي الله عليه و آله تعمّدا ، واتبعت هواك بغير هدي من اللّه ، ثمّ سلّطته علي العراقين ، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم علي جذوع النخل ، كأ نّك لست من هذه الأُمة وليس منك ...(1) .

1- اختيار معرفة الرجال للطوسي : 1/256 ، الدر النظيم لابن حاتم العاملي : 534 ، بحار الأنوار : 44/213 .

فزهير إذن يتابع المشهد منذ ذلك اليوم ، منذ أن تمادي معاوية ومنسلّطه علي رقاب المسلمين في الإجتراء علي دماء الأخيار والأبرار من أمة محمد صلي الله عليه و آله وأتباع أمير المؤمنين عليه السلام .

عائد ضمير التثنية في كلام زهير

أمّا ضمير التثنية في قوله « يسملان » « سلطانهما » « يقتلان » الخ فيحتمل فيه أمران :

الأول : المراد عبيد اللّه وأبيه زياد

أن يكون المراد عبيد اللّه وأبيه زياد ، فهو يريد أن يذكرهم بما فعل زياد في الكوفة من قتل خيارهم واستبقاء شرارهم ، وقد فعل الأفاعيل ، ولعل نسخة ابن الاثير وابن كثير والسيد الأمين تؤكد هذا المراد .

ففي الكامل لابن الأثير(1) والأعيان(2) للأمين : « وخذلان ابن الطاغية عبيد اللّه بن زياد » .

وفي البداية والنهاية لابن كثير : « وخذلان الطاغية ابن الطاغية ، عبيد اللّه بن زياد(3) » .

وكذا فهم الأستاذ الباحث محمد نعمة السماوي فقال في غضون كلامه عن خطبة زهير: « وقد دعاهم صراحة إلي نصرة الحسين عليه السلام

1- الكامل في التاريخ : 4/63 .

2- أعيان الشيعة : 7/72 .

3- البداية والنهاية : 8/194 .

وخـذلان الطاغية عبيد اللّه بن زياد ، وكان اسـتعراضه لبعض أفعالهوأفعال أبيه زياد من قبل ، وعدم تحرجه من نعته بالطاغية يدلّ علي أ نّه لـم يكن أمامه إلاّ شـبحاً هزيلاً غير جدير أن يخاف منه حتي أضعف الناس ، فكيف به ، هو الذي حمل قضية الإمام الحسين عليه السلاموتبني قضية الإسلام

الذي أوشك أن يدمر ويبعد عن الحياة(1) » .

ويؤكده ما روي من مقاطعة القوم له وردّهم عليه فيما رواه الشيخ السماوي في إبصار العين قال : فسبوّه وأثنوا علي عبيد اللّه بن زياد وأبيه(2) . . . وهذا يعني أنّ الأوغاد فهموا منه إرادة زياد ابن أبيه لا يزيد – لعنهما اللّه – ، لأ نّهم أثنوا عليه في مقام الردّ علي زهير .

فيكون حينئذٍ مرجع الضـمير إلي زياد وابنه ، ولكن قد لا يوثق كثيراً بدّقتهما في النقل ، فقد رأينا ابن الأثير يضـيف علي ما زعموا أ نّه من قول مسلم بن عقيل حينما عزم علي اغتيال ابن زياد في بيت هاني ، ثم امتنع ، فلمّا سئل عن ذلك قال : لما تذكرت من قول النبي صلي الله عليه و آله : الإيمان قيد الفتك ، ولا يفتك مؤمن بمؤمن ، فأضاف « بمؤمن » دون غيره من الرواة والمؤرخين ، ليقرر الإيمان لابن زياد ، أو ينسب هذا الاعتقاد لمسلم عليه السلام فيكون الممتنع والممتنع عنه مؤمنين

1- وتنفسح صبح الحسين عليه السلام : 589 .

2- إبصار العين ، تحقيق علي جهاد الحساني : 181 .

!!! (1)

فربما كان الطاغية ابن الطاغية كما أفاد ابن كثير ، أو ابن الطاغية كما أفاد ابن الأثير من زيادتهما ، لئلا يشمل الكلام أميرهم يزيد الذي عقدالأول فصلاً كاملاً في الدفاع عنه ، وإن كانت – بغض النظر عن سوء الظن بنقلهما – نافعة في المقام ، لأ نّها تكشف لنا عائد الضمير صراحة .

الثاني : المراد يزيد وابن زياد

أن يكون المراد عبيد اللّه بن زياد ، ومن أمّره وخوّله بقتل الحسين عليه السلام

خليفته طاغية بني أمية يزيد ، فقد ورد في كتاب مقتل الحسين عليه السلاممللسيد عبد الرزاق المقرم رحمه الله نقلاً عن تاريخ الطبري ما هذا لفظه :

« . . . إنّا ندعوكم إلي نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد اللّه بن زياد ، فإنّكم لا تدركون منهما(2) . . . » .

وكذا نقل الشيخ باقر شريف القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين عليه السلام : 3/188 طبعة مدرسة الإيراواني ، نقلاً عن تاريخ الطبري : 6/243 ، ولكنّه عاد – حفظه اللّه – فنقل عبارة الطبري الموجودة في النسخة المطبوعة المتوفرة حالياً ، في الطبعة العاشرة من كتابه المذكور (طبعة المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات) .

وعلي حدّ نقل السيد المقرم والشيخ القرشي في الطبعة السالفة عن نسختيهما من تاريخ الطبري يكون مرجع الضمير واضحاً ، ويكون زهير قد صرّح باسم يزيد لعنه اللّه .

1- بغض النظر عن مدي صحة أصل القصة ووقوع هذا العزم ، فإنّ لنا تحفّظاً علي أصل وقوع القصة ليس هذا موضع تفصيله ، وقد ناقشناها باختصار شديد في هامش كتاب « أيام الحسين » لأحمد بن الحسن الحر العاملي .

2- مقتل الحسين عليه السلام للمقرم : 231 نقلاً عن تاريخ الطبري : 6/234 .

لماذا لم يصرح زهير باسم يزيد ؟

ولكننا قد نواجه سؤالاً يولد حينما يقال بعودة الضمير إلي يزيدوعبيد اللّه بن زياد – لعنهما اللّه – مع عدم وجود تصريح باسم يزيد ، بناءاً علي النسخ المشهورة ، والسؤال هو : لماذا لم يصرح زهير باسم يزيد – لعنه اللّه – في خطبته ؟

الجواب :

ربما كان السبب في عدم ذكر يزيد صراحة وعلانية لاعتبارات ثلاث :

الأول : دلالة القرائن عليه

إنّ القرائن المقامية ، وضرورات الموقف ، دالة عليه بوضوح ، ولا شكّ أنّ ابن زياد لم يكن ليقدم علي ما أقدم عليه لولا أمر سيده وإلاهه يزيد ، فهو يذكرهم بما فعل زياد في سالف الأيام بأمر معاوية ، ويقول لهم ذينك كهذين ، فهذا يزيد مقام معاوية ، وعبيد اللّه مقام زياد ، وما أشبه اليوم وغد بالبارحة إن رضيتم بهم أسياداً .

الثاني : دأبه في التقية

دأبه في التقية التي عمل بها طوال حياته ، كما مرّ سابقاً ، سيما إذا لاحظنا أ نّه بدأ كلامه بكلام مؤمن آل فرعون ، وختم له الحسين عليه السلامبتشبيهه بمؤمن آل فرعون .

الثالث : تجنب الاستفزاز

إنّه لا يريد أن يستفزهم ويثير حفيظتهم ويلجأهم إلي التخندق والاعتزاز بالإثم ، ويقدم علي سبّ ما يقدّسونه جهلاً وضلالاً ،

فهو يصـرح بابن زياد ، لانّه معروف لـديهم هو وأبوه من قبل ، ولا يجهل أحد أ نّه دعي ابن دعي ، وقد اكتوي الكوفيون بناره يوم دخل عليهم منالبصرة كأنّه حممة .

أمّا يزيـد – لعنه اللّه – فإنّهم يزعمون – علواً واسـتكباراً – أ نّه خليفة ، وفي موقع يظنون جهلاً وعتواً أ نّه كبيرهم ، فهو لا يتعرّض له مباشـرة ، لأدبه ومعرفته بأساليب الوعظ والإرشاد ، واستدراج العقل ، وترويض العواطف ، واستمالة القلوب .

ردّ المسوخ :

قال : فسبّوه ، وأثنوا علي عبيد اللّه بن زياد ، ودعوا له ، وقالوا : واللّه لا نبرح حتي نقتل صاحبك ، ومن معه ، أو نبعث به وبأصحابه إلي الأمير عبيد اللّه سلماً .

نصـحهم فسـبوه ، وفضـح لهم عبيد اللّه بن زياد ، فدعوا له وأيّدوه ، ودعاهم إلي نصـر الحسـين عليه السـلام وخذلان الطاغية ، فخيّروه بين القتل والاستسلام للطاغية !!

دعاهم إلي الانتقال من الظلمات إلي النور ، ومن الباطل إلي الحقّ ، ومن الشقاء في الدارين إلي السعادة في نعيم الحسين عليه السلام إلاّ أ نّهم قابلوه

بالسبّ والاسـتفزاز ، ولم نسـمع واحـداً منهم دعاه للانحياز إليهم ، والانتقال إلي صـفوفهم ، والعـدول عن موقفه والانضـمام إلي صـفوفهم باعتبارهم يمثّلون الخطّ الأقرب إلي الإسلام أو الحقّ .

كما أ نّنا لم نسمع أحداً من القوم يرمي زهيراً بالتعثمن ، أو يعاتبه علي موقفه مع الحسين عليه السلام ضدّ الأمويين ، ولو كان زهير عثمانياً كما زعم عزرةلعنه اللّه لكان هذا الموقف أجدر بالاعتراض عليه ، ولكان القوم كلّهم قد التفتوا إلي إنقلاب زهير من عثماني متهالك في الخط الأموي الزاعم أ نّه ينتقم من أمير المؤمنين عليوأصحابه لدم عثمان ، إلي صفّ الحسين عليه السلام الممثل الشرعي لأمير المؤمنين عليه السلامولعيّروه بذلك وعابوا عليه هجومه علي أعضاد الأمويين وأذرعة بطشهم من أمثال الدعي ابن الدعي عبيد اللّه بن زياد .

ص: 112

خطاب آخر ودعوة أخري

اشارة

عجيب أمر زهير في موقفه هذا ، ويحقّ لنا أن نقول أ نّه قد رشـحت عليه شآبيب العصـمة ، لأ نّه كان يتكلّم علي مرآي ومسمع من المعصوم عليه السلاموبإذنه ، وقد أمضي المعصوم كلّ كلامه وتصرفاته .

ومن هنا نعرف ضرورة الإهتمام بكلام زهير ومواقفه وتصرفاته منذ أن رافق الحسين عليه السلام باعتباره انضوي داخل دائرة المراقبة المستمرة للمعصوم ، سـيما وأنّ الموقف كـان موقف حرب ، فلاـ يتصـرف حينئـذٍ أيّ فرد من الأـفراد إلاّ بعـد الاستئـذان ، فكيف إذا كان القائـد هو المعصوم ، والمقاتل هو المؤمن الـذي لا يري نفسه في سـعة ما لم يأذن له إمامه في حياته العاديـة فضـلاً عن إمتثاله له في ساحات القتال ، وأنّ الحرب التي يباشرها هي تكليف شرعي ، وأمر إلاهي يكشف عنه المعصوم ويتمثّل في شخصه .

لقد امتاز زهير هنا بسـعة الصدر ، والصبر ، والتحمل ، والحرص علي إقامة الحجة ، بشكل يثير الدهشة ، وقد رأيناه يقابلهم بالحجة والمنطق والعقل والعاطفة والدين والدنيا والآخرة ، فيجابه بالسباب والشتائم

والتهديد والوعيد ، والردود الوقحة ، وهو مع هذا كلّه يرجع إلي كلامه ، فيخاطبهم بتؤدة ورزانة ومتانة وكياسة ووقار وحلم يعزّ له مثيل .

« فقال لهم : عباد اللّه ، إنّ ولـد فاطمة رضوان اللّه عليها ، أحقّ بالودّ والنصـر من ابن سـمية ، فإن لـم تنصـروهـم فأعيذكـم باللّه أن تقتلوهـم ، فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمّه يزيد بن معاوية ، فلعمري إنّ يزيد ليرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام .

وقد تضمّن هذا المقطع علي اختصاره من البلاغة والروعة والمتانة

والحجـج ما يفحم الخصم ، ويفلج قلب المحبّ ، ويزيده اطمئناناً ويقيناً ، لأ نّه يدعوهم إلي التأمل في حقائق يدركها كلّ ذي مسـكة ، أو شيء يسير من الإنصاف :

أولاً : إنّ ولد فاطمة عليهاالسلام أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية

عباد اللّه . . صعقة جديدة لعلّها تهزّ الكيان الميت ، وتفيق الضمير المتحجر ، لو كان ثمة أمل في الأموات .

خاطبهم بعباد اللّه ، ليقول لهم : إنّكم عباد اللّه ولسـتم عبيـد عبيـد اللّه ابن زيـد أو يزيد ، وعلي عباد اللّه أن يحبّوا من أحبّه اللّه وأمر بحبّه ، ويبغضوا من أبغض اللّه وأمر ببغضه .

وقد أحبّ اللّه حسيناً ، وأبغض يزيد وابن زياد ، وأحبّ ولد

فاطمة عليهاالسلاموأبغض بني أمية ، فأيّهما أحقّ بالود والنصر ؟!

قال الأستاذ محمد نعمة السماوي : كانت المقارنة بين أبناء سيدة نساء العالمين ، ومن أذهب اللّه عنها الرجس وطهرها تطهيراً ، وبين ابن البغي المشهورة سمية ، صاحبة الراية في الجاهلية كفيلة بإثارة كلّ من يشعر بانتماء حقيقي لهذا الدين الحنيف .. ، فهل من المعقول أن يتخلّي الناس عن أبناء فاطمة بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ويختارون نصر ابن سمية ، ويذهبون إلي المدي الذي ينفذون به كلّ رغباته ، وفي مقدمتها قتل الحسين وآله وأصحابه(1) .

« ولد فاطمة عليهاالسلام أحقّ بالودّ والنصر » عبارة كرّس فيها زهير كمّاً هائلاً من الأدلة القرآنية والحديثية ، وذكرهم بقوله تعالي : « قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَي » ، وذكّرهم بما ورد عن النبي صلي الله عليه و آله في سبطه وريحانته الذي أحبّه وأمر بحبّه .

وذكّرهم أيضاً بدناءة ابن زياد ، ولؤم أصله ، ونجاسته وقذارة نسبه ، والرجس الذي ترعرع فيه ونشأ .

وهو يعلمون هذه الحقائق جيداً ، فكيف يتردّدون بنصر الحسين عليه السلام

وهم يعلمون أنّه ابن فاطمة عليهاالسلام التي جعل اللّه غضبه في غضبها ، ورضاه في رضاها ؟

قد يتردّد العاقل إذا دار أمره بين الحسن والأحسن ، أو بين الطاهر والأطهر ، أو بين عدلين متقاربين في الوزن والصفة ، أمّا أن يتردّد الإنسان

1- وتنفس صبح الحسين عليه السلام : 590 .

بين الطهارة المطلقـة والنجاسـة المطلقة ، أو بين الحسن المطلق والقبح المطلق ، أو بين النقاء والصـفاء والنور وبين الدرن والرجس والكدر والنجس والظلمة ، فهذا ما لا يمكن أن يتصوره أحد .

ويكشف هـذا الكلام عن مدي عمق إيمان زهير وولائه ومعرفته بأهل البيت عليهم السـلام وأعدائهم ، وقد تضـمن كلامه الداعي إلي نصـر الحسين عليه السلام وخذلان الطاغية ، والتمييز بين ولد فاطمة عليهاالسلام وابن سمية ، كلّ معاني الولاء والبراءة .

ثانياً : إن لم تنصروهم فلا تقتلوهم

إنّه دعاهم قبل قليل إلي دعوتين : إحـداهما: نصـر آل محمـد ، والثانية: خذلان الطاغية ، والآن يتنزل معهم في المحاججة ، ويهوّن عليهم الخيـار ، فيقول لهم: إذا كنتم قـد اخترتم الشـقاء ، والتفت الساق بالساق ، وأبيتم نصـرهم ، فإنّ ترك نصـرهم وبقائكم مع الطاغيـة يؤول في النهايـة إلي قتلهم ، فإذا فقـدتم الإرادة فلم تعودوا في موقف تسـمح لكم نفوسـكم باتخاذ قرار ، فإنّي ألجئكم إلي اللّه القوي القادر ، إلجأوا إلي اللّه ، فهو ربّكم

والقـادر علي حمـايتكم وإعانتكم ، فإنّكم إن بقيتم علي حالكم هـذه من الإبتعاد عن اللّه فلا محال سيسـتحوذ عليكم الشـيطان وتسـلمون القياد لأنفسكم وشهواتكم وعماكم وضلالتكم ، فتقتلوهم . . . « فإن لم تنصروهم فأعيذكم باللّه أن تقتلوهم » .

ص: 116

ثالثاً : تكسبون رضا يزيد بدون قتل الحسين عليه السلام

لم يجد زهير أي تجاوب أو انفعال في القوم ، فدعاهم هذه المرّة إلي أمر كان محرجاً لهم لو كانوا أصحاب مبدأ أو قضية ، أو كانوا يعقلون .

دعـاهم إلي الحياد ، فبنو هاشم يرتبطون في ظاهر الأنساب مع بني أميـة ارتباطاً عضوياً ، فهم أبناء عم ، فما دخل الغرباء الهمـج الرعاع بين الأقرباء ، وبهذا سلبهم حججهم وأفرغهم من كلّ دعوي . « فخلّوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية » .

وهنا يلامس زهير وتراً حساساً ، فيستهدف أهم الخطوط التي استعملها ابن زياد في تجييش الخواطر ، وتأليب النفوس ، ويقطع الأواصر بين القيادة والقاعدة ، فيشكّكهم في مواقفهم.

فمن ذا الذي يزعم أن يزيد أراد منكم قتل الحسـين عليه السـلام ولو أنّكم اسـتعذتم باللّه ، فأعاذكم ، وتركتم قتل الحسـين عليه السلام فإنّ يزيد يرضـي عنكم ، وليس رضا يزيد عنكم منحصـر في قتل الحسـين عليه السلام فابحثوا لكم عن طريق آخر يضمن لكم رضاه ، دون قتل سيد شباب أهل الجنة . . « فلعمري إنّ يزيد ليرضي من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام » .

لم يترك زهير أيّ حجّة إلاّ أقامها ، ولم يترك لهم أيّ زعم إلاّ فنده ، فماذا تري سيكون جواب القوم ؟!

ردّ القوم

لم يكن القوم من ذوي البصائر والنطف الطاهرة ، ولا من أهل الكلام

والحوار ، ولم تكن عندهم أيّ حجّة ولو كانت واهية ، بل لم تكن الأخلاقيات والمنطق من أدبياتهم ، فركنوا إلي ما تطفح به آنيتهم من الأقذار والكدر والوقاحة والزيف ، فنبذوا الحياء ، وجانبوا الصواب ، وأخلدوا إلي السقوط في النتن والعفن الذي تنطوي عليه صدورهم ، وأجابوه بمنطقهم المعهود ، حيث يقارعون الحجة بالسيف ، والكلمة بالنبال ، فانبري له شمر بن ذي الجوشن فرماه بسهم ، وقال : اسكت ، أسكت اللّه نأمتك(1) أبرمتنا بكثرة كلامك .

وما عسي هذا الوحش الكاسر وأشباهه من حاشية ابن زياد أن يفهم

من كلام زهير ، وكيف لا يتبرّم ، وهو لا يريد أن يفهم كلام إمام الكلام ، فيقول لسيد الشهداء عليه السلام ما نفهم ما تقول يا ابن فاطمة عليهاالسلام !!

وقد احتقره زهير أيما احتقار ، وأجاب سهمه بسهام من لسانه الذي

استله كالسيف في الذبّ عن آل الرسول صلي الله عليه و آله ، ووضع شمراً في الحضيض

الذي يليق به . . .

فقال له زهير : يا ابن البوّال علي عقبيه ، ما إياك أخاطب ، إنّما أنت بهيمة ، واللّه ما أظنّك تحكم من كتاب اللّه آيتين ، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم .

فشمر منحدر من عائلة بدوية قذرة ، لا يعرف كبارها حتي كيف يبولون ، وغاية علمهم أن يقفوا كالبهائم ويملؤوا شقوق أعقابهم ببولهم .

1- في إبصار العين للشيخ محمد السماوي : أسكت اللّه نامتك : النأمة بالهمزة ، والنامة بالتشديد : الصوت ، يقال ذلك كناية عن الموت ، وهو دعاء عند العرب مشهور .

وزهير يعرف شـمراً ، يتحسـس غلظته وجفاءه وبـداوته ووحشـيته ، وأ نّه ممّن ختم اللّه علي قلوبهم ، وجعل علي أبصارهم غشاوة ، فهم لا يعقلون ، ولهذا قال له: ما إياك أخاطب ، فلا يكون شمر كليماً لزهير ، وهل يكلّم البشر الكامل العاقل البهيمة ؟!

وقد استعمل زهير كلّ وسائل التأكيد والحصر لئلا يخرج شمر بأيّ

مبرر من حضيرة البهائم: « إنما أنت بهيمة » .

هـذا من الناحيـة التكوينيـة ، أمّا إذا أراد شـمر أن يدعي شـيئاً في الدين ، فقد أوقفه زهير عند حدّه مؤكداً كلامه بالقسم ، وقال له : « واللّه ما أظنّك تحكم من كتاب اللّه آيتين » ، أيّ آيتين ، من أول كتاب اللّه الكريم إلي آخره .

ثم رسم له ولمن يسـمع تحاورهما العاقبة التي تنتظره ، فقال: « فأبشـر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم » . ولكن « لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ »(1) .

أفبالموت تخوفني ؟!

فقال له شمر : إنّ اللّه قاتلك وصاحبك عن ساعة .

قال : أفبالموت تخوفني ؟! فواللّه للموت معه أحبّ إليّ من الخلد

معكم .

1- الأنبياء: 45 .

ردّ شمر علي زهير ردّاً وقحاً ، يكشف عن صلافته وغيّه ومدي ولعه

بسفك الدماء الطاهرة ، وعمق الضغائن والأحقاد الدفينة والمتجذرة في وجوده العفن ، إنّه لا يفهم سوي لغة التهديد والقتل وسفك الدماء ، ينتظر قتل سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه لحظة بعد لحظة ، ويتوثب لحرب اللّه ورسوله وتمزيق صفحات القرآن المتمثلة في وجود سبط النبي صلي الله عليه و آله .

فأجابه زهير بجواب يدهش السامع ، ويحيّر اللبيب ، لما تضمن من

بلاغة وفصاحة وعمق في الولاء ، وتفاني في الحبّ حتي ليحسب الإنسان أن لو أراد الناس كلّهم أن يعبّروا عمّا عبّر عنه زهير في حبّه للحسين عليه السلام لما استطاعوا أن يعبّروا عن كلّ هذا الحبّ الذي لا يبلغ أحد مداه ولا يتصور بشر عمقه وشدّته ومستواه ..

وقد تضمّن الجواب أميرين :

الأمر الأول : الردّ علي تهديده بالقتل

فإنّ أقصي ما يخوّف به الإنسان هو الموت ، وقد تضمّن تهديد شمر بالقتل الإشارة الي أ نّه سيقتل زهير والحسين عليه السلام معاً ، والموت عند زهير مع الحسين عليه السلام وفي سبيله أقصي ما يتمنّاه ، وقد خرج منذ فترة طويلة

متحملاً أعباء السفر ، ومتجشماً الغربة والتشرد في الفيافي والقفار انتظاراً لهذا اليوم الموعود ، فالموت في هذا اليوم ، والتضرج بدمه علي رمضاء كربلاء التي ستحتضن جسد ريحانة الرسول صلي الله عليه و آلهأحلي عنده من العسل ، وتحقيقاً لغاية المني ، فبماذا يهدد هذا الجلف الجافي ؟!

ولهذا قال له : أفبالموت تخوفني ؟! فردّ عليه تهديده ، وخيب سعيه ، وألقمه حجراً كسّر أنيابه .

الأمر الثاني : بيان حبّه للبقاء مع الحسين عليه السلام علي كلّ حال

سبحان اللّه . . واللّه أكبر . . يقسم زهير قسماً باراً ويقول : فواللّه للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم .

ولا يبدو أنّ المقصود في كلام زهير هو الموت الذي يعبر به إلي الجنان مع الحسين عليه السلام فحسب ، وإنّما يوحي كلامه بالموت الذي يعتقده شمر وأمثاله ، والخلود الذي يظنونه هم في معتقدهم وتصوراتهم .

فالموت بالمعني الأول لا شك عنـد زهير وعند غيره ممن يؤمن بالآخرة والمعاد أفضل من الحياة مع هؤلاء وغيرهم ، إلاّ أنّ الخلد في الدنيا التي هي نعيم عند الكفار والمنافقين ، وخلاص من النار وسجين ، والموت أول العذاب والرحيل الي دركات الجحيم . .

فيكون من معاني كلامه في هذا الترجيح أ نّه يقول لهم : إنّ الحسين هو جنتي ونعيمي ، هو أقصي أمنيتي وأملي . . . .

فلو كان الخلود في الدنيا نعيما كما تظنونه ، فإنّ الموت مع الحسين عليه السلام

أحبّ إليّ ، لأنّ نعيم الموت مع الحسين عليه السلام أولي من الخلد في نعيمكم

البائس الهزيل التافه .

عودة إلي خطاب الأعداء

احتقر زهير شمراً ، وأعرض عنه ، لأ نّه أعلي شأناً ، وأرفع مقاماً

من أن يكّلم بهيمة ، ويتردّد في الحوار معه ، ليعلم كلّ من حضر أنّ شمراً ليس ممن يستمع اليه ، ولا يستحق أن يصغي العاقل الي كلامه ، فأقبل علي الناس رافعاً صوته ، فقال :

عباد اللّه ، لا يغرنّكم من دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه ، فواللّه لا تنال شفاعة محمد صلّي اللّه عليه وسلم قوماً هراقوا دماء ذريته وأهل بيته ، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم .

وتضمن هذا المقطع من كلامه أقوي الحجج ، وأبلغ النصيحة ، تتلخص في ما يلي :

أولاً : إنّكم عباد اللّه .

ثانياً : إنّ شمر وأشباهه من الأجلاف الجفاة يريدون أن يغرّوكم من دينكم ، فلا تلتفتوا لهم ، لأ نّهم أجلاف جفاة ، وحقراء نكرات ، يبغون لكم الفتنة ، ويدعونكم إلي النار .

ثالثاً : إنّكم عباد اللّه ، وتدعون أنّكم تتدينون بدين نبيه محمد صلي الله عليه و آله ، وتزعمون أنّكم ترجون شفاعته لينقذكم يوم لا ينفع مال ولا ـ بنون ، ويعبر بكم علي الصراط الي الجنان ، فكيف ترجون شفاعته ونصرته يوم القيامة وأنتم تسفكون دماء ذريته ، وأهل بيته ، ومن أغاثهم ، وحماهم ودافع عنهم ونصرهم .

رابعاً : خيّرهم بين فريقين ، فريق يقوده الأجلاف الجفاة ، وفريق يقوده رجل تجلّت فيه أسماء اللّه ، وأنصاره الذين عرفوا بالرحمة والرأفة والرفق والحلم والوقار.

خامساً : أثار فيهم حميتهم وغيرتهم ، إن كانت فيهم بقيـة من غيرة أو حميـة ، فـذكّرهم أنّ الـذين وقفوا مع الحسـين عليه السـلام إنما قاموا للـذبّ عن حرمات اللّه ، وتنادوا للدفاع عن حرم نبيهم ، واسـتماتوا في صون المخدرات من عقائل الوحي ، لئلا يقترب من أسوار خدرهن هؤلاء الجفاة الأجلاف .

ص: 123

الحسين عليه السلام يدعو زهيراً

قال : فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد اللّه يقول لك : أقبل ، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت ، لو نفع النصح والابلاغ(1) .

يبدو من سعة صدر زهير ، وإصراره في إقامة الحجة علي القوم ، وعلو همّته في كسب وسام « لئن يهدين اللّه بك رجل » ، وقوته في الإبلاغ والوعظ أ نّه سيبقي واقفاً يعظ القوم ويحتج عليهم ، ولو كلّفه ذلك دهراً ، حتي يتيقن أ نّه قد أدّي ما عليه ، وأنجز تكليفه ، ولا يمكن أن يطمئن إلي هذه النتيجة إلاّ إذا أخبره المعصوم بذلك ، وربما كان نداء الحسين عليه السلام لذلك .

فناداه أن أقبل . . ولم يقل له عد أو ارجع أو أدبر ، وإنّما « أقبل » ، لأ نّه سوف يبمم وجهه نحو الحسين عليه السلام والحسين عليه السلام هو وجه اللّه الذي منه يؤتي ، فهو الإقبال بعينه .

1- تاريخ الطبري : 4/323 ، البداية والنهاية لابن كثير : 8/194 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : 4/63 ، تاريخ اليعقوبي : 2/244 ، لواعج الأشجان للسيد الأمين : 133 .

ثم أقسم له الحسين عليه السلام بحياته هو ، بحياة محبوبه الذي يتمني الموت معه ، والموت معه عنده أحبّ من الخلد مع غيره ... أقسم له بأحبّ مقدس عنده ، أقسم له بحياة الحسين عليه السلام . .

وطمأنه أ نّه أدّي ما عليه ، وأنّ القوم لا ينفعهم النصح ، لأنّك نصحت وأبلغت ، « لو » نفع النصح ، و« لو » أداة أمتناع لا متناع !!!

أمّا تشبيهه بمؤمن آل فرعون ، فقد مرّ الكلام فيه مفصلاً .

هل تأثر القوم بموعظة زهير ؟

قال الشيخ باقر شريف القرشي – حفظه اللّه – تعليقاً علي خطاب زهير : « ووجم الكثيرون ، واستولت عليهم الحيرة والذهول ، ولمّا رأي ذلك شمر بن ذي الجوشن خاف أن يثوب الجيش إلي الرشاد ، فسدّد سهماً إلي زهير ، وهو يقول: اسكت أسكت اللّه نأمتك ، أبرمتنا بكثرة كلامك(1) » .

ربما كان في كلامه – حفظه اللّه – إشارة إلي أنّ الجيش قد انفعل ، ولو انفعالاً بسيطاً بكلام زهير ، بحيث دعاه الخطاب إلي الوجوم والتردد في الموقف ، والحيرة والذهول ، حتي أنّ شمراً اكتشف ذلك في وجوههم ، وقرأ ما في ضمائرهم وصدورهم ، فانبري يشوّش عليهم انقطاعهم وخلوتهم بأنفسهم ، ويربك عليهم وجومهم ، ويخرجهم من حيرتهم ، وينبههم عن ذهولهم .

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام : 3/205 .

وكأنّ هذا الوغد الجلف الجافي الأرعن الفتاك يمكنه أن يقرأ الأفكار ، ويستكشف المواقف ، ويستشرف ما يقبل من الأحداث ، فيما نسمع الحسين عليه السلام يقرر لنا حقيقة تخالف ذلك تماماً حينما قال : أقبل ، فلعمري لئن

كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت ، لو نفع النصح والإبلاغ(1) .

لم يكن في أدبيات شمر وأصحابه ما يعبّرون به سوي السباب والشتائم

والتهديد بالقتل ، فلم يكن جوابه القاسي الوقح إلاّ تعبيراً عن حجته في الخصام ، وهذا هو دأبهم .

قال الأستاذ محمد نعمة السماوي : وإذا ما كان أمثال ابن زياد ، يجدون دائماً أمثال شمر يدافع عنهم بالسباب والقول البذيء الفاحش ، ويشهر السيف بوجه أعدائهم ، فليس معني ذلك أ نّهم علي حقّ ، وإلا فلماذا لا يلجأون إلي الحجة القوية الدامغة ، يسكتون بها حجج أعدائهم من أمثال زهير ، إذا كانت لديهم مثل تلك الحجة(2) .

وقد أتمّ زهير الحجة عليهم ، ولم يبق لهم مجالاً للشك أو التردد أو الوجوم ، فقد لاح الحقّ واتضحت معالمه جلية ناصعة لا غبار عليها ولا تعتيم « ومع ذلك فلم يستجب له أحد ، وبدا أنّ الحشد الذي تألّف منه

1- تاريخ الطبري : 4/323 ، البداية والنهاية لابن كثير : 8/194 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : 4/63 ، تاريخ اليعقوبي : 2/244 ، لواعج الأشجان للسيد الأمين : 133 .

2- وتنفس صبح الحسين عليه السلام : 591 .

جيش ابن زياد كان فاقد الإرادة تماماً ، وإذا ما كان قد عزم علي شـيء ، فإنّما علي البقاء جثة هامدة بين أيدي الأعداء أعوان السلطة ، يقلّبونه كيفما يشاون ، ويسيّرونه وفق هواهم وأغراضهم .

كان الجميع مصـممين علي أمر واحد ، وهو عدم الاسـتماع لحجج أصحاب الحسين عليه السلام تماماً كما كان يفعل المشركون في زمن الجاهلية الأولي ، إذ يضـعون أصابعهم في آذانهم ، ويصـرخون ويعربدون ويسـخرون ويضحكون ، لئلا يصل إليهم صوت الرسول الكريم صلي الله عليه و آله ، وأصوات أصحابه ، وهي تردد آيات الكتاب العزيز ، وتدعوهم إلي اللّه وإلي دينه القويم . . . »(1) .

فلا يبدو أنّ الدافع لشمر في مواجهة زهير بوقاحة وانعدام أدب هو تقديره للموقف ، وإدراكه للإفرازات وردود الأفعال المتوقعة من تأثير كلام زهير في جيشه ، وإنما هو سخفه وضعفه وفظاظته وغلظة طبعه وطينته القذرة ، وهكذا هو كلام شمر ، ولا يعرف شمر إسلوباً آخر في الكلام سواء كان في الحرب أو في السلم ، مع العدو أو مع الصديق .

كما أ نّنا لم نجد في التاريخ أيّ مؤشر – مهما كان ضعيفاً – علي تأثر الجيش بأيّ أشكال التأثر والإنفعال ، ولو علي مستوي الوجوم والذهول والحيرة ، بل كان تقرير سيد الشهداء عليه السلام وأعرف الخلق بالخلق علي

خلاف ذلك تماماً !!!

1- وتنفس صبح الحسين عليه السلام : 591 – 592 .

رجز زهير

قال ابن أعثم الكوفي : وخرج .. زهير بن القين البجلي ، وهو يرتجز ويقول :

أنا زهير وأنا ابن القين*أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حسيناً أحد السبطين*من عترة البر التقي الزين

ذاك رسول اللّه غير المين*أضربكم ولا أري من شين(1)

يا ليت نفسي قسمت نصفين(2)

وقال الطبري : وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً ، وأخذ يقول :

أنا زهير وأنا ابن القين*أذودهم بالسيف عن حسين

قال : وأخذ يضرب علي منكب حسين عليه السلام ويقول :

أقدم هديت هادياً مهدياً*فاليوم تلقي جدّك النبيا

وحسناً والمرتضي علياً * وذا الجناحين الفتي الكميا

وأسد اللّه الشهيد الحيا(3)

1- كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي : 5/ 109 .

2- بحار الأنوار : 45/25 ، العوالم ، الإمام الحسين عليه السلام : 269 ، أعيان الشيعة : 1/606 .

3- تاريخ الطبري : 4/336 .

وقال الخوارزمي في المقتل : « أقدم حسـين هاديا مهدياً » الأبيات التي تقدّمت للحجاج بن مسروق ، فلا أدري أهو منشؤها أم الحجاج بن مسروق(1) ؟

1- مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : 2/24 .

وقفات

الوقفة الأولي:

يلاحظ أحياناً أنّ أكثر من واحد من أصحاب الحسين عليه السلام يرتجزون برجز واحد ، ولذا نجد الخوارزمي يتردّد في نسبة الأبيات التي ارتجز بها زهير الي الحجاج أو زهير ، فهو لا يشكك في أ نّهما ارتجزا بها معاً ، ولكنّه لا يدري من المنشيء أولاً .

الوقفة الثانية :

إنّ زهير بن القين كانت له أكثر من حملة ، وأكثر من هجمة علي الأعداء ، وقد برز يقاتل عدّة مرات منذ أن بدأت المعركة ، وزحفت جيوش الظلام لإنطفاء نور اللّه ، ولهذا كان له أكثر من رجز .

الوقفة الثالثة :

قوله :

أنا زهير وأنا ابن القين * أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حسيناً أحد السبطين * من عترة البرّ التقي الزين

ذاك رسول اللّه غير المين * أضربكم ولا أري من شين

يا ليت نفسي قسمت نصفين

لفتات

اللفتة الأولي :

عرّفهم أولاً بنفسه ، وهو يعلم أنّ اسمه وحده كاف في ضعضعة أركان

معسكر الأعداء ، فهو نجم زاهر بين « فرسان المصر » ، واسمه معروف عند المشركين والمعاندين الذين خرجوا لحرب اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله ، وقتال سيد شباب أهل الجنة .

فذكره اسمه واسم أبيه كاف في الإنتساب ، ولا حاجة للإطالة ، بعد أن دمدم عليهم بالصاعقة الحارقة « زهير بن القين » .

ثم ذكر لهم ما يريد أن يصنع بهم ، وهو الشجاع البطل الذي يستحثّ

بسيفه ملك الموت في الإجهاز علي أعداء الحسين عليه السلام إنّه يريد أن يذودهم

بالسيف ، يكردهم ويطردهم ويحصدهم بسيفه ، في صورة مؤثرة تقطع الأكباد حزناً علي قرّة عين البتول عليهاالسلام وريحانة الرسول صلي الله عليه و آله .

« أذودكم بالسيف عن حسين » يرسم لنا صورة الوحوش الكاسرة التي كشرت عن أنيابها وأحاطت بالحسين عليه السلام كالهيم العطاش التي تتزاحم وتتدافع لترد الماء ، وزهير الفارس الضرغام يذودهم ويدفعهم بسيفه عن سيد شباب أهل الجنة عليه السلام .

اللفتة الثانية :

ثم ذكر لهم سبب دفاعه عن الحسين عليه السلام وذوده إياهم بالسيف ، فمن هذا الحسين الذي يضحي زهير من أجله ، ويقتل الآخرين لئلا يصلوا اليه ؟

إنّ حسيناً أحد السبطين * من عترة البرّ التقي الزين

عرّف الحسين عليه السلام بتعريفين :

الأول :

إنّ الحسين عليه السلام هو أحد سبطي النبي صلي الله عليه و آله ، والسبط هو طريقهم الي الفوز والنجاة وتلقي الدين من اللّه ، وقد قال فيه رسول اللّه صلي الله عليه و آله : حسين منّي وأنا

من حسين ، أحبّ اللّه من أحبّ حسيناً ، حسين سبط من الأسباط(1) .

وروي عن أبي هريرة قال : قلت لرسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ لكلّ نبي وصي وسبطان ، فمن وصيك وسبطاك ؟ فسكت ولم يرد الجواب ، فانصرفت حزيناً .

فلمّا حان الظهر قال : ادن يا أبا هريرة ، فجعلت أدنوا وأقول : أعوذ باللّه من غضب اللّه وغضب رسوله .

1- الأدب المفرد للبخاري : 85 ، المصنف لابن أبي شيبة الكوفي : 7/515 ، المستدرك للحاكم : 3/177 ، سنن الترمذي : 5/324 ، مسند أحمد : 4/172 ، ذخائر العقبي للمحب الطبري : 133 ، شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي : 3/112 ، المعجم الكبير للطبراني : 3/33 ، كتاب ابن حبان : 15/428 ، الإرشاد للمفيد : 2/127 ، كامل الزيارات لابن قولويه : 116 ح126 .

ثم قال : إنّ اللّه بعث أربعة ألف نبي ، وكان لهم أربعة ألف وصي وثمانيةألف سبط ، فوالذي نفسي بيده لأنا خير النبيين ، ووصي خير الوصيين ، وإنّ سبطي خير الأسباط .

ثم قال عليه السلام : سبطي خير الأسباط ، الحسن والحسين سبطي هذه الأمة ، وأنّ الأسباط كانوا من ولد يعقوب ، وكانوا إثني عشر رجال ، وأنّ الأئمة بعدي إثنا عشر من أهل بيتي ، علي أولهم ، وأوسطهم محمد ، وآخرهم محمد ، ومهدي هذه الأمة الذي عيسي بن مريم خلفه ، ألا إنّ من تمسك بهم بعدي فقد تمسك بحبل اللّه ، ومن تخلّي منهم فقد تخلّي من اللّه (1) .

والسبط في كلام العرب خاصة الأولاد(2) والسبط الشجرة التي لها فروع ، والسبط بمنزلة القبيلة من بني إسرائيل .

« ومن المعلوم أن الأسباط هم ورثة الأنبياء ، فالحسين عليه السلام سبط قد ورث من الأنبياء رسالاتهم في إحياء دين اللّه الإسلام .

وجاء في كتاب النهاية لابن الأثير : الحسين سبط من الأسباط أي أمّة من الأمم في الخير ، والأسباط من ولد إسحاق بن إبراهيم الخليل بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل ، وفي الحديث الحسن والحسين عليهماالسلامسبطا رسول اللّه صلي الله عليه و آله أي طائفتان وقطعتان منه(3) » .

1- كفاية الأثر للخزاز القمي : 80 .

2- تفسير مجمع البيان للطبرسي : 4/376 ، تفسير غريب القرآن للطريحي : 346 عن ابن الأعرابي .

3- تاريخ مرقد الحسين والعباس عليهماالسلام لسلمان هادي آل طعمة : 37 .

والحـديث الأول اتفق الناس كلّهم علي نقله ، وتظافر الجمهور علي روايته ، ولا يمكن أن يكون ثمة من ينكر سـماعه من رسول اللّه صـلي الله عليه و آله أو عنه ،ولذا احتج به سـيد الشـهداء عليه السلام نفسه علي القوم ، وهو يتضمّن مقدّمة قدّمها النبي صلي الله عليه و آله حينما قال : « حسين منّي وأنا من حسين ».

فزهير يـذكرهم أ نّهم يقاتلون النبي صـلي الله عليه و آله نفسه علي نحو الحقيقـة ، ويقاتلون من جعل النبي صـلي الله عليه و آله حبّه ميزاناً لحبّ اللّه « أحبّ اللّه من أحبّ حسيناً » ، « حسين سبط من الأسباط » .

الثاني :

إنّ الحسـين عليه السـلام « من عترة البرّ التقي الزين » وعلي العبـاد أنّ يتمسـكوا به ، لأـ نّه عـدل القرآن ، وأ نّه لاـ يفترق عنه أبـداً حتي يرد الحوض علي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، ومن تمسك به لن يضلّ ، وهو إشارة صـريحة ، وتضـمين رائع لحـديث الثقلين المتواتر بين المسلمين جميعاً ، ولا أحسب أ نّنا بحاجة الي توثيق الخبر أو تخريجه وذكر مصادره وطرقه ، فإنّ ذلك يضطرنا الي وضع كتاب خاص ، ولا أحسب أيضاً أنّ أيّ مصدر أو جزء حديثي يخلو من ذكر هذا الحديث بأيّ لفظ من ألفاظه .

قـال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله : وإني تـارك فيكم الثقلين كتـاب اللّه – عزّ وجلّ – وعترتي ، كتاب اللّه حبل ممـدود من السـماء إلي الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتي يردا عليّ الحوض ، فانظروني بم تخلفوني فيهما(1) .

1- مسند أحمد : 3/17 .

وفي بعض الألفاظ نهي عن التقـدّم عليهم أو التخلّف عنهم ، والأمر بملازمتهم ، وفي بعضـها الوصاية بهم . . .فزهير بن القين يدعوهم في رجزه ، ولا يتخلّي عن كشف الحقائق لهم

ووعظهم وهو يقاتلهم ، ويـذكّرهم المرّة تلو الأخري أ نّهم يقاتلون عـدل القرآن ، ومن أمروا بالتمسك به لئلا يضـلّوا ، وأ نّهم بشـر خطّاؤون والحسين عليه السلام معصوم لا يتخلّف عن القرآن ولا يخالفه .

ثم إنّه رتّب لهم موازنـة عجيبـة ، وخيّرهم بين إتبـاع أولاد الطلقاء ، والأدعياء من أبناء البغايا ذوات الرايات ، وبين الأسـباط من أولاد الأنبياء الأبرار الأتقياء .

بعد أنّ ذكر في رجزه حديثين مهمين يقوم عليهما الدين والعقيدة ، أكدّ لهم أنّ الذي استدلّ به إنما هو مروي عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، والنبي صادق

أمين لا يتهم بكـذب « ذاك رسول اللّه غير المين » والمين الكاذب ، فإذا آمنتم بالنبي صـلي الله عليه و آله واعتقدتم أ نّه صادق غير كاذب ، فاقبلوا بالحديثين السابقين في سيد شباب أهل الجنة وسيد الشهداء الحسين عليه السلام .

اللفتة الثالثة :

ذكر زهير أ نّه يذودهم بسيفه عن الحسين عليه السلام الذي قال فيه النبي صلي الله عليه و آله

حسـين مني وأنا من حسـين ، أحبّ اللّه من أحبّ حسيناً ، حسين سبط من الأسباط ، ويقاتلهم لأ نّه يدافع عن الثقلين ، كتاب اللّه والعترة ، فهو علي بصيرة من أمره مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين ، فلا شكّ يساوره

في موقفه ، ولا تردّد يزلزل عليه عقائـده ، لأ نّه يقاتل قوماً خالفوا اللّه ورسوله ، وحاربوا الكتاب والعترة ، وعزموا علي سـحق ريحانـة الرسول ،وتفتيت كبـد الزهراء البتول عليهاالسـلاموغرز السـنان في عين عين اللّه أمير المؤمنين عليه السـلام وهتـك حرمـة نساء جعل اللّه ملائكته خدامهم وحراسهم ، وقد أقام عليهم الحجة زهير بن القين ، بعد أنّ أتمّ عليهم الحجة من قبل سيده الحسين عليه السلام .

وحينئـذٍ لا يري زهير في قتالهم أيّ شـين ، إنّهم قوم يسـتحقّون أن يعجّل زهير وأصـحابه بأرواحهم الي دركات الجحيم ، ويـذيقهم الموت الزئام ، ويلقيهم بسيفه في أسفل الفيلوق ، ولا يخاف في ذلك لومة لائم .

« أضربكم ولا أري من شين » ، أضربكم ضرب الواثق المعتقد المؤمن الواعي العارف بما يقدم عليه .

اللفتة الرابعة :

وهنا يختم زهير رجزه بأمنية صادقة ، وفي نفس الوقت معبّر غاية

التعبير عن مدي حبّه لسـلطان المظلومين وسـيد الشـهداء الحسـين عليه السلامفهو ينظر الي ريحانة الرسول صلي الله عليه و آله وقرّة عين الزهراء البتول عليهاالسـلام وقد حوصـر هو وأصحابه بكربلا ، واجتمع عليه خيل أهل الشام ، وأناخوا عليه ، وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها ، واستضـعفوا الحسـين – صـلوات اللّه عليه – وأصحابه ، وأيقنوا أن لا يأتي الحسين ناصر ، ولا يمدّه أهل العراق ، بأبي المستضعف الغريب(1) .

1- الكافي للكليني : 4/147 .

وهو يسمع بكاء مخدرات الوحي ، وعقائل النبوة ، وصراخ أطفال الحسين واستغاثتهم ، ويري شفاههم الذابلة المتشققة من العطش ، وتهزّهمشاهد أصحابه المجزرين كالأضاحي علي الرمضاء ، تصهرهم حرارة الشمس ، فيتمني أن تنقسم نفسه نصفين ، وينصدع قلبه لما يلقاه من هؤلاء الأوغاد سيده الحسين عليه السلام .

أو أنّه يتمني أن يكون زهير زهيرين ، وتنقسم نفسه قسمين ، إذا فنت الأولي قاتل بالأخري .

أو أنّه يتمني أن يجعل قسماً من نفسه وقاءاً للحسين عليه السلام وقسماً آخر يقاتل به الأعداء ليذودهم عن إمامه عليه السلام الغريب الوحيد .

أو أنّه يتمني أن تكون له نفس بعد نفس يدافع بالأولي عن محبوبه

الحسين ويدافع بالأخري عن حرمه وعن إمام زمانه علي بن الحسين عليهماالسلام .

« يا ليت نفسي قسمت نصفين » .

الوقفة الرابعة :

قال : وأخذ يضرب علي منكب حسين عليه السلام ويقول :

أقدم هديت هادياً مهدياً * فاليوم تلقي جدّك النبيا

وحسناً والمرتضي علياً * وذا الجناحين الفتي الكميا

وأسد اللّه الشهيد الحيا

لفتات

اللفتة الأولي :

إنّ ضـربه علي منكب الحسين عليه السلام ومواساته بهذه الأبيات يكشف عن مدي قرب زهير من الحسين عليه السلام كما أ نّه يشير – نحو إشـارة – الي أنّ عمر زهير بن القين أكثر ممّا اسـتظهرناه فيما سـبق ، فمن البعيـد أن يتصـرّف زهير مع إمامه هـذا التصـرّف لو لـم يكن له ما يسوّغه ، غير ما ذكرناه من قربه وشدّة علاقته ، فلو افترضـنا أ نّه كان أكبر سـنّاً من الحسين عليه السلامفيكون فارق السن مسوّغاً بالإضافة الي العلاقة .

اللفتة الثانية :

أقدم هديت هادياً مهدياً * فاليوم تلقي جدّك النبيا

لقد بلغ زهير في أبياته هذه مدي لا يمكن لأحد أن يدركه فيتحدّث

عنه ويسـتكشف موقفه . سـيما إذا علمنـا أنّ رجزه هـذا كان قبيل شـهادته ، فهو يواسـي الحسـين عليه السـلام إبان انطلاقه للقاء من ذكرهم للحسين عليه السلام فهو يريد أن يعجّل الحسين ويقدم لكي لا تطول مدّة الفراق بينهما .

« أقدم » هكذا هو زهير ، ثبات وإسـتقامة ويقين ، يخاطب سـيد شـباب أهل الجنه ويحثّه علي الإقدام !! وهنا لا يسعنا إلاّ أن نسكت ونترك الموقف بين زهير ومحبوبه وإمامه .

اللفتة الثالثة :

ثم عبّر زهير عن اعتقاده بعصمة الحسين عليه السلام « هديت هادياً مهدياً » ،

ص: 138

ومن البـديهي أنّ الـذي يقـدم دائماً ، ولا يحجم أبـداً هو المعصوم الذي لا ينطق عن الهوي ، والذي يسدّده اللّه ويوحي إليه فعل الخيرات ، وهو الهاديالمهدي ، وهي صفة لا تصدق إلاّ علي المعصوم قال تعالي : «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَي الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدي فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » .

فإذا أقدم الحسين عليه السلام أقدم زهير متبعاً للحقّ الذي لا يعتريه شّكّ ولا شبهة ولا باطل .

وبهذا كشف زهير لنا وعرض اعتقاده علي إمامه في ساحة الوغي ،

وجلجل صوته مرتفعاً علي صهيل خيل عساكر الكفر والضلال والجحود وقعقعة سلاحهم .

اللفتة الرابعة :

قـال : « أقـدم . . . فـاليوم تلقي جـدّك النبيـا » إنّه يوم فرح وسـرور ، وإبتهاج وحبور ، يتلهّف له زهير ، ولا يري فيه سوي الإقـدام ، لأ نّه يوم يحمل له أعظم بشري ، بشري لقاء النبي صلي الله عليه و آله والمرتضي علي

عليه السلاموصنوه الحسن عليه السلام وجعفر وحمزة .

وفي بعض النسخ : « نلقي » بدل « تلقي » ، ولا يوجد كثير فرق بين التعبيرين ، لأنّ لقاء الحسين عليه السلام بهم يتبعه لقاء زهير وصحبه .

وهو يعلم ما في لقاء هؤلاء الأحبة من أثر في قلب المكروب المغموم

الوحيـد الفريـد العطشان الغريب ، إنّه لقاء بحبيبه المصـطفي جـدّه الذي كان يشـمّه ويشـبعه لثماً وتقبيلاً ، وحبّاً وحناناً وعطفاً ، ولقاء بأبيه المرتضي علي عليه السلام وأخيه وأعمامه الأطهار الأبرار حمزة وجعفر الطيار عليهماالسلام .

اللفتة الخامسة :

لا يخفي ما في تعبيره « جدّك النبيا . . . » وهو يرتجز أمام الأعداء ،ويسمعهم كلامه مع الحسين عليه السلام من بيان مقام الحسين عليه السلام وأنّ جدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله وأباه أمير المؤمنين ، وأخاه المجتبي ، وأعمامه هم جعفر الطيار وحمزة سيد الشهداء عليهم السلام وهم من لا يحتاج أحد ممّن حضر في ذلك اليوم الي بيان فضلهم ومنزلتهم ومقامهم ، مسلماً كان أو غير مسلم ، فزهير يفتخر أمامهم بمفاخر سيده الحسين عليه السلام ولا يري لنفسه مفخرة تذكر أمام الأعداء ، وإنما يري مفاخر إمامه مفاخراً له .

اللفتة السادسة :

« وذا الجناحين الفتي الكميا وأسد اللّه الشهيد الحيا »

ما أروع اختياره لهذين العمّين من بين الأعمام ، وما أروع الصفات

التي وصف بها جعفراً وحمزة ، حيث اختار من الصفات ما يناسب المقام من الفتوة والإستعداد والبسالة والشجاعة والإقدام ، فأحدهما « الفتي الكمي » ، والآخر « أسد اللّه » .

ثم وصف أحدهما بذي الجناحين ، والآخر بالشهيد الحي ، وهذه هي العاقبة التي تنتظرهم هم أيضاً .

اللفتة السابعة :

إنّ التوظيف الدقيق للصفات ، والتضمين العميق الصائب للأحاديث الشريفة في أبياته هذه ، وفي الأبيات التي سبقت تكشف عن مدي

سعـة معرفـة زهير بالحـديث الشـريف ، وعمق إيمـانه وتسـليمه بمـا قاله النبي صـلي الله عليه و آله ، ودقته في وعي النص وفقهه ، وبلاغته الرشيقة ، وفصاحتهالرفيعة ، وقوته في معرفته دينه .

اللفتة الثامنة :

ربما تلجلج في الصدر سؤال مفاده : لماذا لم يذكر زهير فيمن ذكر أ نّه سيلقاهم الحسين عليه السلام فاطمة عليهاالسلام ؟

والجواب علي ذلك يمكن أن يكون أحد أمرين ، أو هما معاً :

الجواب الأول :

إنّ زهير يعرف جيّداً أنّ فاطمة الزهراء عليهاالسلام هي المستورة الكبري ، والصديقة المحجوبة التي فطم الخلق عن معرفتها(1) فهو لا يريد أن يـذكرها إجلالاً ـ وإعظامـاً وغيرة ، وهـذا أدب رفيع في التعامل مع الصديقـة الكبري حيث يأبي أن يجري اسـمها علي لسانه احتراماً لها ولولدها .

ثم إنّه يعلم أنّ مقـام فاطمـة يوم القيامـة مقـام « غضوا أبصـاركم » فهو لا يطمع أن يلقاها مباشـرة كما يأمل في لقاء الباقين الـذين ذكرهم ، ويتأكد هذا المعني إذا اخترنا قراءة « نلقي » .

الجواب الثاني :

إنّه ذكر النبي والوصي ، والشهيد الحي والفتي الكمي ، لمناسبة الموقف ،

1- انظر تفسير فرات الكوفي : 581 ح 747 ، بحار الأنوار : 43/65 ح 58 .

فهو في ميـدان الحرب والقتال ، وشـحذ الهمم ومواساة الرجال ، وهـذا المقام لا يناسب تأجيـج العواطف ، والشـجون والتـذكير بالأحزان والآلاموالدموع ، وذكر الصديقة فاطمة عليهاالسلام عند الحسين عليه السلاميثير زفرته ، ويهيج عليه آلامه ، وهو لا يناسب المقام .

وربما كان لا لهذا ولا ذاك ، فاللّه أعلم بما في صدور أوليائه الأكرمين .

ص: 142

زيادات وروايات أخري في الرجز

روي الشيخ ذبيح اللّه المحلاتي في فرسان الهيجاء رجز زهير مع زيادات ، وفيه بعض الأشطر المنسوبة الي أبي الفضل العباس عليه السلام .

قال : فحمل عليهم زهير كأنّه التنين الصائل أو الشهاب الحارق ، وقلب الميمنة علي الميسرة ، وحمي أتون الحرب ، فقال مرتجزاً :

أنا زهير وأنا ابن القين * وفي يميني مرهف الحدين

أذودكم بالسيف عن حسين * إن حسيناً أحد السبطين

ابن علي طاهر الجدين * من عترة البر التقي الزين

ذاك رسول اللّه غير المين * يا ليت نفسي قسمت قسمين

وعن إمام صادق اليقين * أضربكم محامياً عن ديني

أضربكم ولا أري من شين * أضربكم ضرب غلام زين

بأبيض وأسمر ردين(1)

ثم قال : ودّع زهير الحسين عليه السلام بأرجوزة ، وسار نحو ميدان القتال :

1- الشطر الأخير زيادة وردت في ناسخ التواريخ: 2/398 .

فدتك نفسي هادياً مهدياً(1)* اليوم تلقي جدّك النبيا

وحسناً والمرتضي علياً * وذا الجناحين الشهيد الحيا

وفاطم الطاهرة الزكيا * ومن مضي من قبلنا تقيّا

وعليه يكون قد ذكر فاطمة الزهراء عليهاالسلام في رجزه أيضاً فلا يكون لما ذكرناه قبل قليل مجال للسؤال فضلاً عن الجواب .

وفي موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : عن الفرهاني : وفي رواية : وخرج زهير بن القين ، فوضع يده علي منكب الحسين عليه السلاموقال مستأذناً :

أقدم هديت هادياً مهدياً * فاليوم ألقي جدّك النبيا

وحسناً والمرتضي عليا * وذا الجناحين الفتي الكميا

وأسد اللّه الشهيد الحيا * فقال الحسين عليه السلام : وأنا ألقاهما علي أثرك(2) .

وفي ينابيع المودّة: ثم برز زهير وهو يقول(3) :

أقدم حسين اليوم تلقي أحمدا * ثم أباك الطاهر المؤيدا

والحسن المسموم ذاك الأمجدا * وذا الجناحين حليف الشهدا

وحمزة الليث الهمام الاسعدا * في جنة الفردوس عاشوا سعدا

* * *

1- إبصار العين للسماوي : 183 .

2- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : 538 .

3- ينابيع المودة للقندوزي تحقيق سيد علي جمال أشرف : 3/71 .

هل كان زهير عثمانياً ؟

المستند في ما لصق بزهير من الإفتراء والبهتان والإتهام إنّما هو ما ورد في تاريخ الطبري علي لسان العدو حينما قال له في ظرف له ملابساته : « يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنت عثمانياً » .

فصدّق الناس جميعاً مخالفهم ومؤالفهم هذه الفرية ، وهي أقذع سبّة ، وأوقح شتمة ، وأقذر تهمة ، يمكن أن تلوث بها ساحة بطل ضرغام يقول فيه المعصوم: طبت وطابت الأرض التي فيها دفنت .

أمّا النص التاريخي الذي وردت فيه هذه الفرية فهو :

« . . . ثم إنّ عمر بن سعد نادي : يا خيل اللّه اركبي وأبشري ، فركب في الناس ، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر ، وحسين جالس أمام بيته محتبياً بسيفه ، إذ خفق برأسه علي ركبتيه ، وسمعت أخته زينب الصيحة ، فدنت من أخيها ، فقالت : يا أخي ، أما تسمع الأصوات قد اقتربت .

قال : فرفع الحسين رأسه ، فقال : إنّي رأيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله في المنام ، فقال لي : إنّك تروح إلينا .

قال : فلطمت أخته وجه ها وقالت : يا ويلتا ، فقال : ليس لك الويل يا أخيتي ، اسكني رحمك الرحمن .

ص: 145

وقال العباس بن علي : يا أخي ، أتاك القوم .قال : فنهض ثم قال : يا عباس ، اركب بنفسي أنت يا أخي ، حتي تلقاهم فتقول لهم : ما لكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسألهم عمّا جاء بهم ، فأتاهم العباس ، فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً ، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر .

فقال لهم العباس : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟

قالوا : جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا علي حكمه أو ننازلكم .

قال : فلا تعجلوا حتي أرجع إلي أبي عبد اللّه ، فأعرض عليه ما ذكرتم .

قال : فوقفوا ، ثم قالوا : القه فأعلمه ذلك ، ثم ألقنا بما يقول .

قال : فانصرف العباس راجعاً يركض إلي الحسين يخبره بالخبر .

وقف أصحابه يخاطبون القوم ، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين : كلّم القوم إن شئت ، وإن شئت كلّمتهم ، فقال له زهير : أنت بدأت بهذا ، فكن أنت تكلّمهم ، فقال لهم حبيب بن مظاهر : أما واللّه لبئس القوم عند اللّه غداً قوم يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه صلي الله عليه و آلهوعترته وأهل بيته عليهم السلام ، وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار ، والذاكرين اللّه كثيراً .

فقال له عزرة بن قيس : إنّك لتزكي نفسك ما استطعت !

فقال له زهير : يا عزرة ، إنّ اللّه قد زكّاها وهداها ، فاتق اللّه يا عزرة ، فإني لك من الناصحين ، أنشدك اللّه – يا عزرة – أن تكون ممّن يعين الضلال علي قتل النفوس الزكية .

قال : يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنت عثمانياً .قال : أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم . أما واللّه ما كتبت إليه كتاباً قطّ ، ولا أرسلت إليه رسولاً قطّ ، ولا وعدته نصرتي قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلمّا رأيته ذكرت به رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ومكانه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم ، فرأيت أن أنصره ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دون نفسه ، حفظاً لما ضيعتم من حقّ اللّه وحق رسوله عليه السلام .

قال : وأقبل العباس بن علي يركض حتي انتهي إليهم(1) . . .

1- تاريخ الطبري : 4/ 315 ، الإرشاد للمفيد : 2/ 89 - 90 ، بحار الأنوار : 44/391 ، . وفي كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي : 5/97 : . . . قال : فوقف القوم في مواضعهم ، ورجع العباس إلي الحسين ، فأخبره بذلك ، فأطرق الحسين ساعة ، والعباس واقف بين يديه ، وأصحاب الحسين يخاطبون أصحاب عمر بن سعد ، فقال لهم حبيب بن مظاهر : أما واللّه لبئس القوم يقدمون غداً علي اللّه - عزّ وجلّ - وعلي رسوله محمد صلي الله عليه و آله وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين بالأسحار الذاكرين اللّه كثيراً بالليل والنهار ، وشيعته الأتقياء الأبرار . قال : فقال رجل من أصحاب عمر يقال له عروة بن قيس : يا بن مظاهر ! إنّك لتزكي نفسك ما استطعت ، فقال له زهير : اتق اللّه يا بن قيس ! ولا تكن من الذين يعينون علي الضلال ويقتلون النفوس الزكية الطاهرة عترة خير الأنبياء . فقال له عزرة بن قيس : إنّك لم تكن عندنا من شيعة أهل البيت إنّما كنت عثمانياً نعرفك . . هؤلاء في المخاطبة والحسين عليه السلاممفكر في أمر نفسه وأمر الحرب والعباس عليه السلام واقف في حضرته .

مناقشة الخبر

أولاً: أقدم مصدر نقل الخبر

إنّنا لم نجد لهذا الخبر مصدراً أقدم من تاريخ الطبري ، وكلّ من جاء بعد الطبري أخذ عنه ، وأقرب مصدر للطبري نقل الخبر أيضاً هو الفتوح لابن أعثم ، فابن جرير الطبري صاحب التاريخ توفي سنة « 310 » للهجرة ، وتوفي ابن أعثم الكوفي سنة « 314 » للهجرة .

قال الشيخ محمد جواد الطبسي – حفظه اللّه – : والظاهر أنّ أقدم مصدر تاريخي وردت فيه الإشارة بصراحة الي عثمانية زهير بن القين هو تاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري .

قال البلاذري : قالوا : وكان زهير بن القين البجلي بمكة ، وكان عثمانياً(1) . . .

ولا نحتاج الي إطالة المقام مع البلاذري ، وذلك أ نّه لم يذكر مصدر كلامه ، وإنما اكتفي بالإسناد الي : « قالوا(2) » .

1- أنساب الأشراف : 3/378 .

2- قال الشيخ محمد جواد الطبسي في وقائع الطريق من مكة الي كربلاء (مع الركب الحسيني) : 3/210 : أمّا رواية البلاذري ، فيكفي في عدم الإعتماد عليها أ نّها مأخوذة عن وكالة أنباء (قالوا) .

ثم إنّه لم ينقل خبراً ، ولم يرو رواية في قوله « قالوا : . . . وكان عثمانياً » ،والظاهر من عبارته أ نّه يقرر فهمه الخاص ، واستنتاجه من التاريخ ، فأغلب الظن أ نّه إستند في تقريره إلي كلام عزرة/ ، ولذا سنخرجه هنا ، ونقتصر الكلام علي رواية الطبري.

ثانياً: سند الخبر

أمّا السند الذي روي به الطبري هذا الخبر ، فهو :

قال أبو مخنف ، عن الحارث بن حصيرة ، عن عبد اللّه بن شريك العامري .

ولا نجد ضـرورة لمناقشة السـند ، لأنّنا لا نقيم للسـند وزناً ذا قيمة منفردة في إثبات الحدث التاريخي أو نفيه ، وإنما قد يكون مفردة تأكيدية تزيد الإطمئنان أو تخدشه ، ولإثبات ذلك مكان آخر .

علي أ نّنا لا نريد تكذيب الخبر مطلقاً ، وإنما نبقي الخبر علي ما كان ، ونحسب أنّ من الممكن قراءته قراءة جديدة ، تقدّم له فهماً يتلائم مع كون زهير علوياً بريئاً من أيّ صبغة عثمانية .

ص: 149

مناقشة المتن

أولاً : من هو عزرة الذي اتهم زهيراً

ورد في المصـادر وكتب الرجـال : عزرة بن قيس البجلي من أحمس من بني دهن ، من أنفسـهم ، روي عن خالـد بن الوليـد ، وكان معه في مغازيه بالشام ، وروي أبو وائل عن عزرة بن قيس(1)

وقيل : أ نّه عزرة بن قيس بن غزية الأحمسـي البجلي الدهني الكوفي شهد خطبة خالد بن الوليد حين جاءه عزل عمر إياه ، روي عنه أبو وائل ، وولي عزرة حلوان في خلافة عمر ، وغزا شهرزور منها فلم يفتحها حتي افتتحها عتبة بن فرقد(2) . . .

وله بهذا الاسم والمواصـفات ترجمة مفصـلة في كتب الرجال والتاريخ . غير أنّ الشيخ علي النمازي ذكره وقال : عروة بن قيس الأحمسي : لم يذكروه . هو ممّن كتب إلي الحسين عليه السلام . . ثم كان مع عمر بن سعد . وكان رئيساً علي الخيل(3) .

1- الطبقات الكبري : 6/212 .

2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر : 40/309 - 317 رقم 4695 .

3- مستدركات علم رجال الحديث : 5/234 رقم 9375 .

وقال الشـيخ محمد السماوي : عزرة بن قيس الأحمسي : بفتح العين المهملة ، وسكون الزاء المعجمة ، وبعدها الراء المهملة ، وصحّفه من لم يضبطه بعروة(1) .

وكان عزرة هذا ممّن كاتب الحسـين عليه السـلام فلمّا بعثه عمر بن سعد الي الحسين عليه السلاموقال له : ائته فسله ما الذي جاء به ؟ وماذا يريـد ؟ فـأبي أن يحمل الرسالـة ، واعتـذر اليه أ نّه كان قـد كاتبه ، وهو يسـتحي أن يواجهه!! فعرض ذلك علي سائر من كاتب الحسـين عليه السلام فاعتذر الجميع(2) .

وفي كتاب الفتوح : قال : ثم دعا عمر بن سعد رجلاً من أصحابه يقال

له « عروة بن قيس » ، فقال له : امض يا هذا إلي الحسين فقل له : ما تصنع في هذا الموضع ؟ وما الذي أخرجه عن مكة ، وقد كان مستوطناً بهـا ؟ فقـال عروة بن قيس : أيّهـا الأـمير ! إنّي كنت اليوم أكاتب الحسـين ويكاتبني ، وأنا أسـتحيي أن أسـير إليه ، فإن رأيت أن تبعث غيري فابعث(3) .

ولاـ شـكّ أ نّه كان كاذباً في إدعائه الحياء ، وهل يعرف الحياء من يقاتل ريحانـة المصـطفي صـلي الله عليه و آله ، ويكون علي الخيل التي هتكت حرم اللّه ، وداست خدر رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟!

1- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام : 40 .

2- تاريخ الطبري : 4/310 ، روضة الواعظين للفتال النيسابوري : 181 ، الإرشاد للشيخ المفيد : 2/84 ، إعلام الوري للطبرسي : 1/451 .

3- كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي : 5/86 ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : 1/240 .

من أين تخجل أوجه أموية * سكبت بلذات الفجور حياءها

وإنّما اعتـذر – كما اعتذر الآخرون – لأ نّه محجوج للحسـين عليه السـلاموهو يعرف الجواب مسـبقاً ، فلو حمل الرسالة ، وجاء عند سـيد الشهداء عليه السلام وسأله : ما الذي جاء به ؟ وماذا يريد ؟ وما يصنع في هذا الموضع ؟ وما الذي أخرجه عن مكة ، وقد كان مستوطناً بها ؟ لكان الجواب : أتتني رسلك ، وأجبت دعوتك ، وأغثت صرختك ...

وهو إنّما كاتب الحسـين عليه السـلام طمعاً في الـدنيا وحبّاً للدعـة ، وانتهازاً للفرص ، وركوباً للموجة التي كان يستشـرف منها جني قطاف العيش الرغيـد الـذي استروحه يوم ماجت الكوفة بذكر الحسـين عليه السـلام واللجوء اليه فراراً من الحكم الأموي الذي اهتزت أركانه بوفاة معاوية .

ويمكن استكشاف ذلك من نص الكتاب الذي أمضاه عزرة وجماعة الإنتهازيين من أمثال شبث بن ربعي وحجار وأمثالهم .

روي أ نّه كتب شـبث بن ربعي ، وحجـار بن أبجر ، ويزيـد بن الحـارث ، ويزيـد بن رويم ، وعزرة ابن قيس ، وعمرو بن الحجاج الزبيـدي ، ومحمد بن عمير التميمي : أمّا بعد ، فقد اخضـر الجناب ، وأينعت الثمار ، وطمت الجمام ، فإذا شئت فاقدم علي جند لك مجند ، والسلام عليك(1) .

فكلام هؤلاء الأوغاد يتركز علي جنات خضراء ، وثمار يانعة ، وآبار طامية ، وزروع باسقة ، تنتظر القطاف ، وجني الثمار ، وهم في رفاهية

1- تاريخ الطبري : 4/262 ، الإرشاد للشيخ المفيد : 2/38 .

من العيش ودعـة من الحيـاة ، فان شاء الحسـين عليه السـلام فليقـدم لأنّ الناس ينتظرونه. الناس ينتظرونه ، أمّا هم أنفسـهم فإنّهم ينتظرون القطاف ، فإذا جاء كانوا هم معه ، وقد قدّموا لذلك مع من قدّم ، وسجّلوا موقفاً مع من سجّل ، وإن لم يأتي الحسين عليه السلام فليأتي غيره ، ولا خطر عليهم في ظلّ الغير لأ نّهم منه .

ثم إنّهم قالوا : إذا شئت أقدم علي جند لك مجندة ، فكأنّهم يريدون إخباره عليه السلامبما يجري من بيعة الناس له ، ولا يريدون أن يعلنوا له عن إسـتعدادهم البته ، فلا يريـدونه أن يقـدم عليهم إماماً وأميراً يحاربون تحت لوائه ، فهم يقولون : أقـدم علي جنـد لك ، ولا يقولون : أقدم علينا فإنّنا جند لك !

ولكي تتضـح الفكرة ، ونعرف الفرق بين هؤلاء النفر من المتزلفين ، وبين من يخاطب الإمام الحسـين عليه السـلام معتقـداً بإمامته وقيادته ، ومتـذمّراً من الحكم الأموي المنحرف ، وهارباً من ظلم المتمردين علي اللّه وعلي رسوله صـلي الله عليه و آله وملتجأ الي العدل المطلق ، ومعلناً عن إستعداده للموت بين يدي الحقّ ، علينا أن نقرأ نموذجاً آخر من الكتب التي وصلت الي الحسين عليه السلام من شيعته :

روي الطبري وغيره عن محمد بن بشـر الهمداني قال : اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد ، فذكرنا هلاك معاوية ، فحمدنا اللّه عليه ، فقال لنا سليمان بن صرد : إنّ معاوية قد هلك ، وإنّ حسيناً قد تقبّض علي القوم ببيعته ، وقد خرج إلي مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ،

فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهن والفشل ، فلا تغرّوا الرجل من نفسه .

قالوا : لا ، بل نقاتل عدوه ، ونقتل أنفسنا دونه .

قال : فاكتبوا إليه . فكتبوا إليه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، لحسين بن علي من سليمان بن صرد ، والمسيب بن نجبة ، ورفاعة ابن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة :

سلام عليك ، فإنّا نحمد إليك اللّه الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد :

فالحمد للّه الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزي علي هذه الأمة ، فابتزها أمرها ، وغصبها فيأها ، وتأمر عليها بغير رضي منها ، ثم قتل خيارها ، واستبقي شرارها ، وجعل مال اللّه دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعدت ثمود ، إنّه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل اللّه أن يجمعنا بك علي الحقّ ، والنعمان بن بشير في قصر الامارة لسنا نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلي عيد ، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتي نلحقه بالشام إن شاء اللّه ، والسلام ورحمة اللّه عليك(1) .

قارن بين الكتابين تعرف الفريقين ، فريق يمدّ عينيه الي زهرة الحياة الدنيا والجنان المخضرة ، والثمار اليانعة ، والمياه الجارية ، وفريق يتضوّر من الكفر والظلم والجور ، ويتوق الي الإيمان والعدل والشهادة والحور ...

1- تاريخ الطبري : 4/261 .

فـالفريق الأـول لا يعاني من مضايقات ، ولا مطاردات في ظلّ الحكم القائم ، ويري ازدهار مسـيرة العمران الـدنيوي ، وكلّ ما يراه هو نعيم وحدائق ذات بهجة ، ونخيل باسقات حان اقتطافها ، وأكل دائم يخشون انقطاعه .

فريق يتكلّم بضمير الغائب ، وفريق ينطق بضمير المتكلّم . .

فريق يتحدّث عن استعداد الغير ، وفريق يعد النصرة بالنفس . .

فريق يعد عن جند لا يعدّ نفسه منهم ، وفريق يعد المبادرة . .

فريق يكتب بالكناية والتلويح ، ويستعمل العبارات التي لا تدخل السرور علي قلب الحسين عليه السلام ولا تحزن أعداءه ، تماماً كما يعبّر القرآن الكريم : « لا إِلي هولاءِ وَلا إِلي هولاءِ » ولو وقع الكتاب بيد أعداء الحسين عليه السلام فإنّ فيه متسع ، ومجال اعتذار ، ومدح مبطن يكشف بعـد شـرح ما بين السـطور من كلماتهم ، وهم لا يـذكرون هلاك الطاغية ، ولم يبدوا فرحاً بضـعف الدولة الحاكمة في الشام ، ولم يتعرّضوا للوالي الممثل له في الكوفة .

وفريق يصرّح بالبراءة من أعداء اللّه وأعداء الحسين عليه السلام ويحمد اللّه علي هلاك الطاغية ، ويعلن استعداده لمواجهة الوالي الممثل له في الكوفة ، ولا يخاف في اللّه لومة لائم ، ويعرض الدنيا خراباً تنتظر يد الرأفة الحسينية لتمسح عليها ، وتنفخ فيها روح الحياة والعمران .

وهكـذا هم عزرة ونظـائره ، متقلّبون ، متزلّفون ، انتهـازيون ، يميلون مع كـلّ ريـح ترحل بهم الي مآربهم وأطماعهم ، فإذا كانت الـدنيا مع الأدعياء ركعوا لهم ، وتزلفوا اليهم ، وتخندقوا في خنادقهم .

وليس عزرة هذا من مجاهيل معسكر الضلال ، بل هو في عداد من يحوم حول قياداته ، ويتسكع بين يدي عمر بن سعد ، ويتحرّك تحت نظره ، فهو من الشرذمة المشؤومة التي كانت تحوط الأثيم ابن سعد – لعنه اللّه – ، ومن المقربين عنده ، بحيث ينتدبه كأول خيار لحمل رسالته الي الحسين عليه السلام ويجعله علي خيله(1) ويكلّفه حراسة خيام الحسين عليه السلام ليلة العاشر .

قال ابن كثير : وبات الحسين وأصحابه طول ليلهم يصلّون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون ، وخيول حرس عدوهم تدور من ورائهم ، عليها عزرة بن قيس الأحمسي ، والحسين يقرأ : « وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ ما كانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُومِنِينَ عَلي ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّي يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ »(2) الآية(3) . .

وقد التحم بمعارك ضارية قاسية مع أصحاب الحسين عليه السلام وسعي في إحراق أوراق القرآن الكريم المتمثلة في أنوار الثلة المدافعة عن القرآن الناطق.

وبلغ به الأمر أن يحسب الحرب حربه ، والمعركة معركته ، والخيل خيله لمّا درات رحي الحرب وقامت علي ساق ، وقاتلهم أصحاب الحسين عليه السلام

1- تاريخ الطبري : 4/320 ، مثير الأحزان لابن نما الحلي : 39 ، الكامل في التاريخ لابن الأثير : 4/60 .

2- آل عمران : 178 .

3- البداية والنهاية لابن كثير : 8/192 ، تاريخ الطبري : 4/321 .

قتالاً شديداً ، وأخذت خيلهم تحمل ، وإنما هم إثنان وثلاثون فارساً ، وأخذت لا تحمل علي جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفته ، فلمّا رأي ذلك عزرة بن قيس ، وهو علي خيل أهل الكوفة ، أنّ خيله تنكشف من كلّ جانب ، بعث إلي عمر بن سعد عبد الرحمن بن حصن ، فقال : أما تري ما تلقي خيلي مذ اليوم من هذه العدّة اليسيرة ، ابعث إليهم الرجال والرماة(1) . . .

ثانياً : إنّها تهمة من العدو

إنّها فرية رماه بها العدو ، العدو المتقلّب الماكر ، الذي رأينا قبل قليل شخصيته ، ودناءته ، وإجرامه ، عزرة . .

عزرة فقط ، لم نسمع هذه السبة من غيره ، لا من الرواة ولا الرجاليين ولا المؤرخين ، ولا حتي الأعداء أنفسهم .

قال عزرة : يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً !

فمن يقصد بقوله : « عندنا » ؟ إن كان يقصد عند السلطان وأتباعه ، أو عند الكوفيين ، فلماذا لم نسمع أحداً من عبيد السلطان أو الخارجين علي الإمام المعصوم من الكوفيين ، بل حتي الرجاليين والمؤرخين منهم يؤكد ما قاله هذا الجلف الكذاب .

1- تاريخ الطبري : 4/332 .

وما بال حميد بن مسلم ، أو قاتل زهير نفسه ، أو عمر بن سعد ، أو شمر ، أو شبث بن ربعي ، وغيرهم من روس الضلال لم يذكر زهير بهذه الصفة ، ولم يشر اليها ، ولم يعاتب أو يحاسب أو ينتقص زهير بها ؟

إنّه يقول : « عندنا » لا يقصد إلاّ نفسه ، ولو كان غيره لذكره .

لماذا اتهم عزرة زهيراً ؟

لقد سجّل التاريخ لنا هذه التهمة علي زهير ، وقد افترضنا صحّة ما حدّثنا به الطبري عن أبي مخنف ، ولم نناقش سندها أو نكذبها من رأس ، فلابد إذن – علي فرض اجتراء عزرة علي هذا الكلام – أن تكون ثمة دوافع وأغراض استهدفها اللعين بما رمي به ساحة الطهر والصفاء والقداسة المتمثلة في شخصية زهير .

ويمكن تصور ذلك في أحد الأمور التالية :

الأمر الأول : التقية

قد تكون التقية التي كان يمتاز بها سلوك زهير ، كما مرّ معنا ، عاملاً مهماً في تكوين صورة خاصة عند عزرة ، من خلال مراقبته وملاحظته كفرد من جلاوزة السلطان ، وقد حقّق زهير ما أراد من التقية حتي أوهم عزرة صاحب خيل العدو في تصوراته ، بحيث كان يحسب أ نّه منهم .

وقد مرّ معنا أنّ أجلي صور التقية ، وأقوي مواضعها هي التقية مع السلطان ، فإذا لا يستعمل زهير التقية مع عزرة فمتي يستعملها ؟ ولمن يدخر العمل بها ؟

ولكن هذا الأمر يقتضـي أن تكون التقية قد حملت زهير علي إيهام أفراد العدو ، وعبيد السلطان جميعاً ، بل جميع المجتمع المعادي الذي كان يعيشه زهير ، والحال أ نّنا ما سمعنا هذا التصور من أحد قط غير عزرة .

فأمّا أن يكون زهير قد اعتزل المجتمع في الغالب ، فلم يشتهر بينهم بهذا السلوك .

وأمّا أن يكون لعزرة موقف خاص مع زهير اضطره للتقية ، للحفاظ علي نفسه ، ليدخرها ليومها الموعود ، ولا نستبعد ذلك بعد أن عرفنا نذالة عزرة ، وحكمة زهير .

وكيف كان فإنّ زهير قد بلغ المرام في التقية حينما ظنّ العدو به هذا الظنّ ، وقد أفلح وزكي ورقي ذري المجد بالطاعة والتسليم لأهل البيت عليهم السلام .

الأمر الثاني : التسقيط

يمثل زهير ركناً من أركان عسـكر الإيمان والحقّ – كما سـيأتي – باعتباره صاحب ميمنة سـيد الشهداء عليه السلام فهو هدف مهم للعدو ، والمتأمل في أساليب الأمويين في حروبهم يعرف جيداً أ نّهم كانوا يمارسون الحرب النفسية والإعلامية في أدقّ صورها ، ويجيدون أساليب التسقيط والخدش وإغتيال « الشخصية » .

وقد رأيناهم في حربهم مع سيد الموحدين وإمام المتقين وأميرالمؤمنين ، وأول القوم إسلاماً ، وأقدمهم إيماناً ، وأحوطهم علي الإسلام ،

كيف صوّروه للبسطاء والمضللين حتي إذا سمعوا أنّ علياً قتل في المحراب وهو يصلّي تعجبوا ، وعضوا أناملهم من العجب وهم يتسائلون : أكان علي يصلّي ؟! وكذا فعلوا مع الحسن والحسين عليهماالسلاموبقية أعدائهم .

وقد سمعنا سيل التهم والافتراءات والبهتان والأكاذيب التي انهال بها عبيد اللّه ابن زياد علي ثقة الحسين عليه السلام والعابد المتهجد والمفضل عند خيرة اللّه وسيد الشهداء مسلم بن عقيل عليهماالسلام كما روي ابن نما في مثير الأحزان ، والسيد ابن طاووس في اللهوف ، والسيد الأمين في لواعج الأحزان ، وابن أعثم الكوفي في الفتوح ، واللفظ للأخير :

. . . فقال له ابن زياد : يا شاق ! يا عاق ! خرجت علي إمامك ، وشققت عصا المسلمين ، وألقحت الفتنة .

فقال مسلم : كذبت يا بن زياد! واللّه ما كان معاوية خليفة بإجماع الأمة ، بل تغلّب علي وصي النبي بالحيلة ، وأخذ عنه الخلافة بالغصب وكذلك ابنه يزيد . وأمّا الفتنة فإنّك ألقحتها أنت وأبوك زياد بن علاج من بني ثقيف ، وأنا أرجو أن يرزقني اللّه الشهادة علي يدي شرّ بريته ، فواللّه ما خالفت ولا كفرت ولا بدّلت! وإنما أنا في طاعة الحسين بن علي ابن فاطمة بنت رسول اللّه صلّي اللّه عليه وآله وسلم ، ونحن أولي بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد .

فقال له ابن زياد : يا فاسق! ألم تكن تشرب الخمر في المدينة ؟!!! فقال مسلم بن عقيل: أحقّ واللّه بشرب الخمر مني من يقتل النفس الحرام ، وهو في ذلك يلهو ويلعب ، كأنّه لم يسمع شيئاً .

فقال له ابن زياد : يا فاسق! منتك نفسك أمرا أحالك اللّه دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم بن عقيل: ومن أهله يابن مرجانة؟ فقال: أهله يزيد ومعاوية.

فقال مسلم بن عقيل : الحمد للّه كفي باللّه حكماً بيننا وبينكم .

فقال ابن زياد – لعنه اللّه – : أتظن أنّ لك من الأمر شيئاً ؟

فقال مسلم بن عقيل : لا واللّه ما هو الظن ولكنّه اليقين .

فقال ابن زياد : قتلني اللّه إن لم أقتلك !

فقال مسلم : إنّك لا تدع سوء القتلة ، وقبح المثلة ، وخبث السريرة(1) . . .

فلا غرابة أن يتهمّ العدو ضمن خطة شملت أصحاب سيد الشهداء عليه السلام كلّ واحد منهم بشكل يناسب شخصيته ، وموقعه الإجتماعي ، فكان حصة شخصية زهير إتهامه بالتعثمن .

معني اصطلاح « عثماني »

واصطلاح « عثماني » له دلالاته في التاريخ ، فلو تصفحنا كتب الرجال والتاريخ نجد هذا المصلطح يطلق علي من يعتقد مظلومية عثمان ، وأ نّه قتل شهيداً مظلوماً محتسباً !! ويتفجّر حقداً وغيظاً وعداوة لأمير المؤمنين

1- مثير الأحزان : 25 ، لواعج الأشجان : 64 ، كتاب الفتوح : 5/56 . وفي هذه المصادر وغيرها عبارات أخري شنيعة أعرضنا عن نقلها ، ولولا اضطرارنا للاستشهاد بهذا النص لما تجرأنا علي نقله ، لعن اللّه ابن زياد وأسياده ومن أمره وحمله وحمل معاوية ويزيد علي رقاب المسلمين .

علي عليه السلام باعتباره معيناً علي قتل عثمان !! ومطلوباً بدمه هو وولده ، ويوالي بني أمية ولاءاً مطلقاً لأ نّهم الطالبون بدم عثمان .

ففي الأغاني في ترجمة كعب بن مالك الأنصاري قال : . . لمّا بويع لعلي بن أبي طالب عليهماالسلام بلغه عن حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وكانوا عثمانية ، أ نّهم يقدّمون بني أمية علي بني هاشم ، ويقولون : الشام خير من المدينة(1) . . .

وفي فتح الباري لابن حجر : العثمانية : الذين يغالون في حبّ عثمان ، وينتقصون عليا(2) .

هـذا ، وقـد تبلور الفكر لديهم بمرور الزمن ، ونظّروا لعقائدهم وأفكارهم ، ودخلوا في ميدان الصـراع الدموي ، وحملوا السـيف ، وتكونت لهم هوية خاصة تميّزهم عن غيرهم .

قال علي محمـد علي دخيل : لـم يكن عثمان بن عفان صاحب مـذهب ، وإمام طريقـة ، والمذاهب القائمة اليوم والتي انقرضت حدثت في القرن الثاني والثالث ، فلم يدرك مؤسسوها الرسول الأعظم صلي الله عليه و آله ، بل ولم يدركوا الصحابة والتابعين .

إنّ سبب النسبة الي بعض الأشخاص ب-« العثماني » هو نصرته لعثمان ، أو تبنّيه فكرة مظلوميته(3) . . .

1- الأغاني : 16/233 ، تاريخ دمشق : 50/177 .

2- فتح الباري : 7/14 ، تحفة الأحوذي : 10/139 .

3- رجال حول الحسين عليه السلام علي محمد علي دخيل : 141 .

وقال الشـيخ محمد جواد الطبسي – حفظه اللّه – : والعثماني أو عثماني الميل والهوي يومذاك مصطلح سياسي يعني – علي الأقل – التأييد الكامل لبني أمية في دعوي مظلومية عثمان بن عفان ، ومعاداة علي عليه السـلام بسبب ذلك ، ويعني – علي الأكثر – الإشتراك في حرب أو أكثر ضدّ علي عليه السلام تحت راية المطالبة بالثأر لدم عثمان ، كما في الجمل وصفين(1) .

وقد امتاز حاملوا هذا اللقب بحبّ الدنيا ، والسـقوط الإجتماعي ، وارتكاب الجرائم ، والولاء للسلطان الظالم ، والغوص في مستنقع الشهوة واللـذة والرذيلـة ، والركض وراء بريق الـذهب والفضـة وبـدرات الوالي ، وغيرها من السـلوكيات التي أنشأهم عليها آل أميـة من الإسـتعباد والإستذلال ، والتقليد للأسياد الأنذال .

وعزرة من قيادات الجيش الأموي ، وهو يعلم ماذا تعني هذه الكلمة

عند الناس عامة(2) ، وعند أصحاب الحسين عليه السلام ، ويعلم أ نّه يطعن زهير

1- مع الركب الحسيني : 3/207 .

2- روي الضـحاك في الآحاد والمثاني : 4/237 في حـديث عن أنس : لا يجتمع حبّ عثمان وعلي في قلب أحـد . وفي تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي : 294 : لا يجتمع حبّي وحبّ عثمان في قلب رجل إلاّ اقتلع أحدهما صاحبه . وروي الكراجكي في التعجب : 112 ، وابن إدريس في مستطرفات السرائر : 640 ، وابن يونس في الصراط المستقيم : 3/74 ، والمجلسي في البحار : 27/58 ح 17 وغيرهم : أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام : أنا أحبّك وأتوالي عثمان ! فقال له : أمّا الآن فأنت أعور ، فأمّا أن تعمي أو تبصر . . .

في أعماق إيمانه وقلبه بهذه السبّة المقذعة التي لا يصبر عليها إلاّ من تعلّم الصبر عند الحسين عليه السلام الذي سجد البلاء والصبر بين يديه .الأمر الثالث: زعزعة الثقة بين أصحاب الحسين عليه السلام دأب معسكر الظلام والضلال علي خلخلة الصفوف في معسكر النور والهدي ، لأ نّه يقدّر وفق تصوراته وأهوائه ، ويفهم الآخرين ضمن معتقداته وموازينه ، ويتعامل معه من منطلقاته ، أو أ نّه يحاول متخبطاً في حماقاته ورعونته ووحشيته ، أو لأيّ سبب آخر .

فهو يجهد بأيّ وسيلة لفصل أبي الفضل العباس وأخوته عليهم السلام عن إمامهم وسيدهم ، فيكتب أماناً ويدعوهم – بصلافة ووقاحة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً – الي الدنيا ، ويلوح لهم بالأمان والعيش الرغيد إن هم تركوا الحسين عليه السلام الغريب وحيداً والتحقوا بمعسكر الأعداء ، أو اعتزلوا الحرب .

وكذا فعلوا مع غيرهم .

واليوم وقد أوشكت الحرب أن تقوم علي ساق ، وتقطع الأيدي ، وتحلب الأعناق ، ويفرق بين الروس والأجساد ، يحاول العدو– وقد خاب – أن يلقي بين أصحاب سيد الشهداء عليه السلام الشك والريب ، ويزعزع الثقة بينهم ، ويوحي اليهم أنّ أحد أكبر القادة الشجعان في معسكرهم كان « عثمانياً » ، فلا يركن اليه ، ولا يعتمد عليه ، فلعله يسلمهم عند الوثبة ، أو يثب عليهم وعلي إمامهم عند اصطكاك الأسنة ، والتحام الحراب .

وكـان العـدو يكتفي من حبيب والـذين كانوا معه هناك أن ينظروا الي زهير نظرة يشوبها الإرتياب ، ويري في أعينهم علامات سؤالتـدور من عين الي عين .

فإذا تزلزت الثقة ، انقطعت العري ، وسقطت الميمنة ، وفرق بين الصفوف ، واعتري عسكر سيد الشهداء عليه السلام التفكك والاختلاف .

وفاتهم عليهم لعائن اللّه أنّ أصحاب الحسين عليه السلام يعرف بعضهم بعضاً

منذ عالم الأظلّة ، وقد أقدموا علي ما أقدموا عليه علي بصيرة وهدي ، وقد اجتمعوا ليلتها ليروا مكانهم في الجنان العلي .

ثالثاً : جواب زهير علي الفرية

ربما كان أشدّ تكذيب ، وأقوي ردّ علي كلام الكذاب المفتري عزرة جواب زهير نفسه ، حيث قال له بمتانة ووقار : « أفلست تسـتدل بموقفي هذا أني منهم(1) » .

إنّه جواب يكشف ثبات الواثق ، وحلم المحاور ، وهدوء المقاتل ، وسكينة القلب ، واطمئنان النفس .

لا يحتاج إلي دفاع ولا إنكار ولا استنكار ، ولا نقض وإبرام ، ولا مناقشة ومغالبة في الكلام .

أجاب بكلمتين أتت علي كلّ ما بناه أو أراد أن يبينه العدو ،

1- تاريخ الطبري : 4/315 .

وقوّض أهدافه ، وفنّد مقاله ، وخيّب آماله : « أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم » .« إنّي منهم » ، أما تستكشف الماضي من الحاضر ؟

يقول له : إنّك تدعي ما لا تستدل عليه ، وما يدريك وأنت جرثومة

الخطايا والقـذر ما في قلبي وما يحتويه ضـميري من إعتقادي ، تتهم وتفتري وأنت في موقف المعادي المحارب ، ومن يبتغي قتلي لا يمنعه شيء عن الإفتراء والكذب عليّ .

أمّا أنا – زهير – فإنّي أستدل علي عقيدتي بسلوكي وموقفي ، والموقف

كاشف عن الإعتقاد حينما يكون الموقف حرجاً أقلّ ما يتوقع فيه الموت ، وفراق الأحبة والأهل والمال والدنيا .

ردّ زهير ما قاله عدوّه ردّاً قاطعاً ، ولم يقم لقوله وزناً ، ولم يدخله في حسابه داخل دائرة الصحة ولو مثقال ذرة .

ولو كان في كلام العدو رائحة ولو من بعيد تكشف عن صحة الدعوي

لنفاها زهير ، ولقال – مثلاً – : كنت كما زعمت ، وتبت الي اللّه ، واللّه يحبّ التوابين ، وعرفت حقّ الحسـين عليه السـلام وباطل بني أمية ، وإنّي لك ناصح أمين ، اترك صفّ العدو وانحاز إلينا تكن من المفلحين الفائزين .

ولاـ يعوز زهير قوة في يقين ، ولاـ بلاغـة في التعبير ووعظ الآخرين ، ولكنه أبي أن يسـجّل عليه التاريـخ إقراراً بالانتساب إلي الأمويين ، ولو طرفة عين .

قال الشـيخ محمد جواد الطبسي – حفظه اللّه – : وإذا تأمّلنا جيداً في ما قاله عزرة بن قيس لزهير ، وما ردّ به زهير – علي ما في رواية الطبري –يتجلّي لنا أنّ زهير بن القين لم يكن عثمانياً في يوم الأيام ، ذلك لأنّ زهير أجاب عزرة الـذي اتهمه بالعثمانية فيما مضـي قائلاً : « أفلسـت تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم ؟! » أي من أهل هذا البيت عليهم السلامرأياً وميلاً وانتماءً .

ولم يقل له مثلاً : نعم ، كنت عثمانياً كما تقول ، ثم هداني اللّه ، فصرت من أتباع أهل هذا البيت عليهم السلام وأنصارهم ، أو ما يشبه ذلك .

بل كان في قوله : « أفلست تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم » نفي ضمني لعثمانيته مطلقاً في الماضي والحاضر .

ثم إنّ سكوت عزرة بعد ذلك عن الردّ كاشف عن تراجعه عن تهمة العثمانية ، فتأمل(1) .

وأمّا قوله : « أما واللّه ما كتبت إليه كتاباً قطّ ، ولا أرسـلت إليه رسولاً قط ، ولا وعدته نصـرتي قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلمّا رأيته ذكرت به رسول اللّه صلي الله عليه و آله ومكانه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه

وحزبكم ، فرأيت أن أنصره ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حقّ اللّه وحقّ رسوله(2) .

1- مع الركب الحسيني : 3/212 .

2- تاريخ الطبري : 4/315 .

فليس في كلامه أيّ شطط ، وهو كلام محكم ومتين ، وقائم علي الصدق واليقين ، فهو لم يخطأ حينما قال : أ نّه لم يكاتب الحسين عليه السلاممولم يعدهالنصر . . . الي آخر كلامه .

لأ نّه لم يعد النصر بالفعل ، ولم يكاتب الحسين عليه السلام أساساً فيضمّن كتبه الوعد بالنصر وما شاكل ، وقد جمعه الطريق مع الحسين عليه السلامبالفعل ، وإن كان زهير خارجاً يتلقّاه عليه السلام ولكنّه ربما قصد من كلامه أحد المقاصد التالية أو جميعها :

المقصد الأول : التعريض بعزرة

كان زهير عليه السلام يعرّض بعزرة خاصة ، وبمن معه عامة في قوله أ نّه لم يكاتب الحسين عليه السلام ولم يعده النصر ، يقول له : تزعم أني كنت عثمانياً ، ولكني الآن نصرت ريحانة المصطفي صلي الله عليه و آله ، وأنا لم أكاتبه ونصرته فما بالك يا عزرة لا تنصره وقد وعدته وكاتبته ، فما حملك علي الخيانة ونبذ المواثيق ، والتنكّر للحقّ الذي عرفته من قبل ، ثم طبع علي قلبك فرفضته الآن ؟!

لغة التعريض واضحة في كلمات زهير الكيس المتماسك الحليم الرصين .

قال الشيخ محمد جواد الطبسي : ولا يخفي ما في هذه العبائر من تعيير زهير لعزرة بن قيس ، لأنّ هذا الأخير كان من جملة الذين كتبوا(1) للإمام عليه السلاموراسلوه في مكة واعدين إيّاه بالنصرة(2) !

1- انظر تاريخ الطبري : 3/278 ط دار الكتب العلمية .

2- مع الركب الحسيني : 3/209/ هامش رقم 1 .

المقصد الثاني : وعظ عزرة ومن معه

إنّ زهير رجـل خبير في الوعـظ والاحتجاج ، وقـد أقام الحجـة عليالقوم ، وأتاهم من حيث هم ، ومن حيث لا يحتسـبون ، ودعاهم للحاق بركب الفاتحين الشهداء ، فقد ضمّن كلامه استدلالاً قوياً ، ومناظرة لا يصمد أمامها أيّ ردّ في قوله :

« أما واللّه ما كتبت إليه كتاباً قطّ ، ولا أرسـلت إليه رسولاً قط ، ولا وعـدته نصـرتي قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلمّا رأيته ذكرت به رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ومكانه منه ، وعرفت ما يقـدم عليه من عـدوه وحزبكم ، فرأيت أن أنصـره ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حقّ اللّه وحقّ رسوله(1) صلي الله عليه و آله .

فزهير صـادق تمـام الصـدق وكمـاله في قوله « إنّه لم يرسل له ولم يكاتبه » لأ نّه لم يفعل ذلك ، وإنما كان ينتظره ، ويعلم أنّ الحسـين عليه السلامعلي موعد معه ، وزهير موعود بهذا اليوم منذ أيام بلنجر .

مضامين كلام زهير

أولاً :

احتج عليهم أ نّهم كاتبوا الإمام ، ووعدوه النصر ، فلا يحقّ لهم الآن خذلانه والتنصل عن مواقفهم .

1- تاريخ الطبري : 4/315 .

ثانياً :

أثبت لهم أنهم منافقون أدعياء عبيد ، لأنّ المؤمن لا يخلف وعده ،والحر وعده دين ، والشريف لا ينقلب من الحقّ الي الباطل .

ثالثاً :

إنّ مجرد روة الحسين عليه السلام تذكر بجدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ومكانه منه ، والنظر اليه كاف لهداية الأطياب الطاهرين ، فما بالهم لا يهتدون ، وقد رأوا الحسين عليه السلام في عرصة الطف .

رابعاً :

بيّن لهم أ نّهم يقفون موقف العداء للحسين عليه السلام وأ نّهم علي ضلال ، لأنّ عداوة الحسين عليه السلام تعني عداوة الرسول وعداوة اللّه وعداوة النور والهدي

والإيمان .

خامساً :

عليهم أن يخيّروا أنفسهم بين أن يكونوا مع الحسين عليه السلاموفي حزبه ، أو مع أعدائه وفي حزبهم ، وعليهم أن ينتفضوا علي أنفسهم ، وينظروا الي قلوبهم ، ولا ـ يستسلموا لكبرائهم ، ولا ـ يلغوا عقولهم وقلوبهم ، ويظنوا أ نّهم في أمر قد فرغوا منه ، فليراجعوا أمرهم ويختاروا الجنة أو النار .

سادساً :

إنّهم في موقفهم هذا قد ضيّعوا اللّه وحقّ رسوله ، وعليهم أن يوطنوا النفس علي الموت في سبيل حفظ هذين الحقّين ، وإلا حقّت عليهم اللعنة وسوء العذاب .

رابعاً : لا دليل علي توبته

لم يرد أيّ مؤشـر يدلّ علي أنّ ثمة توبة وقعت من زهير ، لا قبل الطفولا في أيامه ، أو أنّ الحسين عليه السلام قبل توبته ، وذنب التعثمن من أعظم الذنوب ، كما عرفنا سابقاً .

ولم يرد إقرار من زهير بالذنب ، ولا إشارة الي التوبة والرجوع ، أو الندم علي ما ضيّع من عمره بعيداً عن الحقّ والولاء .

خامساً : موقف أهل البيت عليه السلام

لم يرد أيّ مؤشـر أو تصـريح عن أهل البيت عليهم السـلام الذين عاصرهم زهير كالامام الحسين والامام زين العابدين والامام الباقر عليهم السـلام ومن قبلهم من الأئمـة الأطهار عليهم السـلام ولا الأئمـة الـذين جاوا بعـد الطف يثبت أو يؤكد ما ذكره التاريخ من تعثمن زهير أو كراهيته لمنازلة الحسين عليه السلامولو كان لبان .

ولو كان عثماني الهوي ، أموي المذهب ، لذكّره الحسين عليه السلام بذلك حينما دعاه ، ولشجعه علي التوبة وغسل الذنوب والتطهير ، كما فعل ذلك مع عبيد اللّه بن الحر الجعفي .

فقد حدّثنا التاريخ أ نّه لمّا نزل الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل ، فإذا هو بفسطاط مضروب ، ورمح منصوب ، وسيف معلّق ، وفرس واقف علي مذوده ، فقال الحسين عليه السلام : لمن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لرجل يقال له « عبيد اللّه بن الحر الجعفي » .

ص: 171

قال : فأرسل الحسين عليه السلام برجل من أصحابه يقال له « الحجاج بن مسروق الجعفي » .فأقبل حتي دخل عليه في فسطاطه ، فسلّم عليه فردّ عليه السلام ، ثم قال : ما وراءك ؟

فقال الحجاج : واللّه ! ورائي يا بن الحر ! واللّه قد أهدي اللّه إليك كرامة ، إن قبلتها !

قال : وما ذاك ؟

فقال : هذا الحسين بن علي عليهماالسلام يدعوك إلي نصرته ، فإن قاتلت بين يديه أجرت ، وإن متّ فإنّك استشهدت !

فقال له عبيد اللّه : واللّه ما خرجت من الكوفة إلاّ مخافة أن يدخلها الحسين بن علي عليهماالسلام وأنا فيها فلا أنصره ، لأنه ليس له في الكوفة شيعة ولا أنصار ، إلاّ وقد مالوا إلي الدنيا ، إلاّ من عصم اللّه منهم ، فارجع إليه وخبره بذاك .

فأقبل الحجاج إلي الحسين عليه السلام فخبّره بذلك ، فقام الحسين عليه السلام ثم صار إليه في جماعة من إخوانه .

فلمّا دخل وسلّم وثب عبيد اللّه بن الحر من صدر المجلس ، وجلس الحسين فحمد اللّه وأثني عليه ، ثم قال : أمّا بعد : يا بن الحر ! فإنّ مصركم هذه كتبوا إليّ ، وخبروني أنهم مجتمعون علي نصرتي ، وأن يقوموا دوني ، ويقاتلوا عدوي ، وأنهم سألوني القدوم عليهم ، فقدمت ولست أدري

القـوم علي مـا زعموا ، لأـنهم قـد أعـانوا علي قتـل ابن عمي مسـلم بن عقيـل رحمه اللّه وشـيعته ، وأجمعوا علي ابن مرجانـة عبيـد اللّه بن زياديبايعني ليزيد بن معاوية .

وأنت يا بن الحر ، فاعلم أنّ اللّه – عزّ وجلّ – مؤاخذك بما كسـبت وأسلفت من الذنوب في الأيام الخالية ، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلي توبة تغسـل بهـا ما عليك من الـذنوب ، وأدعوك إلي نصـرتنا أهل البيت ، فإن أعطينا حقّنا حمـدنا اللّه علي ذلك وقبلناه ، وإن منعنا حقنا وركبنا بالظلم كنت من أعواني علي طلب الحقّ .

فقـال عبيـد اللّه بن الحر : واللّه يا بن بنت رسول اللّه ! لو كان لك بالكوفـة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشـدّهم علي عـدوك ، ولكني رأيت شيعتك بالكوفـة ، وقـد لزموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سـيوفهم ، فأنشدك باللّه أن تطلب مني هذه المنزلة ، وأنا أواسـيك بكلّ ما أقدر عليه ، وهذه فرسـي ملجمة ، واللّه ما طلبت عليها شـيئاً إلاّ أذقته حياض الموت ، ولا طلبت وأنا عليها فلحقت ، وخذ سيفي هذا ، فو اللّه ما ضربت به إلاّ قطعت .

فقال له الحسـين عليه السـلام : يا بن الحر ! ما جئناك لفرسك وسـيفك ، إنما أتيناك لنسألك النصـرة ، فإن كنت قـد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شـيء من مالك ، ولم أكن بالذي اتخذ المضلين عضداً ، لأني قد سمعت رسول اللّه (صلّي اللّه عليه وآله وسلم) وهو يقول : من سمع داعية أهل بيتي ولم ينصرهم علي حقّهم إلاّ أكبّه اللّه علي وجهه في النار .

ثم سار الحسين عليه السلام من عنده ورجع إلي رحله(1) .دعوة واضحة من الحسين عليه السلام الرؤوف لابن الحرّ – لعنه اللّه – الي التوبة ، وقد ذكّره بصراحة بأنّه مذنب يحتاج الي غسل الذنوب ، وأ نّه من المضلين ، فيما لم نسمع بتاتاً شيء من هذا القبيل حدث مع زهير ، بل علي العكس تماماً فقد سمعنا الحسين عليه السلام يشبهه بمؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه .

فلم نسمع توبة من زهير كما سمعنا عن الحر ، ولم نسمع دعوة للتوبة من الحسين كما سمعنا عن عبيد اللّه بن الحر الجعفي .

سادساً : إطلاعه علي خصوصيات حياة أمير المؤمنين عليه السلام

يكشف موقف زهير في الطف مع أبي الفضل العباس عليه السلام يوم حثّه علي قتال القوم بعد رجوعه من اجتماعه بشمر عن عمق العلاقة وشدّة القرب من أمير المؤمنين لمعرفته بخصوصيات حياة الإمام عليه السلاممعرفته بالأسباب

التي حدّدها سيد الأوصياء لاختياره أم البنين .

روي أنّ زهير أتي إلي عبد اللّه بن عقيل قبل أن يقتل ، فقال : يا أخي ناولني الراية !

فقال له عبد اللّه : أو فيّ قصور عن حملها ؟

قال : لا ، ولكن لي بها حاجة .

1- كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي : 5/73 .

قال : فدفعها إليه ، وأخذها زهير وأتي إلي العباس بن علي عليهماالسلاموقال :يا بن أمير المؤمنين ، أريد أن أحدّثك بحديث .

فقال : حدّث فقد حلي وقت الحديث :

حدث ولا حرج عليك فإنما

تروي لنا متواتر الإسناد

فقـال : اعلم يـا أبـا الفضل ، إنّ أباك أمير المؤمنين لمّا أراد أن يتزوج بأُمك أم البنين عليهاالسـلام بعث إلي أخيه عقيل ، وكان عارفاً بأنساب العرب ،

فقال عليه السلام : يا أخي أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والحسب والنسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً شجاعاً وعضداً ينصـر ولـدي هـذا – وأشار إلي الحسـين – ليواسـيه في طفّ كربلا ، وقـد ادخرك أبوك لمثل هـذا اليوم ، فلا تقصـر عن حلائل أخيك وعن أخواتك .

قال : فارتعـد العباس عليه السـلام وتمطّي في ركابه حتي قطعه ، وقال : يا زهير ! تشـجعني في مثل هـذا اليوم ؟! واللّه لأرينك شـيئاً ما رأيته قط(1) . . .

هـذا زهير يتحـدّث عن سـرّ من أسـرار الطف ، إنّه عارف تمام المعرفة أنّ أمير المؤمنين عليه السـلام لماذا أمر عقيل عليه السـلام بخطبة أم البنين عليهاالسـلامإنّه ينتظر منها بطلاً هماماً ، وفارساً شجاعاً ينصر ولده سلطان المظلومين في عرصة الطف ، وهذا يكشف عن مدي قرب زهير واختصـاصه بـأمير المؤمنين عليه السـلامكما يكشف عن انتظاره وتتبعه لأخبار كربلاء ، فهو يحيط علماً بكلّ ما يحـدّد له معالم اليوم الموعود الذي ينتظره .

1- بطل العلقمي للعلامة المظفر : 1/120 ، أسرار الشهادة للفاضل الدربندي : 218 .

وفي هذا الموقف دلالات واضحة ، وإشارات لائحة تكشف عدّةأمور ، منها :

أولاً :

إنّ أمر الخطبة واختيار الزوجة يعدّ من خصوصيات الرجل العادي ، فكيف بسيد الرجال ، وأمير المؤمنين علي عليه السلام ولا يمكن أن يطلع عليه إلاّ المقرّبون والخواص .

ثانياً :

إنّ زهير لم يرو للعباس عليه السلام عن أفواه الرجال ، وإنما روي له ما وعاه وعاشه وسمعه وعرفه مباشرة ، ولو كان عثمانياً لما اقترب من أمير المؤمنين كلّ هذا الاقتراب .

ثالثاً :

زواج أمير المؤمنين عليه السلام بأم البنين عليهاالسلام يختلف عن زواجه بسائر

زوجاته(1) لأـ نّه كان يستهدف إقامة ركن مهم من أركان الطف ، وهو أبو الفضل العباس عليه السلامفهو داخل ضمن المخطط الرباني لإقامة العدل والدفاع

عن الحقّ ، وهو من الأسرار الخاصة بكربلاء ، وهل يمكن لعثماني أن يطلّع بهذه السهولة علي أسرار كربلاء ؟

1- حينما نقارن أم البنين عليهاالسلام بزوجاته عليه السلام دائماً لا نقصد فاطمة الزهراء عليهاالسلام فإنّها لا تقاس بغيرها وهي سيدة نساء العالمين ، وأم السبطين ، وبنت سيد الكونين ، وأشرف المرسلين ، وهي فاطمة عليها صلوات اللّه والملائكة والخلائق أجمعين .

رابعاً :شـهد زهير علي هذا الزواج وادخره في أعماق روحه ، وطوي عليه شـغافه ، لمثل هذا اليوم ، يوم عاشوراء ، لأ نّه كان عالماً أ نّه سيمثل يوماً ما شاهداً علي ما جري في بيت أمير المؤمنين عليه السلام فهو يتوق لهذا اليوم ، ويحسب له حسابه .

يقول : وقـد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم . . فهو يعلم إذن أنّ رجال الطف مدخرون ، عمل علي إعدادهم أمير المؤمنين عليه السـلام ويعلم أنّ ثمـة يوماً ادخروا له الرجال والشـجعان ، ويعلم بالتالي أ نّه هو أيضاً من الرجال المدخرين ، وأ نّه من العدّة المعدّة لنصـرة الحسـين عليه السلام .

خامساً :

لم ينكر أبو الفضـل العبـاس عليه السـلام علي زهير روايته ، ولم يقل له من أين علمت ذلك ، وإنما قبلها منه ، وأرسل ما سـمعه منه إرسال المسلمات ، لأ نّه يعرف أنّ زهيراً أهل لما وعي وروي ، لقربه من أبيه وأخيه وأهل بيته عليهم السلام.

قال الشـيخ محمـد جواد الطبسـي – حفظه اللّه – : فإذا صـحّت هـذه الروايـة ، فإنّ هـذا الحديث الذي « وعاه » زهير ، ورواه للعباس عليه السـلامكاشف عن أنّ زهيراً علي إطلاع منـذ سـنين بأخبار ووقائع البيت العلوي ، وقـد وعي أنباءهم وعياً! وأ نّه كان علي قرب من أهل هذا البيت المقدّس غير متباعد عنهم !

أفيمكن أن يكون مثل هذا الرجل عثمانياً ؟! إنّنا نستبعد ذلك بقوة(1) .

1- مع الركب الحسيني : 3/213 .

سابعاً : إنّه كان مبشراً بنصرة الحسين عليه السلامكان زهير بن القين محارباً قديماً ، شجاعاً مقداماً ، شارك في فتح « بلنجر(1) » .

قال البكري الأندلسي(2) : بلنجر – بفتح أوله وثانيه ، وإسكان ثالثه ، بعده جيم مفتوحة ، وراء مهملة –: مدينة ببلاد الروم ، شهد فتحها عدد من الصحابة .

قال زهير بن القين البجلي : غزوت بلنجر ، وشهدت فتحها ، فسمعت سلمان الفارسي رضي اللّه عنه يقول : أفرحتم بفتح اللّه لكم ، فإذا أدركتم شباب آل محمد ، – وفي رواية : سيد شباب آل محمد صلي الله عليه و آله – فكونوا أشدّ

فرحاً بقتالكم معهم(3) . . .

وفي الكامل في التاريخ(4) وروضة الواعظين لابن الفتال النيسابوري(5) أخبر زهير عن سلمان الفارسي أيضاً ، وروي عنه عن سلمان الباهلي في

1- في إبصار العين للعلامة السماوي رحمه الله : بلنجر : بالباء الموحّدة ، واللام المفتوحتين ، والنون الساكنة ، والجيم المفتوحة ، والراء المهملة آخر الحروف ، وهي مدينة في الخزر عند باب الأبواب ، فتحت في زمان عثمان علي يد سلمان بن ربيعة الباهلي ، أو سلمان الفارسي ، كما ذكره ابن الأثير ، وقتل سلمان بن ربيعة بعد فتحها ، فقال فيه عبد الرحمن الباهلي : وإنّ لنا قبرين قبر بلنجر وقبراً بأرض الصين يالك من قبر

2- توفي المؤلف سنة « 487 هجرية » .

3- معجم ما استعجم للبكري الأندلسي : 1/276 .

4- الكامل في التاريخ لابن الأثير : 4/42 .

5- روضة الواعظين : 178 .

تاريخ الطبري(1) وفي إبصار العين للعلامة السماوي عن سلمان من دون تحديد ، ثم قال : قوله : فقال لنا سلمان : يحتمل الباهلي ، لانّه رئيس الجيش ،ويحتمل الفارسي ، لأ نّه في الجيش علي ما ذكره ابن الأثير في الكامل(2) .

فزهير مبشر من أيام عثمان أ نّه سيكون ممن ينصر شباب آل محمد صلي الله عليه و آله

أو سيد شبابهم عليه السلام وقد سمع زهير ذلك ، ووعاه في جو الظفر والنصر والغلبة علي الأعداء ، وفي ظل ظروف خاصة أحاطت بالخبر ، فهو لم يسمعه في بيته ، أو في النادي الذي ألفه مع أصحابه للسمر وتبادل أحاديث الركبان ، وقصاص الليل ، وإنما سمعه بعد أن إمتلأت أذنه بصهيل الخيل ، وإصطكاك الأسنة ، وقعقعة السلاح ، ومن ثم أهازيج النصر .

خبر إقترن بالنصر ، بالجهاد ، بالفتح ، وحفته ظروف تجعل من العسير ، بل ربما كان من المستحيل أن ينساه ، أو يغفل عنه في مرحلة من مراحل عمره .

أ نّه موعود بنصر شباب آل محمد صلي الله عليه و آله ، فكيف يكون عثمانياً ، وهو ينتظر نصرة آل محمد صلي الله عليه و آله ، والقتال معهم ؟!!

ثامناً: دلالات خطبه

الاستماع إلي خطبه ومواعظه وكلماته مع الحسين عليه السلاموتصريحاته مع الأعداء مؤشر واضح يرقي بكلّ كفاءة إلي أ نّه كان مؤمناً راسخاً في الإيمان ، وليس جديد عهد بالولاء .

1- تاريخ الطبري : 4/298 .

2- إبصار العين : 126 .

قال الشيخ محمد جواد الطبسي – حفظه اللّه – : إنّ التأمل في أقوال زهير بن القين وفي قول زوجه وموقفها ، يكشف عن أنّ زهيراً وزوجه كانا يعرفان حقّ أهل البيت عليهم السلام وتعمر قلبيهما مودّتهم .تأمل في قوله لزوجه – علي رواية السيد ابن طاووس – : « وقد عزمت

علي صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي » .

وفي قولها له : « كان اللّه عوناً ومعيناً ، خار اللّه لك ، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام » !

أو قوله لها – علي رواية الدينوري – : « فإنّي قد وطّنت نفسي علي الموت مع الحسين عليه السلام » .

وقوله لأصحابه : « من أحبّ منكم الشهادة فليقم . . . » .

وإخباره إياهم بحديث سلمان الفارسي – علي ما في رواية الإرشاد – : « إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم . . . » .

وتأمل بتعمق أكثر في قوله : « وطّنت نفسي علي الموت مع الحسين عليه السلام » .

وقوله : « من أحبّ منكم الشهادة فليقم . . . ».

وقول زوجه : « أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام » .

وقوله لأصحابه : « من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فإنّه آخر العهد » .

تجد أنّ هذه العائلة الكريمة كانت علي علم بأنّ الإمام عليه السلامسيستشهد في سفره هذا مع أنصاره من أهل بيته وأصحابه ، وذلك قبل أن تظهر

في الأفق معالم الإنكسار الظاهري ، وخـذلان أهل الكوفة ، وقبل أن يصل الي الإمام عليه السـلام نبأ مقتل مسـلم بن عقيل عليهماالسـلام وهـانيء بن عروة ، وعبـد اللّه بن يقطر .وهـذا كـاشف عن أنّ زهيراً كان ذا عنايـة واهتمام بأخبار الإمام الحسـين عليه السـلام ومتابعاً لأنباء مستقبل حركته وقيامه .

حتي لو فرضـنا أنّ زهيراً كغيره من الناس كان قد سـمع بأخبار الملاحم المتعلقة بنهضة الحسين عليه السلام واستشهاده ، أو سمع من نفس الإمام عليه السلام بعض خطبه في مكة التي كان قد أشار فيها عليه السلام الي استشهاده(1) .

وسيأتي البحث في كلماته وخطاباته إن شاء اللّه تعالي .

تاسعاً: نمط علاقته بالحسين عليه السلام

نمط العلاقة التي امتاز بها زهير بن القين مع الحسين عليه السلام منذ التحاقه ،

وانفتاحه في التعامل معه ، واتخاذه قريباً لصـيقاً في كلّ المواقف يكشف لنا عن مـدي عمق الصـلة بينهما ، بحيث لا يتسـني هذا النمط من العلاقات لفرد جديد عهد بالولاء ، والاعتقاد بإمامة سيد الشهداء عليه السلام لأنّ المفروض أنّ

العلاقـة ليست من نمط العلاقات العاديـة التي تتشـكّل وتتشابك وتقوم بين الأفراد العاديين ، وإنما هي علاقـة قائمة علي الإعتقاد والإيمان بعقيدة راسخة بكيان معصوم معيّن من قبل ربّ العالمين ، مفترض الطاعة ،

1- مع الركب الحسيني : 3/213 .

يجب التسليم له ، وإلغاء كلّ ما سواه من الوجودات علي صعيد النفس والمجتمع ، والسلوك والعقيدة .

معرفة الحسين عليه السلام الإمام

الـذي يفتـدي بـالروح والغالي والنفيس ،والمال والأهل والوطن ، وكلّ ما يملك الإنسان ويقـدر علي التضـحية به في سبيله ليست أمراً هيناً يتحقّق للإنسان العادي في ظروف عاديـة ، فهـذا جون مولي أبي ذر يتقدّم للشـهادة بين يدي الحسـين عليه السـلامفيقف عليه أبو الشـهداء الحسين عليه السلامويقول: اللّهم بيّض وجهه ، وطيّب ريحه ، واحشره مع

الأبرار ، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد(1) .

والحال أ نّنا نري زهيراً يحتلّ هـذا الموقع العظيم ، ويرتفع إلي تلك المنزلة السامية من القرب من حبيب اللّه ورسوله صـلي الله عليه و آله ، وأبي الأئمة وقرّة عين الزهراءوفلذة كبد أمير المؤمنين عليه السلام ونذكر لذلك بعض الصور لا علي سبيل الحصر ، بل علي سبيل المثال :

الصورة الأولي : حضوره المستمر بين يدي الحسين عليه السلام

قربه من الحسـين عليه السـلام في كلّ المواقف وملازمته له بحيث يكون هو أول من يجيب الحسين عليه السلام إذا سأل في الغالب ، سيما في المواقع التي تتطلب

الموقف العسكري .

كما حدث في لقاء الحر بهم في الطريق ، وعند النزول في كربلاء ، وعند زحف جيش الظلام والضـلال عصـر تاسوعاء ، وعند الهجوم علي خيام حرم اللّه يوم عاشوراء ، وغيرها ممّا سيأتيك مفصلاً إن شاء اللّه تعالي .

1- بحار الأنوار : 45/23 .

الصورة الثانية : اختياره للميمنة

اختيار خيرة اللّه الحسين عليه السلام له ليكون علي ميمنة عسكره وجعل تحت رايته عشرين رجلاً ، مع أنّ كلّ من كان في معسكره يعدّ من الأبطالالشجعان من ذوي الخبرة في القتال ومقارعة الأبطال .

صاحب ميمنة الحسين عليه السلام

لقد عبأ الحسين عليه السلام أصحابه ، وقسم جنده إلي ثلاثة أقسام ، فتكوّنت له ثلاث كتائب صغيرة ، فجعل واحدة في الوسط ، وهو القلب ، واثنين مجنبتين ميمنة وميسرة ، وهذا التقسيم للرجالة المشاة .

فجعل قائد المجنبة اليمني ، وهي عشرون رجلاً ، زهير بن القين البجلي .

وقائد المجنبة اليسري ، وهي أيضاً عشرون رجلاً ، حبيب بن مظاهر الأسدي .

وجعل قائد كتيبة القلب ، وهي ثلاثون رجلاً ، أخاه العباس بن علي عليهماالسلام ودفع إليه لواء العسكر ، وهو لواو الأعظم .

ووضع له عليه السلام كرسي فجلس عليه في مركز القلب خلف موقف حامل اللواء .

وهـذه الكتـائب الثلاثـة أقامها حرساً للأخبيـة والبيوت ، ولتصـدّ هجمات العـدو علي تخوم ذلك المناخ ، وجعل قائـد القوات جميعاً أخاه العباس عليه السلام .

وجعل له حرساً خاصاً أقامه علي رأسه ليدفع عنه من قصده من مردة الأعداء ، وهذا الحرس مؤلف من أربعة أبطال من أنصاره وهم : نافع بن هلال الجملي البجلي ، وحنظلة بن أسعد الشبامي الهمداني ،

وأبو ثمامة الصائدي الهمداني ، وسـعيد بن عبد اللّه الحنفي ، ورأس عليهم ابنه علي الأكبر فعلي الأكبر عليه السلامرئيس الحرس الحسيني الخاص .

ونافع بن هلال تلقي وظيفة إمارة الرماة ، فكان من رجال الحرسالخاص وقائداً للرماة .

ثم ألف عليه السلام كتيبة رابعة وهي كتيبة الخيالة الفرسان ، ويبلغ عدد فرسانها سبعين فارساً جعلها كبكبة واحدة . .

وجعل كتيبة الرماة أمام كتيبة الخيل حامية لها من هجمات الأعداء

المفاجئة ، وجعلها صفّاً واحداً أمام فرسانه ، وفي هذه الكتيبة من مهرة الرماة الفنانين وخبرائهم ومن لا تخطئ له رميه نادراً؛ أمير الكتيبة نافع بن هلال وأبو الشـعثاء يزيد بن المهاصـر الكندي أحد بني هند ، وكانت معه مائة نبلة نثلها أمام قدمي الحسين عليه السلاموكان يقول : « بنو بهدلة فتيان العرجلة » فأخطأ بخمس نبال ، وأصاب بخمسة وتسعين نبلة ، وكان كلّما رمي نبلة قال الحسين عليه السلام : اللّهم سدّد رميته ، واجعل ثواب عمله الجنة ،

وكذلك فعل نافع بن هلال ، وكان يكتب علي النبلة اسمه واسم أبيه ، فيرمي فلا يخطئ(1) . . .

وقد أجمع المؤرخون علي أنّ زهيراً كان علي ميمنة عسكر الحسين عليه السلام

ولم نجد في التاريخ أيّ اسم آخر يذكر أ نّه نال هذا الشرف ، ولو علي نحو الاحتمال أو التردّد .

1- بطل العلقمي: 3/112 .

ولا يتّخذ الرجل صاحب راية ما لم تتوفر فيه خصال مميزة ، تؤهله لهذه المسؤولية الخطيرة .

قال الشيخ عبد الواحد المظفر في كتابه بطل العلقمي ، وهو يشرحتقسيمات أمير المؤمنين عليه السلام العسكرية لجيشه :

ويجعل في كلّ من المجنبتين أكابر القوّاد وأركان الجيش ، لأنّ هاتين القوتين بمنزلة جناحي الطائر إذا كسر أحدهما لم يستقل الطائر بالطيران ، فلذلك ينتخب نخبة القواد الماهرين بفنون الحرب ، والمدرّبين علي القتال والمجالدة والكفاح مع كونهم من أهل النجدة والبسالة والإقدام(1) . . .

يعدّ صاحب الراية من أركان الجيش ، وقوامه ، لأنّ ثبات الجيش في ثباته ، وإقدام العسكر بإقدامه ، فلا تدفع الراية إلاّ إلي رجل لا يحتمل فيه أيّ زلّة في مقام الثبات ، ولا يتصور في حقّه الفرار أو الإحجام والتزلزل في الموقف ، ولا يكون هذا الرسوخ في الموقف إلا إذا كان ناتجاً عن بصيرة نافذة ، واعتقاد راسخ بالحرب التي يقدم عليها .

وتكون له من قوة الشخصية ، وعصامية النفس ، وقوة الإرادة ، والعقل والحزم واليقين والوقار ما يخوّله إتخاذ القرار المناسب للموقف المناسب ، وإقناع المحارب تحت إمرته بحكمه وإرادته وصواب قراراته ، والسيطرة علي المقاتلين بين يديه سيطرة هيمنة تحوّله إلي آلة طيعة يقاتل بها بالطريقة التي يستصوبها .

وقد بلغ زهير المدي في حيازة ثقة أبي الأحرار وأبي الضيم الحسين عليه السلام

1- بطل العلقمي : 3/156 .

حتي جعله الحسين عليه السلام حامياً لحرم اللّه وحرم رسوله عليه السلامحيث أقامه حرساً للأخبية والبيوت ، وليصدّ بمن تحت إمرته هجمات العدو علي خيامه وحرمه ، وقد استبسل زهير بالفعل في الدفاع عنها وحمايتها ، كماسنقرأ ذلك فيما يأتي إن شاء اللّه .

الصورة الثالثة : ضرب علي كتف الحسين عليه السلام

روي الطبري في تاريخه قال : وأخذ يضرب علي منكب حسين عليه السلام ويقول : « أقدم هديت هاديا مهديا(1) » .

وقال الخوارزمي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام : روي أنّ زهيراً لمّا أراد الحملة وقف علي الحسين عليه السلام وضرب علي كتفه وقال : « أقدم حسيناً هادياً مهدياً »...الأبيات(2) .

روي ابن قولويه في كامل الزيارات مسنداً عن أبي عبد اللّه الجدلي ، قال : دخلت علي أمير المؤمنين والحسين عليهماالسلام إلي جنبه ، فضرب بيده علي

كتف الحسين عليه السلام ثم قال : إنّ هذا يقتل ولا ينصره أحد(3) . . .

وأسند الخزاز إلي سلمان أنّ النبي صلي الله عليه و آله وضع يده علي كتف الحسين عليه السلام

وقال : إنّه إمام ابن الإمام ، تسعة من صلبه أئمة أبرار ، أمناء معصومون ، والتاسع قائمهم(4) .

1- تاريخ الطبري : 4/336 .
2- تاريخ الطبري : 4/336 ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي : 2/24 .
3- كامل الزيارات : 149 ح176 .
4- الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي : 2/119 .

لقد وضع زهير يده في موضع وضع رسول اللّه صلي الله عليه و آله يده ، وشهد له

بالإمامة ، وأنّه أبو الأئمة وأبو القائم المنتقم المهدي عجل اللّه تعالي فرجه .

وضرب بيده في الموضع الذي ضرب عليه أمير المؤمنين عليه السلام يوم أخبربقتله ولا ناصر له ولا معين .

إنّ زهيراً عالم عارف خبير حكيم لا يتصرف جزافاً ، ولا يعمل عملاً يخلو من معان عميقة .

وهذا العمل يشير بوضوح إلي نوع خاص من العلاقة كانت بين زهير

ومولاه الحسين عليه السلام ميّزته عن كلّ أقرانه وأصحابه ، ولم نعهد أحداً من أصحاب الحسين وأهل بيته الذين استشهدوا معه في كربلاء كانت له مثل هذه العلاقة المنفتحة التي تبيح له أن يضرب علي عاتق الحسين عليه السلام ! !

وهذا النمط من العلاقة لا يمكن أن يحصل – عادة – في غضون أيام

قليلة ، وإنما يدلّ علي عشرة طويلة .

الصورة الرابعة : مواساته للحسين عليه السلام

في كتاب فرسان الهيجاء للمحلاتي عن مقتل أبي مخنف : كانت شهادة

زهير بعد حبيب بن مظاهر ، فلمّا استشهد حبيب بانَ الإنْكِسارُ في وَجْهِ الْحُسَيْن عليه السلام ثُمَّ قالَ : للّهِ دَرُّكَ يا حَبيبُ ، لَقَدْ كُنْتَ فاضِلاً تَخْتِمُ الْقُرانَ في لَيْلَةٍ واحِدَةٍ .

فَقامَ اِلَيْهِ زُهَيْرُ بْنُ الْقَينِ وَقالَ : بِاَبي اَنْتَ وَاُمّي يَا بْنَ رَسُولِ اللّهِ صلي الله عليه و آله ما هذا الإنْكِسارُ الَّذي اَراهُ في وَجْهِكَ ؟ اَلَسْتَ تَعْلَمُ اِنّا عَلَي الْحَقِّ ؟

قالَ : بَلي وَإلهَ الْخَلْقِ ، اِنِّي لأَعْلَمُ عِلْماً يَقيناً إِنِّي وَإيّاكُمْ عَلَي الْحَقِّ وَالْهُدي .

فَقالَ زُهَيْرٌ : اِذاً لا نُبالي وَنَحْنُ نَصيرُ إِلَي الْجَنَّةِ وَنَعيمِها(1) .تذكرك هذه الكلمات بما سمعته من حوار دار بين الحسين سيد الشهداء عليه السلاموبين حبيب قلبه وعزيزه وولده علي الأكبر عليه السلام يوم ارتحلوا من قصر بني مقاتل ، فخفق الحسين عليه السلام وهو علي ظهر فرسه خفقة ، ثم انتبه ، وهو يقول : إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ، والحمد للّه رب العالمين ، ففعل

ذلك مرتين أو ثلاثا .

فأقبل إليه ابنه علي بن الحسين عليهماالسلام علي فرس فقال : ممّ حمدت اللّه واسترجعت ؟ فقال : يا بني ، إنّي خفقت خفقة ، فعنّ لي فارس علي فرس وهو يقول : القوم يسيرون ، والمنايا تسير إليهم ، فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا .

فقال له : يا أبت لا أراك اللّه سوءاً ، ألسنا علي الحقّ ؟ قال : بلي ، والذي إليه مرجع العباد .

قال : فإنّنا إذا لا نبالي أن نموت محقّين ، فقال له الحسين عليه السلام جزاك اللّه من ولد خير ما جزي ولداً عن والده(2) .

1- فرسان الهيجاء : 1/201 ، مقتل أبي مخنف : 147 ، ينابيع المودة للقندوزي : 3/71 وفي الأـخير بعض التفاوت في الألفاظ وفيه : « قال زهير : فما تكره من موتنا وإنّا ندخل الجنة ونعيمها » .

2- الإرشاد : 2/82 ، مثير الأحزان لابن نما الحلي : 32 ، تاريخ الطبري : 4/308 ، إعلام الوري للطبرسي : 1/450 ، اللهوف للسيد ابن طاووس :43 .

إنّه زهير بن القين القريب من قلب الإمـام المكروب الغريب الـذي يسـتطيع أن يتحمـل هـذا الموقف في المواسـاة للحسـين عليه السـلام والشحذ لهمم الأصحاب في تلك الساعة العصيبة الكئيبة التي بان فيها الإنكسار عليوجه الحسين عليه السلام .

وكذا نلمس قوته في مواساة الإمام الغريب في رجزه الذي يقول فيه : « أقدم حسيناً هادياً مهديا » . . . الأبيات .

عاشراً : لو كان عثمانياً لتوثب لقتال الحسين عليه السلام

لو كان زهير عثمانياً حقيقة لكان متوثباً تواقاً لحرب الحسين عليه السلاممنتظراً للحظة الإجهاز عليه وعلي كلّ ما يمتّ الي أبي تراب بصلة ، انتقاماً لعثمان وانتصاراً لبني أمية ، كما هو دأب العثمانيين والأمويين .

قال الشـيخ محمد جواد الطبسي – حفظه اللّه – : لـم يحدّثنا التاريخ في إطار سيرة زهير بن القين عن أيّ واقعة أو حدث أو محاورة أو تصريح من زهير نفسه تتجلّي فيه هـذه العثمانيـة التي ألصـقت فيه ، مع أنّ الآـخرين ممّن عرفوا بعثمـانيتهم كـانوا قـد عرفوا بهـا من خلاـل آرائهم ومواقفهم واشتراكهم في حرب أو أكثر ضدّ علي عليه السلام(1) .

1- مع الركب ا لحسيني : 3/212 .

هل كره زهير منازلة الحسين عليه السلام ؟

اشارة

روي الطبري في تاريخه قال : فأقبل الحسين عليه السلام حتي إذا كان بالماء فوق زرود .

قـال أبو مخنف : فحـدّثني السـدي عن رجـل من بني فزارة قال : لمّا كان زمن الحجاج بن يوسف كنّا في دار الحارث بن أبي ربيعـة التي في التمارين التي أقطعت بعد زهير بن القين من بني عمرو ابن يشكر من بجيلة ، وكان أهل الشأم لا يدخلونها ، فكنّا محتبين فيها .

قال : فقلت للفزاري : حدّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي عليهماالسلام .

قال : كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير

الحسـين عليه السـلامفلم يكن شـيء أبغض إلينـا من أن نسـايره في منزل ، فـإذا سار الحسـين عليه السـلامتخلّف زهير بن القين ، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدّم زهير ، حتي

نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين عليه السلام في جانب ، ونزلنا في جانب .

فبينـا نحن جلوس نتغـدّي من طعـام لنا إذ أقبل رسول الحسـين عليه السـلامحتي سـلّم ، ثم دخل ، فقال : يا زهير بن القين!! إنّ أبا عبـد اللّه الحسين بن علي عليهماالسلامبعثني إليك لتأتيه .

قال : فطرح كلّ إنسان ما في يده حتي كأنّنا علي روسنا الطير .

وزاد السيد محسن الأمين في الأعيان قال : فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتي كأنّ علي روسنا الطير ، كراهة أن يذهب زهير إلي الحسين عليه السلام فإنهم كانوا عثمانية يبغضون الحسين وأباه(1) .

قال أبو مخنف : فحدّثتني دلهم بنت عمرو ، امرأة زهير بن القين ، قالت : فقلت له : أيبعث إليك ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ثم لا تأتيه ، سبحان اللّه ، لو أتيته فسمعت من كلامه ، ثم انصرفت .

قالت : فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه .

قالت : فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه ، فقدّم وحمل إلي الحسين عليه السلام .

ثم قال لامرأته : أنت طالق ، الحقي بأهلك ، فإني لا أحبّ أن يصيبك من سببي إلاّ خير .

ثم قال لأصحابه : من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فإنّه آخر العهد ، إنّي سأحدثكم حديثاً :

غزونا « بلنجر » ففتح اللّه علينا ، وأصبنا غنائم ، فقال لنا سلمان الباهلي(2) : أفرحتم بما فتح اللّه عليكم ، وأصبتم من المغانم ؟! فقلنا : نعم .

1- أعيان الشيعة للسيد الأمين : 7/71 نقلاً عن أبي مخنف في المقتل والمفيد في الإرشاد وغيرهما .
2- ذكرنا فيما سبق الاختلاف في من أخبر زهير هل هو سلمان الفارسي أو سلمان الباهلي ، والاختلاف في نقل « شباب آل محمد صلي الله عليه و آله » أو « سيد شباب آل محمد صلي الله عليه و آله » .

فقال لنا : إذا أدركتم شباب آل محمد صلي الله عليه و آله ، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكممعهم بما أصبتم من الغنائم .

فأمّا أنا ، فإني أستودعكم اللّه .

قال : ثم – واللّه – ما زال في أول القوم حتي قتل(1) .

أولاً : السند

بالرغم من أنّ الرواية مروية « عن السدي عن رجل من بني فزارة » فهي ضعيفة علي الأقل بمجهولية الفزاري ، إلاّ أ نّنا لم نلتزم بمناقشة السند ، لأنّنا لا نريد إسقاط الرواية وتكذيبها ، وإنّما نفترض صحّة النقل ، بيد أ نّنا نحاول أن نقرأ الخبر قراءة جديدة ، ونفهمه فهماً ينسجم تماماً مع علوية زهير وخروجه لتلقي سيد شباب آل محمد صلي الله عليه و آله .

ثانياً : ظروف نقل الخبر

نقرأ في ظروف نقل الخبر أنّ الراوي كان في إزمة أمنية شديدة ، خائفاً علي نفسه ، ملاحقاً متخفياً لاجئاً الي موضع يأمن فيه الطلب وفق حساباته .

1- تاريخ الطبري : 4/298 ، روضة الواعظين للفتال النيسابوري : 178 ، اللهوف للسيد ابن طاووس : 44 ، الدر النظيم لابن حاتم العاملي : 547 ، العوالم ، الإمام الحسين عليه السلاملعبد اللّه البحراني : 221 ، الإرشاد للمفيد : 2/72 ، بحار الأنوار : 44/371 ، مثير الأحزان لابن نما الحلي : 33 ، لواعج الأشجان للأمين : 81 ، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين : 1/594 .

قـال : « لمّا كان زمن الحجاج بن يوسف كنّا في دار الحارث بن أبي ربيعـة التي في التمارين التي أقطعت بعـد زهير بن القين من بني عمرو ابن يشكر من بجيلة ، وكان أهل الشأم لا يدخلونها ، فكنّا محتبين فيها .

قال : فقلت للفزاري : حدّثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي عليهماالسلام » .

ونحن لا ندري لم تخلّف هذا الفزاري عن التحاق بركب الشهادة ، ثم أصبح اليوم خائفاً متلدّداً ؟

وكيف كـان ، فـإنّ المفروض أن لا ـ يكون الخـائف علي نفسه ، المتخفي في موضع يظنّ أنّ فيه أمانا من الطلب قادراً علي نقل الحقائق وفق مجريات الأحداث والواقع ، وكيف يمكنه أن يشـي بنفسه ويعترف أ نّه كان في موقف يمكن أن يسجّل عليه في مماشاة الحسين عليه السلام أو ما يستشمّ منه نية النصرة أو ما شاكل .

ولا نقصد بالنصرة نصرته شخصياً ، لأ نّه خذل الحسين عليه السلام قطعاً ، ولولا ذاك لما بقي الي يوم نقل الخبر ، وإنّما نقصد أ نّه ينقل قصة زهير باعتباره خارجاً يتلقي الحسين عليه السلام فيؤاخذ بها من حيث كونه مسايراً لزهير ، وتكون حجة عليه بيد خصمه .

فلا يمكن الإطمئنان الي كلّ تفاصيل الخبر ودقة المنقول في أجواء

الخوف من أعداء الحسين عليه السلام .

ثالثاً : لم يكن زهير وحده في تلك الرحلة

صرحت الرواية أنّ زهيراً لم يكن وحده في تلك الصحراء ، وإنما كان

مع جماعـة من أهله وأبنـاء عمومته وممّن التحق به كـالفزاري وجماعته ، سـيما إذا تأملنا قوله « كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة » ،فإنّه عبّر بالجمع عن نفسه ومن كان معه ، ولم يقل : « كنت » .

وقد روي الخبر الفتال النيسابوري والسيد ابن نما والسيد الأمين

والسيد ابن طاووس والسيد شرف الدين عن جماعة من الفزاريين والبجليين ، فقالوا : وحدّث جماعة من فزارة وبجيلة(1) .

ويترتب علي ذلك عدّة أمور تأتي إن شاء اللّه تعالي .

رابعاً : خروج زهير من مكة بعد الحج

قال الفزاري : « كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسـين فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل ، فإذا سار الحسـين عليه السلام تخلّف زهير بن القين ، وإذا نزل الحسين عليه السلامتقدّم زهير ، حتي نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بدّاً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين عليه السلام في جانب ، ونزلنا في جانب » .

ويمكن تسجيل عدّة ملاحظات علي هذا المقطع :

الملاحظة الأولي : المسايرة

إنّ الظاهر من قول الفزاري : « أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام »

1- روضـة الواعظين للفتال النيسابوري : 178 ، مثير الأـحزان لابن نما : 33 ، لواعج الأشـجان للسيد الأمين : 81 ، أعيان الشيعة للسيد الأمين : 1/595 ، اللهوف للسيد ابن طاووس : 44 ، المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين : 219 .

أ نّه كان قد خرج من مكة مع الإمام الحسين عليه السلام وكيف يمكنهم مسايرة

ركب الفتح الحسيني من مكة وقد سبقهم سيد الشهداء عليه السلامبالخروج منذيوم التروية ؟ والحال أ نّهم كانوا قد أتمّوا الحج ؟!

الملاحظة الثانية :

قال الشيخ محمد جواد الطبسي حفظه اللّه : لا يستقيم محتوي متنها – يعني الرواية – مع الحقيقة التاريخية والجغرافية ، ذلك لأنّ زهير بن القين كان عائداً من مكة الي الكوفة بعد الإنتهاء من أداء الحج ، فلو فرضنا أ نّه قد خرج من مكة بعد إنتهاء مراسم الحج مباشرة ، فإنّه يكون قد خرج منها في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة علي الأقوي ، وبهذا يكون الفرق الزمني بين يوم خروجه ويوم خروج الإمام عليه السلام منها خمسة أيام علي الأقل .

وإذا كان هذا فكيف يصحّ ما في متن الرواية : « كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام . . » الدال حسب الظاهر

أ نّهم سايروا الإمام عليه السلام من مكة(1) !

فكيف يمكن اختزال خمسة أيام مسير في البرية علي الدواب والتمكن

من الالتحاق بالحسين عليه السلام ؟

الملاحظة الثالثة :

قد يقال : إنّ زهيراً خرج متعجلاً مجدّاً في السير وبذلك استطاع اللحاق بالركب الحسيني !

1- مع الركب الحسيني : 3/210 .

ويجاب ذلك :

أولاً :« لو أ نّنا افترضنا أنّ زهير بن القين بادر بعد الفراغ من أداء مناسك الحج « فانصرف من مكة متعجلاً » – علي ما في رواية البلاذري – ، وجدّ السير لا يلوي علي شيء ، فإنّ الفارق الزمني في أثره علي الفارق المكاني قد لا يتغيّر ، ويبقي كما هو علي الأقوي ، لأنّ الإمام عليه السلامحسب متون تاريخية عديدة كان قد خرج من مكة يجدّ السير أيضاً نحو العراق ، ولا يلوي علي شيء(1) » .

فالركبان مجدّان ، لا يلويان علي شيء ، مسرعان معاً علي وسائل

متماثلة في السرعة ، ممّا يجعل الفارق الزمني باقياً علي حاله .

ثانياً :

لمّا كان زهير ومن معه كارهاً لمنازلة الحسين عليه السلام فلماذا العجلة والجدّ في السير ، كان بإمكان المكث في مكة أو السير كما تسير كلّ القوافل العائدة من الحج ، ويحتفظ بالفارق الزمني بينهما ، وخمسة أيام من المسير ليست بالقليلة .

الملاحظة الرابعة :

قد يقال : إنّ ركب الشهادة الحسيني كان ركباً كبيراً ، وقد ضمّ الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشبان ، فهو مهما كان مجدّاً في السير لا يمكن أن يكون سيره سريعاً حثيثاً !

1- مع الركب الحسيني : 3/211 .

ويجاب علي ذلك :

أولاً :إنّ الواقع التاريخي يثبت خلاف ذلك ، فإنّ الركب الحسيني قطع المسافة بين مكة وكربلاء في زهاء أربعة وعشرين يوماً حيث خرج من مكـة يوم التروية « الثامن من ذي الحجة » ووصل كربلاء في اليوم الثاني من محرم الحرام ، وهي فترة لا يمكن لقافلة كبيرة أن تسـتغرقها في قطع مثل هذه المسافة في الحالات العادية .

ثانياً :

مرّ معنـا قبـل قليل أنّ زهيراً أيضاً كان مع قافلـة ليست بالصـغيرة ، حيث ضـمّت أهله وأقرباءه والملتحقين به من أمثال الفزاري الراوي لهـذا الخبر .

خامساً : روايات لم تذكر امتناع زهير

ذكر بعض المؤرخين امتناع زهير عن إجابة دعوة سـيد الشـهداء عليه السـلام وريحانة رسول اللّه صلي الله عليه و آله وفسّروا ذلك بتعثمنه ، ولكنّنا نجد مؤرخين

آخرين رووا قصة زهير دون أن يرد في روايتهم أيّ ذكر لامتناعه من الذهاب الي الإمام الحسين عليه السلام .

« فها هو ابن أعثم الكوفي(1) – المعاصر لكل من الطبري والدينوري والبلاذري – يروي قصة هذا اللقاء بدون أيّ ذكر للعثمانية أو للإمتناع – قائلاً : ثم مضي الحسين فلقيه زهير بن القين ، فدعاه الحسين الي نصرته ،

1– مقتل الحسيين للخوارزمي : 1/323 رقم 6 .

فأجابه لذلك ، وحمل اليه فسطاطه ، وطلّق امرأته ، وصرفها الي أهلها ، وقال لأصحابه : إنّي كنت غزوت بلنجر مع سلمان الفارسي ، فلمّا فتحعلينا اشتدّ سرورنا بالفتح ، فقال لنا سلمان : لقد فرحتم بما أفاء اللّه عليكم! قلنا : نعم .

قال : فإذا أدركتم شباب آل محمد صلي الله عليه و آله فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه منكم بما أصبتم اليوم . فأنا أستودعكم اللّه تعالي ، ثم ما زال مع الحسين حتي قتل(1) » .

سادساً : المرافقون كانوا عثمانية

في تعبير صاحب الأعيان إشارة تكاد تكون صريحة الي أن المرافقين هم الذين كرهوا ذهاب زهير وتلبيته دعوة أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام لأ نّهم كانوا عثمانية ، ولم يصرح أنّ زهيراً كان كارهاً أو أ نّه كان عثمانياً .

فليس هو زهير الذي امتنع أو كان عثمانياً ، وإنما كان مرافقوه يكرهون اللقاء لأنهم من العثمانية .

قال رحمه الله : فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتي كأنّ علي روسنا الطير ، كراهة أن يذهب زهير إلي الحسين عليه السلام فإنهم كانوا عثمانية يبغضون الحسين وأباه(2) .

1- مع الركب الحسيني : 3/211 .

2- أعيان الشيعة للسيد الأمين : 7/71 نقلاً عن أبي مخنف في المقتل والمفيد في الإرشاد وغيرهما .

ومن الطبيعي أن يتقي زهير في مثل هذا الموقف كما فعل حبيب بن مظاهر يوم بلغه كتاب الحسين عليه السلام يدعوه فيه للإلتحاق به .ويؤكد ما ذكره السيد الأمين رحمه الله ما قاله الفزاري في رواية الطبري ، قال : كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل ، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير بن القين ، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدّم زهير .

فكأنّه كان يعبّر عن موقفه وأصحابه فقال : فلم يكن شيء أبغض إلينا ، ثم تحدّث عن موقف زهير ، فقال : فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير بن القين .

فربما أفاد هذا التمييز في الكلام أ نّهم كانوا يكرهون منازلة الحسين عليه السلام وكان زهير باعتباره صاحب القافلة يجاريهم ويداريهم في ذلك ، ولو كان الجميع بما فيهم زهير يكرهون المنازلة ، لنسب الكراهية لزهير ، أو أ نّه كان يستمر في إستعمال ضمير « نا » ويقول مثلاً : فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّفنا ، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدّمنا . . .

فليس في عبارة الفزاري ما ينسب الكراهة الي زهير شخصياً ، ولاصراحة في نسبة الكراهة له مباشرة .

سابعاً : المطلوب للحسين عليه السلام زهير بن القين فقط

لم يرد في ما نعرفه من النصوص التاريخية أنّ الحسين عليه السلام سأل عن النازل الي جنبه ، كما روي في قصة عبيد اللّه بن الحر الجعفي ، وقد دخل الرسول متوجهاً في كلامه الي زهير مباشرة ، ومخاطباً له دون سواه .

قال الفزاري : « حتي نزلنا يومئـذ في منزل لـم نجـد بدّاً من أن ننازله فيه ، فنزل الحسـين عليه السـلام في جانب ، ونزلنا في جانب .فبينا نحن جلوس نتغدّي من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسـين عليه السـلامحتي سـلّم ، ثم دخل ، فقال : يا زهير بن القين!! إنّ أبا عبد اللّه الحسـين بن علي عليهماالسلامبعثني إليك لتأتيه » .

هكذا دخل بعد أن سلّم، فلم يسألهم أي سؤال عن هويه الركب، ولـم يسأل عن شخص زهير ليتعرف عليه ، وإنما توجه الي ركب يعرفه جيداً ، ويعرف من بين كلّ أولئك الرجال زهيراً فيتوجه اليه بالخطاب مباشـرة دون أي تردّد أو بحث في الوجوه . فلم يقل مثلاً : لمن هذا الركب ؟ أو من منكم زهير ؟

كما أ نّه دفع رسالة الحسـين عليه السـلام الي زهير فقط دون غيره من أعضاء الركب ، « فقال : يا زهير بن القين !! إنّ أبا عبد اللّه الحسـين بن علي عليهماالسلام بعثني إليك لتأتيه » .

تأمّـل كيف نـادي زهيراً بالاسم الكامل ، فقال : يا زهير بن القين ، ثم وجه له رسالـة أبي عبـد اللّه الحسـين عليه السـلام مسـتخدماً ضـمير الخطاب المفرد

« بعثني اليك لتأتيه » !!

يفيد ذلك أنّ الدعوة كانت لرجل معروف ، يعرفه الحسين عليه السلامويطلبه بعينه ، ويقدّم له الدعوة الموعود بها من قبل . . .

ثامناً : ينتظرون الحسين عليه السلام في الصحراء

يخرج أنصار الحسين عليه السلام يتلقّون سيدهم كلّ بطريقته التي يسّرها

ص: 200

اللّه له ، وكان الحسين عليه السلام يلتقطهم في الطريق واحداً بعد واحد ، وجماعة بعد جماعة ، فمنهم من التحق به في مكة .ومنهم من التحق به علي مشارف مكة ، مثل يزيد بن ثبيط العبدي وابنيه عبد اللّه وعبيد اللّه .

قال الشيخ السماوي رحمه الله : كان يزيد من الشيعة ، ومن أصحاب أبي الأسود ، وكان شريفاً في قومه .

قال أبو جعفر الطبري : كانت مارية ابنة منقذ العبدية تتشيع ، وكانت دارها مألفاً للشيعة يتحدّثون فيه ، وقد كان ابن زياد بلغه إقبال الحسين عليه السلام

ومكاتبة أهل العراق له ، فأمر عامله أن يضع المناظر ، ويأخذ الطريق ؟

فأجمع يزيد بن ثبيط علي الخروج إلي الحسين عليه السلام وكان له بنون عشرة ، فدعاهم إلي الخروج معه ، وقال : أيّكم يخرج معي متقدّماً ؟ فانتدب له إثنان عبد اللّه ، وعبيد اللّه .

فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة : إنّي قد أزمعت علي الخروج ، وأنا خارج ، فمن يخرج معي ؟ فقالوا له : إنّا نخاف أصحاب ابن زياد ، فقال : إنّي واللّه أن لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان عليّ طلب من طلبني .

ثم خرج وابناه ، وصحبه عامر ، ومولاه ، وسيف بن مالك ، والأدهم

بن أمية ، وقوي في الطريق حتي انتهي إلي الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من

مكة ، فاستراح في رحله ، ثم خرج إلي الحسين عليه السلام إلي منزله .

وبلغ الحسين عليه السلام مجيئه ، فجعل يطلبه حتي جاء إلي رحله ، فقيل له : قد خرج إلي منزلك ، فجلس في رحله ينتظره .

وأقبل يزيد لمّا لم يجد الحسين عليه السلام في منزله ، وسمع أنّه ذهب إليه راجعاً علي أثره ، فلمّا رأي الحسين عليه السلام في رحله قال : « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِفَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا » ، السلام عليك يا بن رسول اللّه ، ثم سلّم عليه ، وجلس إليه ، وأخبره بالذي جاء له ، فدعا له الحسين عليه السلامبخير ، ثم ضمّ رحله إلي رحله ، وما زال معه حتي قتل بين يديه في الطف مبارزة ، وقتل ابناه في الحملة الأولي(1) .

ومنهم من اتخذ خروج الناس لحرب الحسين عليه السلام مطية ، فخرج مع

عسكر ابن سعد - لعنه اللّه - ثم التحق بركب الشهادة ، وهم كثيرون ، منهم مسعود بن الحجاج التيمي وابنه عبد الرحمن بن مسعود وبكر بن حي بن تيم اللّه (2) .

ومنهم من انتظره في منازل جهينة كعباد بن المهاجر الجهني ، وعقبة بن الصلت الجهني وغيرهم(3) وهكذا . . .

أسدي ينتظر الشهادة مع الحسين عليه السلام في كربلاء

ومنهم من كان ينتظره في الصحراء ، وقد ابتعد عن المدينة وتحمل هجير القفار ، واكتوي بلهيب الرمضاء انتظاراً لليوم الموعود ، وتحقيقاً للأمل المنشود .

1- إبصار العين للسماوي : 203 ، تاريخ الطبري : 4/263 ، أعيان الشيعة : 0/3051 .

2- إبصار العين للسماوي : 207 .

3- إبصار العين للسماوي : 213 ، عن الحدائق الوردية : 122 .

ففي تاريخ دمشق لابن عساكر بإسناده عن العريان بن الهيثم قال : كان أبي يتبدي ، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين عليه السلامفكنا لا نبدو إلاّ وجدنا رجلاً من بني أسد هناك .

فقال له : إنّي أراك ملازماً هذا المكان ؟!

قال : بلغني أنّ حسيناً يقتل ها هنا ! فأنا أخرج لعلي أصادفه فأقتل معه .

فلمّا قتل الحسين عليه السلام قال أبي : انطلقوا ننظر هل الأسدي فيمن قتل !! وأتينا المعركة ، فطوفنا ، فإذا الأسدي مقتول(1) .

خروج الكلبي مع أهله في طلب الحسين عليه السلام

روي الشيخ حسين البلادي البحراني قال : نزل الحسين عليه السلام في موضع يسمي ب« غدير الهيجا » ، فأقام فيه يومه كلّه ، فلمّا كان اليوم الثاني خرج الحسين عليه السلام من خيمته منفرداً بنفسه ، فإذا هو بفسطاط مضروب ، وفرس مربوط ، ورمح مركوز ، وجارية جالسة علي الطريق ، عن يمينها وشمالها أربعة أولاد ، وأمامهم عجوز مكفوفة البصر .

وكان عليه السلام إذا قصد مكاناً يسبقه النور الذي في وجهه ، وكان إذا رآه الرجل يقول : ما أشبه هذا النور بنور رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وإذا أراد أن يتكلّم تبسّم أولاً .

1- تاريخ مدينة دمشق : 14/216 - 217 .

فلمّا رأي الحسين عليه السلام تلك الجارية قصد اليها ، فسبق ذلك النور قبل أن يصل لها ، فالتفتت الجارية ، فإذا هي تري نوراً ساطعاً كأنّه القمر ، فلمّا رأت ذلك النور تذكرت نور رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وبكت ، فقالت لها عمّتها : ما يبكيك ؟ فسكتت ولم تردّ عليها جواباً .

فلمّا وصل الحسين عليه السلام إلي الجارية رحّبت به ، وأدخلته الخيمة ، وبسطت له بساطاً ، ووضعت له متكئاً ، وأكرمته غاية الإكرام ، فنشر الحسين عليه السلام بردته علي البساط ، وجعل يسبح اللّه تعالي ويقدّسه ، ثم التفت إلي الجارية فقال : يا عاتكة! أين مضي بعلك ؟ وكان اسمها عاتكة بنت جابر الأزدي .

فقالت له : مضي منذ ثلاثة أيام في طلب الماء .

فقال لها : ناوليني شربة .

فقالت له : واللّه ما بقيت عندي إلاّ قطرة في شنّ يابس أبلل به أفواه الأطفال .

فقال عليه السلام : عليّ بها يا جارية ، وكان من عادة العرب أ نّهم يملّكون الضيف جميع ما يطلب .

فقالت الجارية : واللّه لأعطينّك هذه القطرة ولو . . .(1) .

فناولته ذلك الشنّ ، فذاقه ، ثم غمس يده فيه ، وردّه اليها ، فتناولته ، فإذا هو مليء ماء بقدرة اللّه تعالي ، ثم مدّ يده ثانية في طرف الخيمة

1- كذا بياض في الأصل .

فخـطّ بهـا خطاً ، وقيل : غمس يـده في التراب ، ثم رفعها ، فإذا الماء يجري كأنّه العين الفائضـة بقـدرة اللّه تعالي ، ثم قال عليه السـلام : يا عاتكة ، أتريدين أنأزيدك من هذا ؟ فلو أردتي أن أصيّره شطّاً لفعلت .

فقالت له : باللّه عليك يا مولاي ؟!

فقال عليه السـلام : إنّك لعارفة بي !! لكنّك معذورة حيث أنّك وبعلك في طلب شيء تريدون به الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، ولولا الذي صار فيه قلبك لعرفتيني حقّ المعرفة !

فقالت له : ما اسم بعلي ؟

قال : وهب .

فقالت له : وما اسم أبي ؟

قال : جابر بن يزيد الأزدي .

فقالت : وما اسم عمّتي ؟

قال : اسمها رقية ، وها أنا ماض عنكم ، ولكن يا عاتكة ، إذا أقبل بعلك وهب فقولي له : إن الذي تطلبه وتسأل عنه في البراري والأودية ها هو أمامك يؤم الظعينة مصاحباً للكرب والبلاء ، ومقرّه كربلاء .

فأقبلت علي عمّتها رقية وقالت : يا عمّتاه ، إنّ الذي قد أقبل شممت منه رائحة المسك والعنبر ، وقد رأيت منه معاجز كثيرة .

فقالت لها : وما هذه المعاجز التي رأيتيها منه ؟

فقالت لها : أولها : ناولته الشنّ وهو يابس ، فلمّا مسكه بيده صار ملآناً ، والثانية : أ نّه خطّ بإصبعه خطاً فنبع الماء ، وقد عرف اسمي واسمك

واسم بعلي ، وأخبر عن شيء في ضميرنا ، ولمّا أراد الخروج من عندنا رأيت النعل قد دار في رجليه ، ونور وجهه مشرق مضيء ، وقد قالعند خروجه : يا عاتكة ، إذا أقبل ابن عمّك وهب ، فقولي له : إنّ الذي

أنت ماض في طلبه هو أمامك ، يؤم الضعينة ، مصاحباً للكرب والبلاء ، ومقرّه كربلاء .

فقالت رقية : يا عاتكة ، هذه الأوصاف لا توجد في زماننا إلاّ في الحسين بن علي عليهماالسلام وهو الذي يتطلّبه بعلك ، وكربلاء هي مقرّه ومدفنه ، ولكن قومي يا عاتكة ، اعلميني بالمكان الذي وطأ فيه الحسين عليه السلامبنعله ، اجعله شفاء لعيني ، لأ نّها لا تبصر بهما .

فلمّا أقبلت بها علي المكان الذي وطأه الحسين عليه السلام بنعله أهوت رقية

عليه ، وقبّلت تلك الأقدام ، وقالت : اللّهم إن كانت هذه الأقدام أقدام ابن بنت نبيك محمد صلي الله عليه و آله الذي يقتل غريباً عطشاناً ردّ عليّ بصري ، إنّك علي كلّ شيء قدير .

فما أتمّت كلامها إلاّ وقد ردّ اللّه تعالي بصرها ببركة الحسين عليه السلام .

فبكت رقية وقالت : يا عاتكة ، ألا ترين كيف ردّ اللّه تعالي عليّ بصري ، فهذا هو مولانا الحسين عليه السلام .

فلمّا أقبل الليل ، أقبل وهب ، فلمّا قرب من الخيمة قال : يا أمّاه أنّي أشمّ عندكم رائحة الجنّة !

فقالت أمّه : يا بني ، هذا ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله الذي أنت تطلبه ، وقد رأي ذلك الماء ، وأمّه ردّ عليها بصرها بعد العمي .

فقال : وما قال لكم عند رواحه عنكم ؟

فقالت : يؤم الضعينة ، مصاحباً للكرب والبلاء ، ومقرّه أرض كربلاء .لمّا سمع وهب ذلك تهلل وجهه فرحاً وسروراً ، وقوّض خيامه ، ولحق سيده وإمامه ، حتي أناخ معه في كربلاء ، مصاحباً معه الكرب والبلاء .

فلمّا صار يوم النزال ، اشتد القتال ، قالت له أمّه : يا بني فانصر ابن بنت رسول اللّه عليهم السلام .

فقال : أفعل يا أمّ ولا أقصّر .

فبرز رضوان اللّه عليه ، وطلب الرخصة من الحسين عليه السلام في الجهاد بين

يديه ، وخرج لحومة الميدان ، ومقابلة الشجعان ، وهو يقول :

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي

سوف تروني وترون ضربي

وحملتي وصولتي في الحرب

أدرك ثاري بعد ثار صحبي

وأدفع الكرب أمام الكرب

ليس جهادي في الوغي باللعب

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتي قتل جماعة ثم رجع الي إمرأته وأمّه ، وقال : يا أمّاه رضيت ؟

فقالت : ما رضيت ، حتي تقتل بين يدي الحسين عليه السلام(1) . . .

* * *

فهذا زهير بن القين حاله حال هؤلاء ، خرج يتلقّي الحسين عليه السلام وقد صرّح بذلك صاحب كتاب معجم ما استعجم ، كما سيأتي ..

1- سعادة الدارين فيما يتعلّق بالحسين عليه السلام : 141 وما بعدها .

تاسعاً : ما لبث أن جاء مستبشراً

لم نعثر علي أيّ نصّ يتحدّث عمّا دار بين الحسين عليه السلام وزهير بن القينحينما تشرف باللقاء الأول ، ويبدو من كلام زوجته الذي نقله الطبري

وغيره أنّ اللقاء لم يدم طويلاً لأ نّها تقول : فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه .

فتعبير « ما لبث » يفيد أ نّه سرعان ما عاد الي رحله ، وأصحر عن نيته وعزمه في نصرة ريحانة رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

بيد أنّ الشيخ باقر شريف القرشي – حفظه اللّه – قال في سياق نقل وقائع التحاق زهير بركب الشهادة :

« ماذا أسرّ اليه ريحانة رسول اللّه صلي الله عليه و آله حتي جعله يتغيّر ؟ هل وعده بمال أو مغنم ؟! ولو وعده بذلك لما طلّق زوجته ، ولا ودّع أصحابه الوداع الأخير ، لقد بشّره بالشهادة ، والفوز بالجنة ، وذكّره بحديث طالت الأيام فنساه ، وقد حدّث به أصحابه قائلاً : سأحدّثكم حديثاً : غزونا بلنجر(1) . . . » .

وليس ثمة مؤشر – مهما كان ضعيفاً – يؤكد ما نقله سماحته من تذكير

الإمام له بحديث بلنجر ، وإنما روي زهير « قصة بلنجر » لأصحابه ومرافقيه من تلقاء نفسه ، ربما ليبرر لهم التحاقه الفوري ، وسرعة إجابته لسيد الشهداء عليه السلام .

1– حياة الإمام الحسين عليه السلام : 3/73 .

بل إنّنا سنسـمع بعـد قليل ما قاله البكري الأندلسـي ممّا يفيد أنّ زهيراً لم ينس حديث بلنجر قط ، وإنما كان يعدّ الأيام والليالي لينال أمنيته فينصر سيد شباب آل محمد صلي الله عليه و آله .

ولكن إذا فهمنا من رواية إبراهيم بن سعد التي رواها الطبري الشيعي

في دلائل الإمامة أ نّه ينقل ما دار بينهما فيكون هذا هو النص الوحيد المتوفر بأيدينا الكاشف عن حديثهما .

روي الطبري الشيعي بالإسناد عن عمارة بن زيد قال : حدّثنا إبراهيم

بن سعد قال : أخبرني أ نّه كان مع زهير بن القين حين صحب الحسين عليه السلام فقال له : يا زهير ، إعلم أنّ ها هنا مشهدي ، ويحمل هذا من جسدي – يعني رأسه – زحر بن قيس ، فيدخل به علي يزيد يرجو نواله ، فلا يعطيه شيئاً(1) .

فإذا فهمنا من قوله : « كان مع زهير حين صـحب الحسـين عليه السـلام فقال له .. » أ نّه كان معه حينما مضي الي الحسين عليه السلام في اللقاء الأول فيكون نقلاً لما دار في ذلك اللقاء .

قال الشـيخ القرشي – حفظه اللّه – : وروي إبراهيم بن سعيد ، وكان قد صحب زهيراً حينما مضي الي الإمام الحسين عليه السلام قال له(2) . .

1- دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبري الشيعي : 182 ح 97 ، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني : 3/450 ح 969 . .
2- حياة الإمام الحسين عليه السلام : 3/74 .

ويفيد هذا الفهم مدي عظمة زهير وتحمّله وثباته ومعرفته بالحسين عليه السلام بحيث يكشف له الإمام منذ اللحظة الأولي كلّ ما سيجري مفصلاً حتي ماسيجري علي رأسه المقدس ، وخيبة حامله الملعون .

ولكن قد يقال : أنّه لم يقل : صحب زهيراً حينما مضي الي الحسين عليه السلام أو عندما التقي الحسين عليه السلام مثلاً ، وإنّما قال : « كان مع زهير حين صحب الحسين عليه السلام فقال له . . » ، وكلمة « حين » أعم دلالة من التعبير عن اللقاء الأول ، سيما إذا لاحظنا قوله عليه السلام : « إعلم أنّ ها هنا مشهدي » فإنّ فيه إشارة الي القريب « ها هنا » وهو كربلاء ، فربما كان الحديث في كربلاء أو علي مشارفها ، لا في زرود البعيدة عن المشهد وأرض المصرع .

فتكون « حين صحب » تعني خلال فترة مصاحبة زهير للإمام عليه السلام حتي لو كان ذلك في كربلاء أو علي مشارفها .

وكيف كان ، فإنّ الرواية تفيد قرب زهير من ريحانة الرسول صلي الله عليه و آله ، بمستوي يؤهله لسماع عظائم الأمور ، التي لا يحتويها صدر « عثماني » جديد عهد بالولاء .

« لقد كان زهير يحمل في قلبه إيماناً وثباتاً ، ووعياً مشرقاً ، فالتحق بموكب العترة الطاهرة ، وصار من أصلب المدافعين عنها ، ومن ألمع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ففداه بروحه ، واستشهد في سبيل قضيته العادلة التي تحمل هدي الإسلام ، ودوافع الإيمان(1) » .

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام : 3/74 .

عاشراً : زهير بن القين خرج يتلقّي الحسين عليه السلام

قال البكري الأندلسي « ت 487 هجرية » في كتابه معجم ما استعجمفي مادة « بلنجر » :

« بلنجر » بفتح أوله وثانيه ، وإسكان ثالثه ، بعده جيم مفتوحة ، وراء مهملة : مدينة ببلاد الروم ، شهد فتحها عدد من الصحابة .

قال زهير بن القين البجلي : غزوت بلنجر ، وشهدت فتحها ، فسمعت

سلمان الفارسي رحمه الله يقول : أفرحتم بفتح اللّه لكم ! فإذا أدركتم شباب آل محمد صلي الله عليه و آله ، فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معهم .

فلمّا سمع زهير بخروج الحسين بن علي عليهماالسلام تلقّاه ، فكان في جملته ، وقتل معه بكربلاء .

وكان الحسين عليه السلام يتمثّل في ذلك اليوم :

لعمرك ما بالموت عار علي الفتي

إذا ما نوي حقّاً وجاهد مسلما

فإن عاش لم يندم وإن مات لم يلم

كفي بك موتاً أن تذلّ وتظلما(1)

وهذا تصريح واضح وصريح يدلّ بوضوح أنّ زهيراً لم ينس في يوم ما بشري سلمان الفارسي ، ووعده لهم بنصرة شباب آل محمد صلي الله عليه و آله ، وأنّه هو الفوز العظيم الذي ينبغي أن يدخر له كلّ فرح وسرور وحبور .

وأنّ زهيراً خرج قاصداً عامداً ميمّماً وجهه نحو سيد الشهداء عليه السلام

مترقباً للساعة التي تجمعه بركب السعداء ، فأعرض عن الرخاء ،

1- معجم ما استعجم للبكري الأندلسي : 1/276 .

وتحمّل رمضاء الصحراء ، ليقع علي طريق ركب الشهادة ، فيدرك الفوز بالسعادة ، وينال شرف الدعوة الحسينية الكريمة التي توجهت له ليشاركهفي جهاده .

إنّها عبارة صريحة شفافة « فلمّا سمع زهير بخروج الحسين بن علي عليهماالسلام

تلقّاه ، فكان في جملته ، وقتل معه بكربلاء » .

فلمّا سمع زهير بخروج الحسين عليه السلام تلقّاه ، وهذا يعني أ نّه كان يتسقّط أخبار الحسين عليه السلاموينتظر

خروجه ، فلمّا سمع بخروجه خرج لاستقباله ، وجهّز نفسه لآخرته ، وهو يسمع سيد الشهداء عليه السلام يتمثّل بأبيات تكشف عن عزمه علي الشهادة .

هذا ، وقد رأينا جماعة من أصحاب الحسين عليه السلام خرجوا من الكوفة للفوز بلقاء الحسين عليه السلامونصرته

، وإفلاتاً من يد الطاغية الذي كان يسجن علي الظنة والتهمة في حبّ الحسين عليه السلام وقد عجّت السجون بالشيعة في ذلك اليوم ، وقتل منهم أعداداً هائلة .

الحادي عشر : ورد هذا الاتهام في حقّ غير زهير

دأب المؤرخ علي تشويه حركة الحسين عليه السلام

وتشويه صورة أصحابه ما استطاع الي ذلك سبيلاً ، ولم يكن زهير وحده الذي تعرّض لهذا الهجوم الشرس من قبل المؤرخ ، بل شمل الهجوم وجوهاً ناصعة أخري من قبيل الصحابي الجليل أنس بن الحارث الكاهلي .

والغريب أ نّنا لم نجد أحداً قبل من المؤرخ ما ذكره في حقّ هذا الصحابي الجليل ، فلماذا نقبل ذلك في زهير دون غيره ؟!قال البلاذري : « وكان أنس بن الحارث الكاهلي سمع مقالة الحسين عليه السلام

لابن الحرّ ، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم له ابن الحر ، فلمّا خرج - أي خرج الحسين عليه السلام

من فسطاط ابن الحر - من عند ابن الحر سلّم علي الحسين وقال له : واللّه ما أخرجني من الكوفة إلاّ ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك ! ولكن اللّه قذف في قلبي نصرتك ! وشجّعني علي المسير معك !

فقال له الحسين عليه السلام : فاخرج معنا راشداً محفوظاً(1) » .

ونحن هنا لا نريد مناقشة هذا الخبر بالتفصيل ، بيد أنّ ما ذكره البلاذري « لا يتلائم مع ما رواه جماعة من أهل السير عن هذا الصحابي الكبير ، أ نّه قال : سمعت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول : إنّ ابني هذا - يعني الحسين عليه السلام - يقتل بأرض كربلاء ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره !

قال : فخرج أنس بن الحارث الي كربلاء فقتل مع الحسين عليه السلام(2) !

1- كتاب البخاري : 4/220 ، السنن الكبري للبيهقي : 8/174 ، مسند أحمد : 4/265 ، تحفة الأحوذي للمباركفوري : 10/262 ، مسند ابن راهويه : 2/20 ، تاريخ خليفة بن خياط : 137 ، سير أعلام النبلاء للذهبي : 2/178 ، البداية والنهاية لابن كثير : 6/237 ، إمتاع الأسماع للمقريزي : 13/230 .

2- مع الركب الحسيني : 3/281 عن تاريخ ابن عساكر/ترجمة الإمام الحسين عليه السلام المحمودي : 347 رقم 283 ، وانظر أسد الغابة : 1/123 ، والإصابة: 1./68 ، وراجع ذخائر العقبي : 146 .

كما لا يتلائم ما ذكره البلاذري من أنّ مكان لقائه بالإمام عليه السلام في قصر بني مقاتل مع ما يوحيه ظاهر رواية ابن عساكر ، وما ذكره ابن حجر العسقلاني(1) من أنّه خرج الي كربلاء فقتل مع الحسين عليه السلام .وفي إبصار العين : أنّه كان جاء الي الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء ، والتقي معه ليلاً فيمن أدركته السعادة(2) . . .

وقد ذكر الشيخ باقر شريف القرشي أنّ الصحابي الجليل أنس بن الحارث الكاهلي قد لازم الإمام الحسين عليه السلام وصحبه من مكة(3) ، ولعل الشيخ القرشي عثر علي وثيقة تاريخية تقول بذلك ، أو لعل هذا من سهو قلمه الشريف ، لأنّ الذي عليه أهل السير أنّ أنس بن الحارث الكاهلي قد التحق بالإمام عليه السلام بعد خروجه من مكة – في العراق(4) – أو عند نزوله كربلاء »(5) .

1- انظر الإصابة : 1/68 رقم 266 .

2- انظر إبصار العين : 99 .

3- انظر حياة الإمام الحسين عليه السلام : 1/101 و3/432 .

4- أنظر إبصار العين : 99 .

5- مع الركب الحسيني : 3/281 – 282 .

ابن عمّه المستشهد معه

سلمان بن مضارب بن قيس الأنماري البجلي ، كان سلمان ابن عمّ زهير لحّاً ، فإنّ القين أخو مضارب ، وأبوهما قيس .

وكان سلمان حجّ! مع ابن عمّه سنة ستين ، ولمّا مال في الطريق مع الحسين وحمل ثقله إليه مال معه في مضربه .

قال صاحب الحدائق : إنّ سلمان قتل فيمن قتل بعد صلاة الظهر ،

فكأنّه قتل قبل زهير(1) .

وذكره شمس الدين في أنصار الحسين عليه السلام وقال : ذكره الخوارزمي ، وقال عنه: أ نّه ابن عم زهير بن القين ، وذكر أ نّه مال إلي معسكر الحسين عليه السلام مع ابن عمّه زهير قبيل الوصول إلي كربلاء(2) .

وذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث(3) . قال رحمه الله : سـلمان بن مضارب بن قيس ، ابن عم زهير بن القين ، عدّه بعضهم من المستشهدين مع زهير بن القين يوم الطف .

1- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام للسماوي : 169 .

2- أنصار الحسين عليه السلام لمحمد مهدي شمس الدين : 118 رقم10 .

3- معجم رجال الحديث : 9/193 رقم 5343 .

وذكره الشيخ النمازي في مستدركات علم رجال الحديث(1) .

وذكره السيد محسن الأمين في الأعيان(2) .

وقال أحمد حسين يعقوب : قال سلمان بن مضارب البجلي ابن عم زهير بن القين : ائذن لي بالخروج يا ابن رسول اللّه ، فأذن له الإمام فقاتل الجموع الزاحفة نحو الإمام حتي قتل(3) .

1- مستدركات علم رجال الحديث للنمازي : 4/105 رقم 6418 .

2- أعيان الشيعة للأمين : 7/288 رقم 972 .

3- كربلاء الثورة والمأساة لأحمد حسين يعقوب : 323 .

دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين

ورد اسمها في بعض المصادر « دلهم بنت عمرو(1) » ، وفي بعضها « ديلم بنت عمرو(2) .

ولم نجد في كتب الرجال والتاريخ لها أيّ ذكر إلاّ بعد أن جاء رسول الحسين يدعو زهيراً .

بيد أنّ موقفها الذي سجّله التاريخ بكلّ عزّ وافتخار جعلها في رتبة النساء المميزات ، وكشف عن عمق ولائها ، ومعرفتها بالحقّ ، وأدبها الرفيع في التعامل مع إمامها وزوجها .

روي الطبري عن أبي مخنف قال : فحدّثتني دلهم بنت عمرو ، امرأة

زهير بن القين ...

وروي السيد ابن طاووس قال : فقالت له زوجته ، وهي ديلم بنت عمرو : سبحان اللّه ، أيبعث إليك ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ثم لا تأتيه ، فلو أتيته ، فسمعت من كلامه .

1- تاريخ الطبري : 4/298 ، أبصار العين للسماوي : 162 ، أعيان الشيعة للأمين : 1/595 .

2- اللهوف لابن طاووس : 44 ، لواعج الأشجان للأمين : 82 ، بحار الأنوار : 44/371 ، مثير الأحزان لابن نما : 33 ، المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين : 220 .

فمضـي إليه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشـراً قد أشـرق وجهه ، فأمر بفسـطاطه وثقله ومتاعه ، فحوّل إلي الحسين عليه السلام وقال لامرأته : أنت طالق ، فإني لا أحبّ أن يصـيبك بسـببي إلاّ خير ، وقد عزمت علي صحبة الحسين عليه السلاملأفديه بنفسي ، وأقيه بروحي ، ثم أعطاها مالها ، وسلّمها إلي بعض بني عمّها ليوصلها إلي أهلها .

فقامت إليه ، وبكت وودعته ، وقالت : كان اللّه عوناً ومعيناً ، خار اللّه لك ، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام .

فقال لأصحابه : من أحبّ أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد مني به(1) .

* * *

وهذا المقطع التاريخي يتحدّث لنا عن موقف زوجة زهير بن القين ، هذه الأبية الصابرة ، والمؤمنة العارفة ، والمضحية الموالية الواعية .

وبالرغم من أنّ هذا النصّ التاريخي لا يتضمّن أكثر من موقف واحد

لا أكثر إلاّ أنّه يكشف عن صورة تكاد تكون شاملة تؤدي الي تفاصيل تستوعب حياة هذه الحرّة العظيمة .

عقلها ومعرفتها

يعرف عقل الإنسان ومعرفته في الهزاهز والمواقف الصعبة التي تحتاج

الي اتخاذ القرار في فترة وجيزة لتحديد المسار علي مفترق الطرق ، سيما إذا

1- اللهوف لابن طاووس : 44 ، بحار الأنوار : 44/372 ، لواعج الأشجان للأمين : 82 ، أعيان الشيعة للأمين : 1/595 .

كان الطريقان من الخطورة بمكان ، فإمّا الي الجنـة والسـعادة الأبدية ، وإمّا الي النار والشـقاوة السـرمدية ، فإذا اختار الطريق المفضـية الي الجنان فهو عاقل لأنّ العقل هو ما اكتسب به الجنان ، فيما روي عن الصادق(1) .

والأكثر من ذلك أن يكون الإنسان من الدقة ورهافة الحسّ ما يقدّر

به موقف الآخرين ، فيتصرف تصرفاً يرفع به الحرج عنهم .

فزوجة زهير أدركت بحسّها المرهف ، وشعورها اللطيف أنّ زهير وقع

في ورطـة بين أولئـك الرجـال الـذين كـانوا يحيطونه ، وكانوا علي الأغلب عثمانيـة ، كما نصّ علي ذلك بعض المؤرخين ، فتحرّكت بعقلها ومداراتها لتستوعب الموقف ، وتخرج زهيراً من حرجه بين القوم ، فانبرت تحرضه علي قبول دعوة ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، لتكون مشجعة له من جهة ، وتقدّم له مبرراً أمام القوم للاستجابة من جهة أخري .

وكان احتجاجها عليه احتجاجاً لا يقبل الردّ ، فليذهب ويسـتمع الي ابن رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، ثم ينصرف ، المهم أ نّها فرصة لا كباقي الفرص أن تأتي دعوة من سـيد شباب أهل الجنة ، فكيف تضيع الفرصة ، لأنّ الفرص تمرّ مرّ السحاب ، ولو أفلتت الفرص فقلّما تعود .

وهكـذا تخاطبه بصـيغة المتعجب الذي لا ينقضـي عجبه ، وتوحي له ولمرافقيه أنّ الموقف لا يحتاج الي تأمّل أو مداراة لأحد ، فإنّ الداعي ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله وهو من يتمني أيّ رجل أن تتوجه له دعوة منه ،

1- تفسير نور الثقلين للحويزي : 1/76 ح 180 .

فكيف يتردّد زهير أو غير زهير ، وكأنّها تقول له ولمرافقيه – وهم الأصل في خطابها – لا يمكن أن تتوقعوا من زهير أن يزهـد أو يتردّد في لقاء ريحانة رسول اللّه وسيد شباب أهل الجنة .

وبأسلوب التعجب وبالإحتجاج القوي الذي لا يحتمل الردّ وفّرت كلّ ما يحتاجه زهير من عذر أمام القوم في الإستجابة لدعوة الحسين عليه السلام .

وفي نفس الوقت أدّت دورها كشقّ آخر لزهير – الزوج – في شدّ عزمه ، ودفعه الي المسارعة والسـباق الي اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله ، والتنافس في

الخيرات والباقيات الصالحات .

وهكذا هي المرأة الصالحة التي يجعلها اللّه من عمّاله في الأرض ، يهمّها سـعادة زوجها ، وأن تراه في الموضع الذي يحبّه اللّه ورسوله وابن رسوله ، ولا تستسـلم لأنانيتها وخلودها الي الدعة والراحة ، فإذا ضمنت ما يرضيها لا تعير لما أصاب زوجها ، خيراً كان أو شرّاً ، سعيداً كان أو شقياً .

فقالت له زوجته : سبحان اللّه ، أيبعث إليك ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ثم لا تأتيه ؟! فلو أتيته ، فسمعت من كلامه .

إخبارها بالفراق والشهادة

ويبدو أنّ عقلها ورزانتها وكياسـتها وسـرعة بديهتها هي التي جعلت زهيراً يصارحها فوراً بما عزم عليه ، ويصـحر لها عمّا في نيته ، وقد أعلن لها ولغيرها قبل ذلك باستبشاره وإشراقة وجهه ، فقال لها دون أيّ مقدمات

إعتماداً علي معرفتها وقوة يقينها و إيمانها بعد أن جعلها في حلّ منه : وقد عزمت علي صحبة الحسين لأفديه بنفسي ، وأقيه بروحي .

فهو الفراق الذي لا لقاء بعده إلاّ في الجنة ، وهو إخبار عن فراق الزوج المحبوب الذي لا يريد أن يصيب زوجته بسببه إلاّ الخير ، وفي نفس الوقت إخبار لها بالشهادة ، وقد استوعبت الخبرين برحابة صدر ، وتسليم مطلق لزوجها و إمامها .

وداعها مع زوجها

يبدو أنّ زوجة زهير عاشت في ظلّ زوجها حياة سعيدة ، لوفور عقلها وعمق معرفتها من جهة ، ولأ نّها وزوجها متمسكان بحبل اللّه المتين ، ومتدينان بشريعة سيد المرسلين صلي الله عليه و آله ، وسائران علي منهاج سيد

الموحدين وأمير المؤمنين عليه السلام .

ويبدو أنّ العشرة بينهما قد طالت وامتدت الأيام المشتركة بينهما ، وقد طووا رحلة الحياة معاً تحت شعار زهير الذي أعلن عنه ساعة الإصحار بعزمه علي الشهادة « لا أريد أن يصيبك بسببي إلاّ الخير ».

هذا هو الإساس المتين في العلاقة بين الزوجين ، أنّ الزوج لا يريد لزوجه الا الخير.

وفي هذا الشعار إشارة الي أنّ زوجة زهير كانت تعيش في ظلّ رجل لم تر منه الا الخير ، أو أ نّه كان ينوي ذلك لها في كلّ تصرفاته معها ، فهو ينوي لها الخير دائماً وأبداً.

وما سـجّله لنا التاريخ مهما كان سـريعاً وخاطفاً ومقتضباً إلاّ أ نّه يكشف لنا عن عمق التسليم ، وشدّة الوقار والإتزان ، وقوة اليقين ، والضبط الحازم للعواطف التي إمتازت به هذه الحرّة المضحية.

فـالوداع والفراق بين زوجين حبيبين ثقيل عسـير ، تلتهب فيه العواطف ، وتتكسـر فيه الجمل والعبارات ، وتموت فيه الكلمات ، وتختفي فيه كلّ تفاصـيل الحياة وراء هواجس البعاد ، هذا لو كان الفراق والوداع لسفر ينتظر بعده اللقاء القريب ، فماذا لو كان الوداع لفراق لا لقاء بعده إلاّ في الآخرة ؟

ولكنّها « قامت اليه » وانتصبت أمامه ، واستعدت له استعداد المتجلّد

الصابر ، و« بكت » و« ودعته » .

وكيف لا تبكي وهي تودع زهيراً الزوج الصابر الحنون الذي تراه

ببصـيرتها ويقينها بكلام إمامها – بعـد أيام قليلـة – صـريعاً علي الرمضاء ، مضـرجاً بالـدماء ، مقطعاً إرباً إرباً بسـيوف الأعـداء ، وهي تحثّه بشـجاعة المؤمن المحتسب ليقدّم روحه وجسمه وكلّ دنياه لدينه وإمامه فداء ، فما هي إلاّ أيام تعدّ ساعتها في فترة وجيزة وبرهة سريعة حتي يتقطع هذا البطل الضرغام أشلاء ، وترمله الدماء ، ويفصل بين رأسه وجسده ، ويرفع رأسه علي السنان ، ويشهر به في البلدان.

بكت علي زهير بن القين الزوج الذي سينصر الحسين عليه السلام فهي تبكي لزوجها وتبكي لصاحب ميمنة سلطان المظلومين . . .

ص: 222

كلمات الوداع

إنّ بكاءها وتلاطم المشاعر والأحاسيس ، وزحمة العواطف ساعة الوداع لم يمنعها من تقوية عزمه ، وتشجيعه وحثّه ، والربط علي قلبه ، وشدّ أزره ، والدعاء له ، وإغتنام الفرصة لتسجيل موقف عند رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فقالت له : كان اللّه عوناً ومعيناً ، خار اللّه لك ، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام .

وقد ذكرت في كلمات الوداع ثلاث فقرات:

الفقرة الأولي: كان اللّه عوناً ومعيناً

إنّ زهير بن القين مقدم علي أمر ليس باليسير ، عليه أن يشقّ أمواج الفتن بسفن النجاة ، فهو يريد أن يواجه الدنيا بأسرها ، يقارع عساكر الدنيا والنفس ، وينصر اللّه ورسوله وإمام زمانه المفترض عليه طاعته في معركة يتمني فيها زهير الموت ألف مرّة علي أن لا يصيب الحسين وفتيته أذي ، ويقاتل جيوش الكفر وعساكر الظلام والضلال ، وقد إجتمع الناس كلّهم علي الحسين عليه السلامورجاله .

وقد تظاهر الأعداء وتكردسوا في قطعات عسكرية انتشر خبرها في أرجاء الصحراء ، وصارت تنحدر كالسيل الي أرض كربلاء ، لتقاتل عدداً محدوداً من رجال الحقّ الأوفياء .

فالعدو كثير العدد ، قوي العدّة ، شرس الطبع ، وحشي السيرة ، لا يعرف القيم والأخلاق ، ممسوخ لا يذكر شيئاً من الإنسانية ، ولا يألف الرحمة والرأفة والآداب .

والأهم أن يعرف الإنسان موطأ قـدمه علي أرض الإيمان ونصـرة ولي الرحمن ، فيقف عليها ثابتاً راسخ القدم لا تزلزله العواصف والعواطف وتقلّب المواقف ، فيبقي علي يقين واستقامة في صف الإيمان لئلا يحدث ثغرة في بنيان الحقّ المرصوص .

وهذا كلّه لا يكون إلاّ بعون اللّه والإسـتعانة به ، ومن أعانه اللّه وكان عونه ومعينه لا يخشـي بعده أحداً أبداً ، ولو اجتمع عليه الثقلان ، بل كلّ مخلوقات القوي المنان .

ولهذا دعت له فقالت : كان اللّه عوناً ومعيناً ، شـحذت له همته ، وشدّت علي عضده ، وحرضـته علي الإقدام في نصر الحسين عليه السلام فإنّ قلبه وعضده

مسددة بعون اللّه وإعانته .

الفقرة الثانية: خار اللّه لك

الإستخارة في معناها اللغوي : طلب الخير من اللّه سبحانه ، وهي أدب شرعي ، لا يستغني عنها المؤمن في كلّ صغيرة أو كبيرة من تفاصيل حياته ، وقد ورد الحث عليها في روايات أهل البيت عليهم السلامكثيراً(1) .

ومن هذا الدعاء نسـتكشف فقاهة هذه المرأة الصالحة ، وتأدبها بالأدب الشـرعي ، حيث تدعو لزوجها بالخيرة من اللّه ، وتلتزم بالإسـتخارة في أدق وأهم موقف في حياتها وحياة زوجها.

1- راجع كتاب الإستخارة للسيد ابن طاووس رحمه الله .

وربما كان قولها: « خار اللّه لك » ، إخباراً وليس إنشاءاً ، بمعني أ نّها تخبره أنّ اللّه قد خصّك بالخير كلّه ، ووفقك للحاق بركب الشهادة بين يدي سيد الشهداء الحسين عليه السلام .

فتكون حينئذٍ قد عبّرت عن مدي نفاذ بصيرتها ، وقوة معرفتها ويقينها وولائها من خلال تمييزها الدقيق بين خطي الضلال والهدي ، ومعرفتها أنّ نصر ريحانة رسول اللّه صلي الله عليه و آله هو الخير الذي أراده اللّه لعباده الصالحين ، وأوليائه الصابرين .

الفقرة الثالثة : أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام

رجاء أخير تتمنّاه زوجة محبوبة مواتية معينة لزوجها علي أمر دنياه وآخرته من زوج وفي لا يريد لزوجته أن يصلها منه إلاّ الخير . .

لقد وظفت دلهم المرأة الصابرة الموقف أفضل توظيف ، وحشّدت العواطف والعقل معاً في ظلّ ظروف خاصة لا تنسي ولا تردّ فيها حاجة ، وتقدّمت لزوجها في آخر ساعات عمرها المبارك معه برجاء تتمني فيه علي زوجها البرّ أن يحققه لها في آخر لقاء بينهما ، فاستخدمت لفظ « السؤال » ، لتعبّر له عن حاجة في نفسها ، فهي ليست أمنية محضة ، وإنما هي حاجة أيضاً .

ومن البديهي أنّ الموقف بظروفه وأجوائه لا يترك لأيّ زوج أن يخيب أمل زوجته فيه ، فكيف إذا كان المرجو زهير ، والراجي دلهم .

الرجاء العظيم

لا يخفي أنّ رجاءها الأخير ، ورجاء دلهم الأخير من زوجها يشير الي عظمة قدرها ، وعلو مقامها ، وسمو نفسها ، فإنّها لا تنسي في آخر لحظات عمرها مع زهير أن تذكر عنده أ نّها قد ضحت كما سيضحي زهير ، وتقول له: اذكرني عند رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، أي قل له ، واسرد عليه قصّتي ، وموقفي معك ، ونصرتي لولده وريحانته عليه السلام .

فهي وإن لم تقاتل بالسيف والسنان ، ولم تدافع عن فلذة كبد النبي صلي الله عليه و آله

بيدها في الميدان إلاّ أ نّها شاركت بما يناسبها في نصرة أولياء الرحمن .

وما أحلي ما تقربت به الي الرسول صلي الله عليه و آله ، فهي تخاطبه ب« جدّ الحسين عليه السلام » وتقول: اذكرني عند جدّ الحسين عليه السلام فالحسين عليه السلام هو سبط النبي صلي الله عليه و آله الذي تقرّبت به اليه .

لماذا الطلاق ؟

إذا كان زهير يريد الإلتحاق بركب الشهادة ، وقد عزم علي الموت بين يدي الحسين عليه السلام ونوي أن يردّ زوجه الي أهلها ، فلماذا طلّقها ، وهل كان ثمة فرق بين أن يطلّقها أو أن يفارقها بالموت بعد أيام ، وتبقي في عهدته ؟

الجواب الأول :

يبدو لأول وهلة أنّ زهير بن القين قد أجاب بنفسه عن هذا السؤال ، حيث قال لها : أنت طالق ، فإني لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلا خير ، وقد عزمت علي صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي ، وأقيه بروحي .

فهو قد ذكر لها سبب الطلاق بعد أن أصحر لها عن عزمه علي الموت بين يدي الحسين عليه السلام وقال أ نّه لا يريد أن يصيبها بسببه الخير .

وهذا يعني أ نّه كان عالماً متيقناً أنّ المنية تسرع اليه وتنتظره في كربلاء ، ويعلم أنّ أهل بيت الحسين عليه السلام يسيرون الي السبي والسلب والنهب بعد شهادة الأولياء والحماة ، فهو لا يريد أن يعرضها لهذا السبي ، ويكون هو السبب في مجيئها الي كربلاء .

الجواب الثاني :

ربما كان بقاوا في حبال الزوجية يغري بها الأعداء ما كانت منتسبة الي أحد أبرز أصحاب الحسين عليه السلام وصاحب ميمنته ، فيضيق عليها ابن زياد وجلاوزته ، ويؤذونها بعد شهادته ، فإذا طلّقها خرجت من حبالته ولم يعد لأعداء اللّه سبيل يحتجون عليها به ، ولعل قوله فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلاّ خير ، إشارة الي ذلك .

الجواب الثالث :

ربما كان زهير لم يعقب – وهو إحتمال بعيد – ويشهد لذلك أنّ المؤرخين

والنسابة لم يذكروا له عقباً ، ولو كان لبان ، ولذكر لأولاده موقف في ساعة اللقاء أو في اللحاق به في كربلاء ، أو بعد الشهادة ، أو ما شابه ذلك .

ويشهد له أيضاً أ نّه سلّمها إلي بعض بني عمّها ، ولم يسلّمها الي أولادها ، ولو كانوا لسلّمها اليهم ولم يسلّمها الي بني عمّها .

ويشهد له أيضاً أ نّه طلب من ابن عمّه أن « يوصلها إلي أهلها » ، ولم يذكر تسليمها الي ولدها مثلاً .

وفي عبارة ابن طاووس أنّه « أعطاها مالها » ، إشارة الي أنّه دفع لها ما تستحقه من صداق أو تركة، لئلا تتورط فيما بعد مع الورثة من أقربائه ، حيث سترث مع الطبقـة الثانيـة أو الثالثـة ، وهـم الأخوة والأعمام والأخوال ، ومن بعدهـم من رتب الطبقات، هذا كلّه علي فرض عدم وجود الأولاد والأبوين.

الجواب الرابع :

كان الطلاق علامة العزم علي الموت ، وكناية عن الرحيل الي الآخرة

وعدم الرجوع الي الحياة الدنيا وزهرتها من الأموال والأزواج والأولاد ، فربما طلّقها للإعلان عن عزمه .

وربما كان لفظ الطلاق ليس المراد به المعني الإصـطلاحي الشـرعي الـذي تترتب عليه الآثار الشـرعية ، وإنما هو اسـتعمال مجازي يراد به الكناية عمّا مرّ ذكره ، تماماً كما فعل حبيب ليلة العاشـر عندما اسـتخبر نيات أصحابه ، فقال لهم : لـم طلّقتم حلائلكم ؟ فقالوا : أتينا لننصر غريب فاطمة(1) .

وبأيّ معني كان الطلاق لـم يكن زهير وحده قد أقدم عليه ، بل لقد فعل زهير ما فعله أصـحاب الحسين عليه السلام جميعاً بناءاً علي ما ذكره المازندراني من سؤال حبيب .

هل التقت دلهم الحسين عليه السلام ؟

لـم نجد أيّ نصّ ولا أيّ مؤشر أو تلويح في التاريخ يدلّ علي أن دلهم زوجة زهير بن القين قد التقت الحسين عليه السلام أو أهل بيته .

1- معالي السبطين للحائري : 1/340 ، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : 496 .

بيـد أ نّنـا نحسب إستئناسـاً وتخمينـاً لا دليل لنا عليه إلاّ ما سـنذكره من الإحتمال والتوقّع من خلال معرفتنا القاصـرة بها وبزوجها ، وبأدب الشيعي والموالي وذوقه في التعامل مع إمامه وأهل بيت نبيه عليهم السلاموتلهّفه لروته وزيارته.

فربما قيل: إنّ من البعيـد جـدّاً أن تكون زوجـة زهير قـد أمكنتها الفرصـة من لقاء إمامها وسـيدتها زينب بنت أمير المؤمنين وعقائل الوحي عليهم السـلام وهي تعلم أ نّهم يسـيرون والمنايا تسـرع اليهم ، وأ نّها سوف لا تري وجه الحسين عليه السلام بعد ذلك اليوم ، ثم لا تذهب للقائهم ، وقـد جمعتهم الصـحراء في موضع واحـد ، وتقاربت أبنيتهم ، وقدّمت دلهم حياة زوجها هدية للحسـين عليه السـلام وهي تتمني علي زوجها أن يذكرها عند جدّ الحسـين عليه السـلام ثم لا تتشـرف بروة الحسين عليه السلام وشريكته زينب عليهاالسلام وهي معهم في موضع واحد !!

امرأة زهير تكفن الحسين عليه السلام وزوجها

قال ابن سـعد صاحب الطبقات الكبري: وكان زهير بن القين قـد قتل مع الحسـين عليه السـلام ، فقالت امرأته لغلام له يقال له « شـجرة » : انطلق فكفن مولاك .

قال : فجئت فرأيت حسـينا عليه السـلام ملقي ، فقلت : أكفن مولاي وأدع حسـيناً ! فكفنت حسـيناً ، ثم رجعت ، فقلت ذلك لها ، فقالت : أحسنت ، وأعطتني كفناً آخر ، وقالت : انطلق فكفن مولاك ، ففعلت(1) .

1- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد : 81 .

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : وقالت امرأة – زهير –

لغلام له : اذهب فكفن مولاك ، فذهب فرأي الحسين عليه السلاممجرداً ! فقال :

أكفن مولاي وأدع الحسين! لا واللّه ، فكفنه ، ثم كفن مولاه في كفن آخر(1) .

وقال الشـيخ عباس القمي رحمه الله بعد أن ذكر قصة التحاق زهير بركب الحسين عليه السلام ويأتي بعد ذلك أنّ زهيراً لمّا قتل مع الحسين عليه السلام بعثت زوجته غلاماً له ليذهب الي كربلاء ويكفن مولاه ، ثم ذكر كلام سبط ابن الجوزي في التذكرة(2) . . .

وقيل تعليقاً علي هذا الخبر : أ نّه قد ثبت في محلّه أ نّه لا يلي أمر المعصوم إلاّ المعصوم ، وأنّ الإمام لا يغسله إلاّ الإمام ، ولو قبض إمام في المشرق وكان وصيه في المغرب لجمع اللّه بينهما .

ونحن لا نريـد – هنا – نفي الخبر أو إثباته إلاّ أنّ هـذا الكلام يبـدو أ نّه في غير محلّه ، لأنّ هذا الغلام لم يتولّ أمر الإمام الشـهيد ، وغاية ما فعله أ نّه رأي قرّة عين الرسول عارياً علي الرمضاء ، تسـفي عليه الريح ، فلم تطاوعه نفسه أن يترك الحسين عليه السلام بهذه الصورة المفجعة ، فألقي عليه الكفن ، أمّا الذي تولي تجهيز الحسين عليه السلام فهو ولده المكروب المغموم صاحب الدمعة الساكبة زين العابدين وقرّة عين الناظرين عليه أفضل صلوات ربّ العالمين .

1– تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : 230 .

2– نفس المهموم : 164 .

زيارة زهير بن القين

اشارة

ورد في زيارة زهير نمطان من الزيارة :

النمط الأول : الزيارة الخاصة

وهي وإن كانت زيارة تضـمّنت أسـماء أكثر الشـهداء ، وذكر فيها زهير ضمن السياق العام ، إلاّ أ نّه حاز شرفاً عظيماً ، ومقاماً منيفاً ، ودرجة سامية لا ينالها إلاّ من كان مثله ، فاستحقّ أن ينصّ عليه الآخذ بثأره باسمه .

وحسب تفحّصنا للمصادر لم يرد ذلك إلاّ في النص الوارد عن الإمام صاحب العصر – عجّل اللّه تعالي فرجه – ، وفي ذلك مزية فوق مزية ، وإشارات مهمة وسنية .

تسليم الحجة عليه السلام عليه فقد نال شرف الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام وزاد شرفه ذاك شرفاً

تسليم الحجة المنتقم عليه في الناحية والرجبية ، وقد ذكره عليه السلامبتكريم خاص ، واهتم بموقفه اهتماماً بالغاً ، فنقل عنه مقالته للحسين عليه السلام .

قال عليه السلام كما في المزار لابن المشهدي ، وإقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ، وبحار الأنوار للمجلسي ، والعوالم للشيخ البحراني :

السلام علي زهير بن القين البجلي ، القائل للحسين وقد اذن له في الانصراف : لا واللّه لا يكون ذلك أبداً ، أترك ابن رسول اللّه أسيراً في يد الأعداء وانجو ، لا أراني اللّه ذلك اليوم(1) .

وفي هذا شهادة وتأكيد من الإمام المعصوم عليه السلام علي صدق نية المجاهد

المضحي ، فقد قال زهير ذلك ، وأكدّ قوله باليمين ، ثم أثبته بالفعل والعمل ، ثم أمضاه له سيد الشهداء الحسين عليه السلام وأمضاه له الإمام الحجة المنتظر عليه السلام .

في المزار للشهيد الأول ، وإقبال الأعمال للسيد ابن طاووس ، وبحار الأنوار للمجلسي :

السلام علي حر بن يزيد الرياحي ، السلام علي زهير بن القين ، السلام علي حبيب(2) .

وربما كان في إفراده بالزيارة من قبل ولي الأمر وصاحب الزمان دلالات

وإشارات منها :

1- المزار لمحمد بن المشهدي : 493 ، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس : 3/77 ، بحار الأنوار : 45/71 ، و98/272 ، العوالم ، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني : 338 .
2- المزار للشهيد الأول : 151 ، إقبال الأعمال : 3/344 ، بحار الأنوار : 98/340 .

أولاً: إختصاص زهير بالإكرام

إكرامه إكراماً خاصاً ، وتشريفه بالنصّ عليه والإشارة الي اسمه

الكريم ، لأنّ تنصيص الإمام علي شخص بعينه له من الآثار والتعظيم والتكريم ما يعرفه أهله .

ثانياً: الثأر لدم زهير

إنّ الـذي ذكره بالاسم ، ونصّ عليه خاصـة هو الإمام المنتقم له ، الآخـذ بثأره ، فهو إمامه وقد قدّر له موقفه من جدّه يوم قال قولته ، فهو الآن يردّد اسـمه ، ويسـلّم عليه ، لنعلم أنّ الثأر لدمه الزاكي سوف لا يطول به الإنتظار ، وأ نّه سـينتقم له يوم يسلّ سيفه من غمده ، ويأذن له ربّه ، فزهير ينتظر – كما ننتظر – أن تنتهي هذه السنين الحرم العجاف !!

ثالثاً: ليلة العاشر كانت مركز الإبتلاء

لم يكن السـلام علي زهير مجرداً ، وإنما كان مصحوباً – حسب النصّ الأول – بقولته الخالدة التي تتفجر ولاءاً وثباتاً ، وقد اختارها المولي من بين كلّ مواقف زهير ، وبياناته ومحاوراته وخطاباته التي توجه بها للناس عامة ولأصحاب الحسين عليه السلام خاصة ، بل لسيد الشهداء عليه السلام

أيضاً .

وربما كان التركيز علي هـذا الموقف باعتبار أنّ ليلـة العاشـر – ظرف الكلام – كانت هي مركز الثقل في الابتلاء والامتحان الإلهي ، لأنّ ما قبل ليلة العاشر كان زمناً فيه متسع لمن أراد الفرار ، وقد فرّ القوم

وخذلوا قرّة عين الرسول صـلي الله عليه و آله ، قال الشيخ المفيد في الإرشاد : « ثم ارتحلوا ، فسار حتي انتهي إلي زبالة ، فأتاه خبر عبد اللّه بن يقطر ، فأخرج إلي الناس كتاباً فقرأه عليهم:

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، أمّا بعد : فإنّه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد اللّه بن يقطر ، وقد خذلنا شيعتنا ، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف غير حرج ليس عليه ذمام . فتفرّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً(1) .

وما بعـد تلك الليلة كان نتيجة الامتحان ، وآثار النجاح في الاختبار ، وقد كشف لهم سـيد الشـهداء عليه السـلام عن مواقعهم في الجنان ، وبـذلك دخلوا عالم الروح والريحان ، والحور والولـدان ، ومجاورة النبي في عدن الرضوان ، روي الشـيخ الصدوق في علل الشـرائع عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم علي الموت ؟

فقال : إنهم كشف لهم الغطاء حتي رأوا منازلهم من الجنة ، فكان

الرجل منهم يقدم علي القتل ليبادر إلي حوراء يعانقها ، وإلي مكانه من الجنة(2) .

فصور التضحية والفداء التي رسمها زهير واخوانه يوم الطف إن هي

1- الإرشاد: 2/75 ، روضة الواعظين: 1/179 .

2- علل الشرائع : 1/229 باب 163 ح1 ، بحار الأنوار: 44/297 باب 35 .

إلاّ بناء ارتكز علي ما أسسوه من ثبات ليلة العاشر ، حينما أعلنوا

عن مواقفهم ، وأصحروا عن نياتهم .

فذكر المولي عليه السلام لموقفه ليلة العاشر كان عبارة عن تلخيص لمسيرته الوضاءة المعطاء ، تكشف عن الثبات ما قبلها ، والعطاء فيما بعدها .

رابعاً: شكر الموقف

قال في شرح الشافية : ثم برز جابر بن عروة الغفاري ، وكان شيخاً

كبيراً ، وقد شهد مع رسول اللّه صلي الله عليه و آله بدراً وحنيناً ، فجعل يشدّ وسطه بعمامته ، ثم شدّ حاجبيه بعصابة حتي رفعهما عن عينيه ، والحسين عليه السلام ينظر اليه ويقول: شكر اللّه تعالي سعيك يا شيخ ، فحمل(1) . . .

وقد جزّي سيد الشهداء في أكثر من موقف أصحابه خيراً ، وشكر لهم

صنيعهم بالرغم من أ نّهم يؤدون واجبهم ، وينجزون تكليفهم ،أنّ أبا الأئمة وأولاده الطيبين الأوفياء يظهرون بأفعالهم وأقوالهم أسماء اللّه وصفاته وجماله وجلاله ، فهم رحمة اللّه الواسعة ، ورضاهم رضا اللّه ، وإرادتهم إرادة اللّه ، واللّه هو الغني الشكور .

فربما كان التركيز علي هذا الموقف الزهيري الزاهر بالخصوص من قبل ولي الأمر بمثابة قول سيد الشهداء عليه السلام وجدّ الحجة المنتظر لعروة: « شكر اللّه سعيك » ، ليكون صورة من صور الإشادة بالموقف والثناء عليه ،

1- شرح الشافية: 262 ، فرسان الهيجاء ترجمة السيد محمد شعاع فاخر: 1/78 ، تذكرة الشهداء: 181 ، مقتل أبي مخنف: 115 .

والشكر له ، وكأنّ المولي جزّاه علي ذلك خيراً من خلال إبرازه كموقف

مشكور محمود .

خامساً: خصوصية الموقف ليلة العاشر

وربما كان إستحقاق هذا الشكر والثناء من ولي دم سيد الشهداء عليهماالسلام

لأنّ الموقف في تلك الليلة العسيرة المكفهرة العصيبة كان يختلف تماماً عن أيّ موقف آخر ، حتي عن الموقف يوم العاشر ، حيث أدخل فيه السرور علي قلب سلطان المكروبين ، وزين الغرباء الحسين عليه السلامومواساه حين خذله المنكوبون المنكوسون ، في يوم كان فيه الحسين عليه السلاممستوحشاً

إلي الرجال علي حدّ تعبير الطرماح(1) فيما كانت بنات رسول ربّ العالمين يتوجسن ويراقبن مواقف الأصحاب وأهل البيت المظلومين ، ويترقبن ما تحمل لهم تلك الليلة في أحشائها من ألم وسبي ومصيبة وفقد أحبّة وأنين .

لم يكن الموقف يشبه غيره من المواقف ، ولهذا انبري ليلتها العباس بن أمير المؤمنين عليهماالسلام للإعلان عمّا في نيته ونية أهل البيت ، وانبري الأصحاب يعبّرون عمّا في ضمائرهم ، وحرم اللّه ورسوله يسمعن ، فتطمئن قلوبهن إلي ما يسمعن من ثبات حماتهن .

فكلام زهير في تلك الليلة العصيبة المتجهّمة كان تفريجاً ومواساة لسيد الشهداء ولبنات رسول ربّ السماء صلي الله عليه و آله .

1- تاريخ الطبري : 4/307 .

النمط الثاني : الزيارة العامة

وردت نصوص مقدّسة كثيرة في زيارة أنصار سيد الشهداء عليه السلام فهي وإن لم تذكر زهير بن القين علي نحو الخصوص ، ولم تنصّ علي اسمه كما سمعنا في النمط الأول ، إلاّ أنّها تخاطب الأنصار المستشهدين بين يدي ريحانة رسول اللّه ، وعبرة أنبياء اللّه ، ككائن موحد ، وهالة واحدة محيطة بمركز النور.. تخاطبهم بخطاب واحد ضمن دائرة واحدة وهي نصرة الغريب العطشان ، وتلغي الخصوصيات باعتبارهم شعاعا لنور واحد.

تقرأ ضمير الجمع في نصّ الزيارة ، ولكنّه ضمير يتوزع علي كلّ فرد فرد منهم ، ويشملهم نوراً نوراً ، فهو كلّي ينطبق علي أفراده بالتواطيء ، وكلّ واحد منهم مفردة يتوجه له الخطاب ، وينطبق عليه الوصف أو المدح الوارد علي حدة .

فالزيارة عامة لكلّ الشهداء بيد أ نّها تشمل زهيرا ، كما تشمل حبيبا ، وتشمل جونا ، وتشمل بريرا ، وهكذا تشمل كلّ المستشهدين بين يدي سيد الشهداء عليه السلام .

ولا نريد هنا دراسة نصوص الزيارات المقدسة جميعاً ، وإنّما نحاول أن نطبق النصوص علي زهير بن القين باعتباره فرداً داخلاً تحت ضمير الجمع والخطاب الوارد علي لسان المعصوم عليه السلام في زيارة واحدة .

ص: 237

النص الأول

في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ثم توجه إلي الشهداء ، وقل :

السلام عليكم يا أولياء اللّه وأحباءه .

السلام عليكم يا أصفياء اللّه وأوداءه .

السلام عليكم يا أنصار دين اللّه .

السلام عليكم يا أنصار رسول اللّه .

السلام عليكم يا أنصار أمير المؤمنين .

السلام عليكم يا أنصار فاطمة سيدة نساء العالمين .

السلام عليكم يا أنصار أبي محمد الحسن بن علي الولي الناصح .

السلام عليكم يا أنصار أبي عبد اللّه .

بأبي أنتم وأمّي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم ، وفزتم فوزاً

عظيماً ، فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم(1) .

* * *

يمكن الإشارة هنا الي عدّة نكات جديرة بالإلتفات:

النكتة الأولي :

إنّ الضمير الموظف في تعبير المعصوم هو ضمير الخطاب ، وهي إشارة

الي أنّك تقوم بين يدي من يسمعك مباشرة ، فأنت تخاطبه خطاباً وهو ليس وجوداً غائباً عنك ، بل هو حي حاضر .

1- مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : 722 ، المزار لمحمد بن المشهدي : 464 .

قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله يوم وقف علي شهداء أحد وقد التفت إلي الناس : أيّها الناس ، ائتوهم فزوروهم ، وسلّموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلّم عليهم أحد إلي يوم القيامة إلاّ ردّوا عليه السلام(1) .

النكتة الثانية:

إنّ السلام وضمير الخطاب يتكرر في كلّ فقرة ، تشهد فيها للمزور

بنصرته للّه ولرسوله ولأمير المؤمنين ولفاطمة وللحسن والحسين وفي ذلك إشارة الي أنّك تسلّم عليه باعتبار كلّ مفردة من مفردات النصرة ، لتؤكد علي أنّ نصرته لسيد الشهداء كانت نصرة لكلّ واحد من أصحاب الكساء لا علي نحو التضمن .

أي أنّك تخاطبه فتقول له: إنّك نصرت رسول اللّه ، ونصرت أمير

المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لا أنّك نصرت الحسين

عليه السلامفكأنّك نصرت أولئك ، وإنّما أنت نصرتهم بالفعل .

فنصرته لرسول اللّه صلي الله عليه و آله غير نصرته للحسين عليه السلام ونصرته لأمير المؤمنين عليه السلامغير نصرته للحسين عليه السلام وهكذا ، فهو نصر كلّ نور نور من أنوارهم المقدسة ، ولكنّها وقعت جميعاً في طف كربلاء بين يدي الحسين سيد الشهداء عليه السلام .

النكتة الثالثة :

إنّ المعصوم يخاطبه قائلاً : « بأبي أنتم وأمّي » ، وفي هذا ما لا يخفي

1- أسد الغابة: 4/183 .

علي الزائر المؤمن الذي يعرف المعصوم ، ويعرف أباه وأمّه ، فإذا كانوا

بأب المعصوم وأمّه فما قيمة أباء الزائرين وأمهاتهم ؟!

إلا أن يقال في الزيارات التي يعلّمها المعصوم للمؤمن فيقول أولها مثلاً : « إذا أردت الزيارة فقل » ، فإنّه عليه السلام حينئذٍ يكون في مقام التعليم فلا يشمله الخطاب ، فربما علّمنا المعصوم كيف نزور ، أمّا المعصوم بنفسه فقد يخاطبهم بخطاب آخر .

ومن البديهي أنّ كلّ زائر يزورهم سيخاطبهم بهذا الخطاب ، وهذا

يعني أنّ أباء الناس جميعاً وأمهاتهم جميعاً فداء لتراب أقدام هؤلاء الشهداء الأبرار .

النكتة الرابعة:

يشهد لهم المعصوم بالفوز العظيم ، ويتمني أن يكون معهم !! فيالها من منزلة ، وياله من إكرام .

النكتة الخامسة:

علمنا من فقرات الزيارة المباركة أنّ ثمة أوسمة وصفات نالها زهير بالإضافة الي ما مرّ معنا من مضامين النكات الأربعة الآنفة ، منها:

أولاً : إنّه ولي اللّه وحبيبه.

ثانياً : إنّه صفي اللّه وممّن ودّهم اللّه.

ثالثاً : إنّه ناصر دين اللّه.

رابعاً : إنّه ناصر رسول اللّه.

خامساً : إنّه ناصر أمير المؤمنين.

سادساً : إنّه ناصر فاطمة سيدة نساء العالمين.

سابعاً : إنّه ناصر الحسن الزكي الأمين.

ثامناً : إنّه ناصر الحسين سيد الشهداء من الأولين والآخرين.

تاسعاً : إنّه طيب مدفون في أرض طيبة ، أو أ نّه سبب لطيبة الأرض

التي دفن فيها.

عاشراً : إنّه قد فاز فوزاً عظيماً ...

الحادي عشر : إنّه مشمول بقول المعصوم: « بأبي أنتم وأمي ».

الثاني عشر : إنّه مشمول بقول المعصوم: « فيا ليتني كنت معكم ».

النص الثاني

في كامل الزيارات لابن قولويه: ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومي إليهم أجمعين وتقول : السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ، السلام عليكم يا أهل القبور من أهل ديار المؤمنين ، السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار(1)

1- الآية الكريمة من آيات سورة الرعد ، ولو تدبر فيها المتدبر ضن سياق السورة لاكتشف ارتباطاً وثيقاً بين السورة ككل وبين الحسين عليه السلام ودعوته وأصحابه الذين نصروه وأعدائه الذين خذلوه وقتلوه ، وكأنّ السورة من فاتحتها الي خاتمتها تتكلّم عن الحسين ودعوته ، وأصحابه وأعدائه ، ولنستمع الي بعض ما سبقها وما جاء بعدها من الآيات: لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَي الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَما هُوَ بِبالِغِهِ وَما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ . وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمي وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْواحِدُ الْقَهَّارُ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْني وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسابِ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمي إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحِسابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولئِكَ لَهُمْ عُقْبَي الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ

عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَي الدَّارِ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَياةِ الدُّنْيا وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتاعٌ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ طُوبي لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ .

السلام علیکم یا انصار الله و انصار رسوله ، و انصار امیرالمومنین و انصار ابن رسوله و انصار دینه

ص: 242

أشـهد أنّكم أنصـار اللّه كمـا قـال اللّه عز وجـل : « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا » ، فما ضـعفتم وما اسـتكنتم حتي لقيتم اللّه علي سبيل الحق ، صـلّي اللّه عليكم وعلي أرواحكم وأجسادكم ، أبشروا بموعد اللّه الـذي لا خلف له ولا تبديل ، إنّ اللّه لا يخلف وعده ، واللّه مدرك بكم ثار ما وعدكم .أنتم خاصة اللّه ، اختصـكم اللّه لأبي عبد اللّه – عليه السلام – ، أنتم الشهداء ، وأنتم السعداء ، سعدتم عند اللّه ، وفزتم بالدرجات من جنات لا يطعن أهلها ولا يهرمون ، ورضوا بالمقام في دار السلام ، مع من نصرتم .

جزاكم اللّه خيراً من أعوان ، جزاء من صبر مع رسول اللّه صـلّي اللّه عليه وآله ، أنجز اللّه مـا وعـدكم من الكرامـة في جواره وداره مع النبيين والمرسلين ، وأمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين .

أسأل اللّه الذي حملني إليكم حتي أراني مصارعكم أن يرينيكم علي الحوض رواء مرويين ، ويريني أعداءكم في أسـفل درك من الجحيم ، فإنهم قتلوكم ظلماً ، وأرادوا إماتة الحقّ ، وسـلبوكم لابن سـمية وابن آكلة الأكباد ، فأسأل اللّه أن يرينيهم ظمأ مظمئين ، مسلسلين مغلّلين ، يساقون إلي الجحيم .

السلام عليكم يا أنصار ابن رسول اللّه مني ما بقيت ، والسلام عليكم دائماً إذا فنيت وبليت .

لهفي عليكم أيّ مصـيبة أصابت كلّ مولي لمحمـد وآل محمـد ، لقد عظمت وخصّت وجلّت وعمّت مصـيبتكم ، أنا بكم لجزع ، وأنا بكم لموجع محزون ، وأنا بكم لمصاب ملهوف .

هنيئاً لكم ما أعطيتم ، وهنيئاً لكم ما به حييتم ، فلقد بكتكم الملائكة ، وحفّت بكم ، وسكنت معسكركم ، وحلّت مصارعكم ، وقدّست وصفت بأجنحتها عليكم ، ليس لها عنكم فراق إلي يوم التلاق ، ويوم المحشر ، ويوم المنشر ، طافت عليكم رحمة من اللّه ، وبلغتم بها شرف الآخرة .

أتيتكم شوقاً وزرتكم خوفاً ، أسال اللّه أن يرينيكم علي الحوض ، وفيالجنان مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً(1) .

النص الثالث

السلام عليكم يا أنصار اللّه ورجاله من أهل الحقّ والبلوي ، والمجاهدين علي بصيرة في سبيله ، أشهد أنّكم كما قال اللّه عز وجل : « وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ » ، فما ضعفتم ،

وما استكنتم حتي لقيتم اللّه علي سبيل الحقّ ونصره وكلمة اللّه التامة .

صلّي اللّه علي أرواحكم وأبدانكم وسلّم تسليماً وفزتم ، واللّه لوددت أني كنت معكم فأفوز فوزاً ، أبشروا بمواعيد اللّه التي لا خلف لها إنّه لا يخلف الميعاد .

أشهد أنّكم النجباء وسادة الشهداء في الدنيا والآخرة ، وأشهد أنّكم جاهدتم في سبيل اللّه ، وقتلتم علي منهاج رسول اللّه ، أنتم السابقون والمجاهدون . أشهد أنّكم أنصار اللّه وأنصار رسوله .

1- كامل الزيارات لابن قولويه :420 ، مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : 724 .

الحمد للّه الذي صدقكم وعده ، وأراكم ما تحبّون ، والسلام عليكم

ورحمة اللّه وبركاته(1) .

النص الرابع

السلام عليكم أيّها الربانيون ، أنتم خيرة اللّه ، اختاركم اللّه لأبي عبد اللّه عليه السلام ، وأنتم خاصته اختصكم اللّه .

أشهد أنّكم قتلتم علي الدعاء إلي الحقّ ونصرتم ووفيتم وبذلتم مهجكم مع ابن رسول اللّه صلّي اللّه عليه وآله ، وأنتم سعداء ، سعدتم وفزتم بالدرجات .

فجزاكم اللّه من أعوان واخوان خير مـا جـازي من صبر مع رسول اللّه صـلّي اللّه عليه وآله ، هنيئـاً لكم مـا أعطيتم ، وهنيئاً لكم بما حييتم ، طافت عليكم من اللّه الرحمة ، وبلغتم بها شرف الآخرة(2) .

النص الخامس

ثُمَّ تَقُومُ فَتُومِئُ بِيَدِكَ إِلَي الشُّهَدَاءِ وتَقُولُ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ السَّلامُ

عَلَيْكُمْ السَّلامُ عَلَيْكُمْ فُزْتُمْ واللَّهِ فُزْتُمْ واللَّهِ فُزْتُمْ واللَّهِ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً(3) .

1- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس : 3/344 .

2- إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس : 3/346 .

3- من لا يحضره الفقيه : 2/594 ، الكافي : 4/577 ، تهذيب الأحكام للطوسي : 6/56 .

النص السادس

ثم تسلم علي الشهداء من أصحاب الحسين عليه وعليهم السلام ، تستقبل وتقول :

السلام عليكم يا أنصار اللّه ، وأنصار رسوله ، وأنصار علي بن أبي طالب ، وأنصار فاطمة الزهراء ، وأنصار الحسن والحسين ، وأنصار الإسلام .أشـهد لقد نصـحتم للّه ، وجاهدتم في سبيله ، فجزاكم اللّه عن الإسـلام وأهله أفضل الجزاء ، فزتم واللّه فوزاً عظيماً ، يا ليتني كنت معكم فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً .

أشـهد أنّكم أحيـاء عنـد ربّكم ترزقون ، وأشـهد أنّكم الشـهداء ، وأنّكم السـعداء ، وأنّكم في درجـات العلي ، والسـلام عليكم ورحمـة اللّه وبركاته(1) .

النص السابع

وزر الشهداء رضوان اللّه عليهم ، ثم تنحرف من عند الرجلين إلي القبلة ، وتقول :

السلام عليكم أيّها الصديقون ، السلام عليكم أيّها الشهداء الصابرون .

أشهد أنّكم جاهدتم في سبيل اللّه ، وصبرتم علي الأذي في جنب اللّه ، ونصحتم للّه ولرسوله ولابن رسوله حتي أتاكم اليقين .

أشهد أنّكم أحياء عند ربّكم ترزقون ، فجزاكم اللّه عن الإسلام وأهله أفضل ما جزي المحسنين ، وجمع بيننا وبينكم في محلّ النعيم(2) .

1- كامل الزيارات : 200 ، بحار الأنوار : 98/246 .

2- المقنعة :470 ، المزار لمحمد بن المشهدي : 416 ، المزار للشهيد الأول : 170 ، بحار الأنوار : 98/257 .

النص الثامن

السلام عليكم يا خير أنصار ، السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ، وبوأكم اللّه مبوء الأبرار .

أشـهد لقـد كشف لكم الغطـاء ، ومهّـد لكم الوطـاء ، وأجزل لكم العطاء ، وكنتم عن الحقّ غير بطاء ، وأنتم لنا فرط ، ونحن لكم خلطاء في دارالبقاء ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته(1) .

النص التاسع

السلام عليك يا أبا عبد اللّه وعلي الأرواح التي حلت بفنائك وأناخت برحلك عليك منّي سلام اللّه أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله اللّه آخر العهد منّي لزيارتكم السلام علي الحسين وعلي علي بن الحسين وعلي أولاد الحسين وعلي أصحاب الحسين(2) .

النص العاشر

والتفت إلي قبور الشـهداء فقال : السـلام علي الأرواح المنيخـة بقبر أبي عبـد اللّه ، السـلام عليكم يا شـيعة اللّه وشـيعة رسوله وشـيعة أمير المؤمنين والحسن والحسين، السلام عليكم يا طاهرون ، السلام عليكم يا مهديون،

1- المزار لمحمد بن المشـهدي : 495 ، ، إقبـال الأعمال لابن طاووس : 3/80 ، بحـار الأنوار : 45/73 ، العوالـم ، الإمام الحسـين عليه السلام لعبد اللّه البحراني :340 .

2- المصباح للكفعمي : 485 ، المزار لمحمد بن مكي العاملي : 183 .

السلام عليكم يا أبرار ، السلام عليكم وعلي ملائكة اللّه الحافين بقبوركم ، جمعني اللّه وإياكم في مستقرّ رحمته تحت عرشه(1) .

النص الحادي عشر

ثم امش حتي تأتي قبور الشهداء ، فقف وقل :السلام علي الأرواح المنيخة بقبر أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام ، السلام عليكم يا طاهرين من الدنس ، السلام عليكم يا مهديين ، السلام عليكم يا أبرار اللّه ، السلام عليكم وعلي الملائكة الحافين بقبوركم أجمعين ، جمعنا اللّه وإياكم في مستقرّ رحمته وتحت عرشه ، إنّه أرحم الراحمين ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته(2) .

النص الثاني عشر

ثم انحرف إلي قبور الشهداء وقل :

السلام عليكم أيّها الذابّون عن توحيد اللّه ، السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار ، بأبي أنتم وأمّي ، فزتم فوزاً عظيماً(3) .

1- بحار الأنوار : 98/330 .

2- المزار لمحمد بن مكي العاملي : 164 .

3- المزار لمحمد بن المشهدي : 425 ، المزار لمحمد بن مكي العاملي : 161 ، بحار الأنوار : 98/354 .

شهادة زهير

مبارزة زهير :

اختلف المؤرخون في وقت خروج زهير بن القين الي المبارزة :فمنهم من قال : أنّه برز بعد الحر ، وقبل حبيب(1) .

ومنهم من قال : أنّه برز بعد الحجاج بن مسروق(2) .

ومنهم من قال : أنّه برز بعد الحر جماعة ثم برز زهير(3) .

ومنهم من قال : أنّه برز قبل نافع بن هلال البجلي(4) .

ومنهم من قال : أنّه برز بعد سعيد بن عبد اللّه الحنفي .(5)

والظاهر أنّ زهير قاتل وبرز الي القوم مرّات عديـدة، فهو صاحب الميمنة، والذابّ عن الحرمة ، والمشـهود له بالنجدة ، وقد التحم مع العدو في صولاته وحملاته، ليحمي ظهر بعض الأصحاب، كما فعل مع الحرّ بن يزيد الرياحي(5).

1- أمالي الصدوق : 224 ، روضة الواعظين للفتال النيسابوري : 186 ، بحار الأنوار : 44/319 .

2- بحار الأنوار : 45/25 .

3- معجم رجال الحديث للسيد الخوئي : 8/306 عن المناقب .

4- المناقب لابن شهرآشوب: 3/252 ، تاريخ الطبري : 4/336 . .

5- 5 انظر إبصار العين للسماوي : 182 .

متي استشهد زهير :

يبدو أنّ زهير بن القين – وهو حامل راية الميمنة – استشهد بعد حبيب(1) حامل راية الميسرة في معسكر سيد الشهداء عليه السلام .

وكان زهير باقياً الي حين هجوم القوم الأول علي خيام الحسين عليه السلام

وإحراقها ، وكان زهير قد دفعهم عنها في عشرة من أصحابه .

وكان في وقت صلاة الظهر حيث قدّمه الحسين عليه السلام مع سعيد بن عبد اللّه الحنفي أمامه يقيانه هجوم الأعداء(2) .

شهادته :

« 1 »

في تذكرة الشهداء للملا حبيب الكاشاني: قال أبو مخنف: لمّا فرغ الإمام من صلاته خطب في أصحابه يحرّضهم علي القتال ، فقال: يا أصحابي ، إنّ هذه الجنة قد فتحت أبوابها ، واتصلت أنهارها ، وأينعت ثمارها ، وزيّنت قصورها ، وتؤلفت ولدانها وحورها ، وهذا رسول اللّه صلي الله عليه و آلهوالشهداء الذين قتلوا معه ، وأبي وأمي ، يتوقّعون قدومكم ، ويتباشرون بكم ، وهم مشتاقون اليكم ، فحاموا عن دين اللّه ، وذبّوا عن حرم رسول اللّه (3) .

ص: 250

1- انظر إبصار العين للسماوي : 182 .

2- مثير الأحزان لابن نما الحلي : 48 ، المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين : 341 .

3- مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: 74 .

فخرجن ربات الخدور من الخيام ، وكان الأصحاب في سبحات ملكوتية محضة ، فصحن وقلن: يا معشر المسلمين ، ويا عصبة المؤمنين ، حاموا عن اللّه ، وذبّوا عن حرم رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وعن إمامكم وابن بنت نبيكم ، فقد امتحنكم اللّه بنا ، فأنتم جيراننا في جوار جدّنا والكرام علينا ، وأهل مودّتنا ، فدافعوا بارك اللّه فيكم عنّا .

فلمّا سمعوا ضجّوا بالبكاء والنحيب وقالوا : نفوسنا دون أنفسكم ، ودماوا دون دمائكم ، وأرواحنا لكم الفداء ، واللّه لا يصل اليكم أحد بمكروه وفينا الحياة ، وقد وهبنا للسيوف نفوسنا ، ولعلّنا نقيكم زحفالصفوف ، ونشرب دونكم الحتوف ، فقد فاز من كسب اليوم خيراً ، وكان

لكم من المنون مجيراً(1) .

فكان أول من برز زهير بن القين ، وهو يرتجز ، ولم يزل يقاتل حتي

قتل سبعين فارساً ، وتكاثروا عليه وقتلوه(2) .

« 2 »

قال السماوي رحمه الله : ثم صلّي الحسين عليه السلام صلاة الخوف ، ولمّا فرغ منها تقدّم زهير ، فجعل يقاتل قتالاً لم ير مثله ، ولم يسمع بشبهه ، وأخذ يحمل علي القوم فيقول : « أنا زهير وأنا بن القين . . . » فكأنّه ودّعه ،

1- مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: 74 ، ينابيع المودة للقندوزي: 3/71 ، ناسخ التواريخ ترجمة سيد علي جمال أشرف: 2/398 .
2- تذكرة الشهداء : 171 .

وعاد يقاتل فشدّ عليه كثير بن عبد اللّه الشعبي ، ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه(1) .

وقال السيد شرف الدين رحمه الله : زهير بن القين البجلي ، وبجيلة هم بنو أنمار بن أراش بن كهلان من القحطانية ، شخصية بارزة في المجتمع الكوفي ، وكان له يوم عاشوراء شرف القتال إلي جانب الحسين بن علي عليهماالسلام .

وقد أبدي شجاعة منقطعة النظير في سوح الوغي ... وفي ظهيرة يوم العاشر وقف هو وسعيد بن عبد اللّه يقيان الإمام من السهام حتي ينهي صلاته .وبرز بعدها إلي القتال ، وقاتل قتال الأبطال ، وكان حينها يرتجز

قائلاً(2) ...

وقال ابن أعثم الكوفي: وخرج . . زهير بن القين البجلي ، وهو يرتجز ... ثم حمل ، ولم يزل يقاتل حتي قتل(3) .

وقال ابن شهر آشوب رحمه الله : ثم صلّي الحسين عليه السلام بهم الظهر صلاة شدّة الخوف، ثم برز زهير بن القين البجلي ، وهو يقول : « أنا زهير وأنا ابن القين ... » ، فقتل مائة وعشرين رجلاً ، قتله كثير بن عبد اللّه الشعبي ومهاجر بن أوس(4) .

1- إبصار العين للسماوي : 161 .
2- المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين : 219 .
3- كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: 5/109 .
4- المناقب لابن شهرآشوب : 3/252 .

وفي فرسان الهيجاء : فحمل عليهم زهير كأنّه التنين الصائل ، أو الشـهاب الحارق ، وقلب الميمنة علي الميسرة ، وحمي أتون الحرب ، فقال مرتجزاً: « أنا زهير وأنا ابن القين... » ، وحمل عليهم كالصاعقة النارية بعد أن أتمّ رجزه ، غاص في أوساطهم، وقلب الميمنة علي الميسـرة، حتي قتل منهم مقتلة عظيمة.

وفي رواية محمد بن أبي طالب المذكورة في البحار : كان عدد القتلي مائة وعشرين رجلاً من صناديد الكوفة(1) . . .

وبعد أن نقل كلام زهير مع الإمام عليه السـلام بعد شـهادة حبيب قال: عند ذلك ودّع زهير الحسين عليه السلام بأرجوزة ، وسار نحو ميدان القتال: « فدتك نفسي هادياً مهدياً . . . » .وهجم ثانية كالصرصر العاصف علي جيش العدو المخالف ، وقاتل قتال الوالهين الي مرضاة ربّ العالمين ، وبينما هو يقاتل إذ بصـر به عبد اللّه الشـعبي والمهاجر بن أوس التميمي ، وكانا في شـغل به ، فحانت منه فرصة ، فطعنه أحدهما بالرمح ، وضربه الآخر بالسيف ، فخرّ صريعاً الي الأرض(2) . . .

وفي الأمالي للصدوق وغيره: ثم برز..زهير بن القين البجلي ، وهو يقول مخاطباً للحسـين عليه السلام « اليوم نلقي جدّك النبيا . . . » ، فقتل منهم تسعة

عشر رجلاً ، ثم صرع وهو يقول : « أنا زهير وأنا ابن القين(3) . . »

1- بحار الأنوار : 45/25 .

2- فرسان الهيجاء للمحلاتي ترجمة السيد محمد شعاع فاخر : 1/201 - 202 .

3- أمالي الصدوق : 224 ، روضة الواعظين للفتال النيسابوري : 186 ، بحار الأنوار : 44/319 .

قال الطبري : ثم صلّوا الظهر ، صلّي بهم الحسين عليه السلام صلاة الخوف ، ثم اقتتلوا بعد الظهر ، فاشتد قتالهم ، ووصل إلي الحسين عليه السلام فاستقدم الحنفي

أمامه ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً قائماً بين يديه ، فما زال يرمي حتي سقط ، وقاتل زهير بن القين قتالاً شديداً ، وأخذ يقول : « أنا زهير وأنا ابن القين... ».

قال : فشدّ عليه كثير بن عبد اللّه الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه .

وروي سبط ابن الجوزي قال : ثم جاء وقت صلاة الظهر ، فصلّي بأصحابه صلاة الخوف ، فبينا هم في الصلاة تكالبوا عليه ، فحمل زهير بن القين يذبّ عن الحسين عليه السلام ويقول : « أنا زهير وأنا ابنالقين ... » .

ثم صاح زهير بالحسين عليه السلام : « أقدم هديت هادياً مهديا(1) » .

وقال ابن كثير: وقاتل زهير بن القين بين يدي الحسين عليه السلام قتالاً شديداً ، ، ورمي بعض أصحابه بالنبل حتي سقط بين يدي الحسين عليه السلام كأنّ فيه إشارة الي سعيد بن عبد اللّه الحنفي وجعل زهير يرتجز ويقول : « أنا زهير وأنا ابن القين . . . » .

قال : فشدّ عليه كثير بن عبد اللّه الشعبي ومهاجر بن أوس فقتلاه(2) .

1- تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي : 227 .

2- البداية والنهاية لابن كثير: 8/199 .

يبدو من الطوائف الثلاثة من الأخبار التي ذكرناها آنفاً ، أنّ زهير بن القين بعد أن قاتل قتالاً شديداً بين يدي الحسين عليه السلام ودفع القوم عن الحرم والعيال ، واستلحم مع الأعداء مشاركاً إخوانه الأبطال ، قدّمه سيد الشهداء الحسين عليه السلام هو وسعيد بن عبد اللّه الحنفي ووقف للصلاة ، ولم يفتر القوم من رمي الحسين عليه السلام وأصحابه بالنبال ، حتي سقط سعيد بن عبد اللّه

الحنفي مضرجاً بين يدي ريحانة الرسول صلي الله عليه و آلهوقرّة عين البتول عليهاالسلام فتكالب القوم حينئذٍ علي الحسين عليه السلام ولم يكتفوا برشقه وصحبه بالسهام والنبال ، فهجموا عليه بالسيوف والرماح ، فاستأذن زهير بن القين من الحسين بالضرب علي كتفه ، وأنشده تلك الأبيات ، ثم كرّ علي القوميدفعهم عن حجة اللّه الغريب المظلوم العطشان وهو يصرخ فيهم: « أذبّكم بالسيف عن حسين » ، فرموه بالنبال ، وتكاثروا عليه بالسيوف والسنان ، وهو يشغلهم بنفسه عن سيده وصحبه ، ويقدّم بدنه قطعة قطعة ، وبضعة بضعة ، للدفاع عن سيد الشهداءفبادره اللعينان كثير بن عبد اللّه الشعبي ومهاجر بن أوس ، فطعنه أحدهم بالرمح ، وضربه الآخر بالسيف ، فقتلاه . . . وا زهيراه ! . . وا مظلوماه !«

ص: 255

تأبين الحسين عليه السلام لزهير

اشارة

هكذا كان الإمام الروف ، والحبيب العطوف ، سيد الشهداء عليه السلام مع أنصاره وأهل بيته ، من أبي الفضل العباس وعلي الأكبر والقاسم الي عبيد اللّه بن الحسن عليهم السلام ومن مسلم بن عوسجة وحبيب بن مظاهر وزهير بن القين الي جون والغلام الصغير الذي استشهد أبوه في المعركة .

يمشي اليه ، ويقف عليه ، ويؤبنه ويشكر له سعيه ، ويعده اللقاء القريب في الجنة ، وهو سيد الكونين ، وزين السماوات والأرضين .

ولمّا صرع زهير بن القين وقف عليه أبو الشهداء الحسين عليه السلامفقال : لا يبعدنك اللّه يا زهير ، ولعن اللّه قاتليك ، لعن الذين مسخوا قردة وخنازير(1) .

ويحتمل في قوله عليه السلام « لا يبعدنك اللّه يا زهير » ، وجهين :

1- مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: 2/20 ، بحار الأنوار: 45/25 ، إبصار العين للسماوي: 167 عن السروي ابن شهرآشوب ، نفس المهموم للشيخ عباس القمي : 251 ، ناسخ التواريخ ترجمة سيد علي جمال أشرف: 2/398 ، فرسان الهيجاء للمحلاتي ترجمة محمد شعاع فاخر : 1/202 ، لواعج الأشجان للسيد الأمين : 158 ، أعيان الشيعة للسيد الأمين : 1/606 .

الوجه الأول

إذا جعلنا التقدير :

لا يبعـدنّك اللّه يا زهير عنّي ، فيكون الإمام عليه السـلام يـدعو اللّه أن يبقي زهير قريباً منه ، لأنّ البعد نقيض القرب(1) وقد رحل زهير الي جوار ربّه ، فلا يكون قريباً من الحسين عليه السلام إلاّ إذا التحق عليه السلام هو أيضاً بالرفيق الأعلي .

فتكون معني العبارة : لا فرّق اللّه بيني وبينك يا زهير ، وهو بقوة قوله عليه السلامعلي الدنيا بعدك العفا ، أو ما أقبح العيش بعدك يا زهير .

قال المحقّق الحاج علي الشاوي – حفظه اللّه ورحم أمّه وأباه – : ما أعلا منزلـة زهير ، إذ كم هو الفارق كبير بين من يتمنّي القرب من رحمة اللّه ، وبين من تتمنّي رحمة اللّه الواسعة دوام القرب منه!! لا يبعدنك اللّه يا زهير(2) . .

الوجه الثاني

أن نجعل التقدير : لا يبعدنك اللّه عن رحمته ، أي أن يجعلك قريباً من رحمته و(رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمحْسِنِينَ) ، فهي تتضـمّن شـهادة من سيد الشهداء عليه السلام لزهير بن القين أ نّه من المحسنين ، وللمحسنين صفات

وخصال خاصة وردت في كتاب اللّه وكلام المعصومين .

1- انظر لسان العرب ، مجمع البحرين مادة « بعد » .

2- ورد ذلك في رسالة خاصة بعثها للمؤلف مشكوراً .

وهي شهادة تضاف الي ما حازه زهير من الحسين عليه السلام من شهاداتمن قبيل تشبيهه بمؤمن آل فرعون .

فيكون كلامه عليه السلام يعبّر عن إحسان زهير وشكره عليه السلام علي إحسانه .

وربما قيل : أنّ رحمة اللّه الواسعة هو الحسين عليه السلام فيؤول هذا الوجه الي الوجه الأول ، واللّه العالم .

لعن اللّه قاتل زهير

قال عليه السلام ولعن اللّه قاتليك ، لعن الذين مسخوا قردة وخنازير .

شبّه أبو الشهداء عليه السلام في بداية المعركة زهير بن القين بمؤمن آل فرعون ، وختم له بنفس التشبيه لكن هذه المرّة من خلال لعن قاتله ، لعن الذين مسخوا قردة وخنازير ، وهم بنو إسرائيل الذين قتلوا مؤمن آل فرعون .

فأيّ شبه عظيم بين هذين السبّاقين المؤمنين الداعين الي اللّه ، والمسارعين الي حفظ حرمات اللّه ، وأيّ قصد لسيد الشهداء عليه السلام من وراء هذا التشبيه ؟

اللّه ورسوله وأهل بيته وسيدي ومولاي الحسين عليه السلام أعلم .

* * *

قال الشيخ السماوي رحمه الله في تأبين زهير بن القين(1) :

لا يبعدنك اللّه من رجل * وعظ العدي بالواحد الأحد

ثم انثني نحو الخميس فما * أبقي لدفع الضيم من أحد

1- إبصار العين للسماوي : 183 .

الإمام الغريب يستصرخ زهير وإخوته بعد الشهادة

لمّا بقي الإمام الغريب العطشان وحيداً فريداً توجه نحو القوم ، وجعل ينظر يميناً وشمالاً ، فلم ير أحداً من أصحابه وأنصاره إلاّ من صافح التراب جبينه ، ومن قطع الحمام أنينه ، فنادي عليه السلام :

يا مسلم بن عقيل ! ويا هاني بن عروة ! ويا حبيب بن مظاهر ! ويا زهير بن القين ! ويا . . ويا يحيي بن كثير ! ويا هلال بن نافع ! ويا إبراهيم بن الحصين ! ويا عمير بن المطاع ! ويا أسد الكلبي ! ويا عبد اللّه بن عقيل ! ويا مسلم بن عوسجة ! ويا داود بن الطرماح ! ويا حر الرياحي ! ويا علي بن الحسين !

ويا أبطال الصفا ! ويا فرسان الهيجاء ! ما لي أناديكم فلا تجيبوني ، وأدعوكم فلا تسمعوني ؟!

أنتم نيام أرجوكم تنتبهون ، أم حالت منيّتكم عن إمامكم فلا تنصرونه ؟!

فهذه نساء الرسول صلي الله عليه و آله لفقدكم قد علاهن النحول ، فقوموا من نومتكم ، أيّها الكرام! وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام .

ص: 259

ولكن صـرعكم – واللّه – ريب المنون ، وغدر بكم الدهر الخؤون ، وإلالما كنتم عن دعوتي تقصرون ، ولا عن نصرتي تحتجبون ، فها نحن عليكم

مفتجعون ، وبكم لاحقون ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون .

ثم أنشأ يقول :

قوم إذا نودوا لدفع ملمّة

والقوم بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب علي الدروع وأقبلوا

يتهافتون علي ذهاب الأنفس

نصروا الحسين فيالها من فتية

عافوا الحياة والبسوا من سندس(1)

وكيف لا يعلو النحول بنات الرسول علي زهير ، وهو من أبطال الصـفا ، وفرسان الهيجا ، وقـد دافع عن خـدرهن ، وحرس حدودهن ، ودفع الأعداء عن خيامهن ، وكانت قلوبهن مطمئنة آمنة علي أملهن الحسين عليه السلام ما دامت عيون أصحابه تطرف وسيوفهم في أيديهم .

صلّي اللّه عليك يا زهير ، ولعن قاتليك

* * *

1- ناسخ التواريخ : 2/448 ، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : 581 ، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف : 133 ، معالي السبطين : 2/19 .

الفهرست

المقدّمة... 5

اسمه ونسبه... 19

لقبه ونسبته... 22

البجلي... 22

الأنماري... 22

سنّه... 23

مكانته وشخصيته... 25

التزامه بالتقية... 25

أولاً : تشبيه الحسين عليه السلام له بمؤمن آل فرعون... 25

ثانياً : إتهام الأعداء له... 26

ثالثاً : إنّه لم يكن مشهوراً... 26

دلالات تشبيهه بمؤمن آل فرعون... 29

أ نّه مؤمن... 29

صفات المؤمن... 30

إنّه عامل بالتقية... 41

إنّه يدافع عن المعصوم... 50إنّه يعتقد أنّ الحسين جاء بالبينات... 50

إنّه من القلّة الممدوحة... 51

برأ الحسين عليه السلام دينه وأ نّه لم يضفه اليهم بدينه... 51

إنّه من الصالحين العاملين بالتقية... 52

إنّه ممدوح بكتمان علمه... 54

إنّه تحمل البقاء مع الأعداء لحماية الإمام... 55

مدح الحسين عليه السلام أسلوبه في الوعظ وشهد له بالبلاغة وقوة العقل... 55

إنّه ممدوح بتحمله البلاء والدعوة مع ابتلائه... 57

تشبيهه بسباق الأمم وأنهم لم يكفروا باللّه طرفة عين... 57

تشبيهه بالثلة من الأولين... 59

تشبيهه بالصديقين... 60

إخباره أ نّه ممّن لا يفتن في دينه... 60

إخباره عليه السلام له بقتله إخباراً خاصاً وأ نّه يقطع إرباً... 60

إخباره عن تسليمه وتفويض أمره للّه... 61

امتداحه باليقين والصبر علي الشدائد... 62

أشار الي وجوب الأخذ بكلامه لأ نّه موافق للاحتياط... 62

الشهادة له بأنّه ممّن يدخل الجنة بمجرد القتل... 63

تشبيهه بأصحاب الكهف وأبي طالب وأنّ اللّه كتب لهم الأجر مرّتين... 63

الشهادة له بأنّه من شيعة أهل البيت الخلص... 64

شبهه بمن يقومون مع القائم قياماً خاصاً... 66مواقف زهير... 67

موقف زهير بذي حسم... 67

زهير مع الحسين عليه السلام علي مشارف كربلاء... 68

منع العدو من الدخول علي الحسين عليه السلام خوفاً من إغتياله... 74

الوقوف أمام الحسين عليه السلام يقيه بنفسه في الصلاة... 75

الحسين عليه السلام يخبر عن سؤال زهير وحبيب... 76

زهير في جملة الممثلين للحسين عليه السلام... 79

يستمهل القوم مع العباس عليه السلام... 79

موقف زهير ليلة العاشر... 79

دفاع زهير ورجاله في الميمنة عن الحسين عليه السلام... 82

دفاع زهير عن حرم الحسين عليه السلام... 82

شجاعة زهير... 86

مقام الوعظ... 89

خروجه شاك في السلاح... 92

التصوّر الأول... 92

إنّه متقدّم للموت فنصيحته لا مصلحة له فيها للدنيا... 92

التصور الثاني : تحرزاً من القوم... 93

التصور الثالث: استعرض القوة والاستعداد أمام العدو... 95

التصور الرابع : لأ نّه قائد عسكري في ساحة الوغي... 96

مضامين خطبته... 98أولاً : يا أهل الكوفة... 98

ثانياً : إعلانه عن مهمته... 99

الأمر الأول : الإنذار... 99

الأمر الثاني: النصيحة... 100

ثالثاً : أتباع الدين الواحد لا يتقاتلون... 101

رابعاً : التحذير من الارتداد والكفر... 102

خامساً : ابتلانا اللّه وإياكم بذرية النبي صلي الله عليه و آله... 102

سادساً : دعوتهم إلي نصر الحسين عليه السلام... 104

سابعاً : دعوتهم إلي خذلان الطاغية... 104

عائد ضمير التثنية في كلام زهير... 107

الأول : المراد عبيد اللّه وأبيه زياد... 107

الثاني : المراد يزيد وابن زياد... 109

لماذا لم يصرح زهير باسم يزيد ؟... 110

الجواب... 110

الأول : دلالة القرائن عليه... 110

الثاني : دأبه في التقية... 110

الثالث : تجنب الاستفزاز... 110

ردّ المسوخ... 111

خطاب آخر ودعوة أخري... 113

أولاً : إنّ ولد فاطمة

عليهاالسلام أحقّ بالودّ والنصر من ابن سمية... 114

ثانياً : إن لم تنصروهم فلا تقتلوهم... 116ثالثاً : تكسبون رضا يزيد بدون قتل الحسين عليه السلام... 117

ردّ القوم... 117

أفبالموت تخوفني ؟!... 119

الأمر الأول : الردّ علي تهديده بالقتل... 120

الأمر الثاني : بيان حبّه للبقاء مع الحسين عليه السلام علي كلّ حال... 121

عودة إلي خطاب الأعداء... 121

الحسين عليه السلام يدعو زهيراً... 124

هل تأثر القوم بموعظة زهير ؟... 125

رجز زهير... 128

وقفات... 130

الوقفة الأولي... 130

الوقفة الثانية... 130

الوقفة الثالثة... 130

« لفتات »... 131

اللفتة الأولي... 131

اللفتة الثانية... 132

اللفتة الثالثة... 135

اللفتة الرابعة... 136

الوقفة الرابعة... 137

« لفتات »... 138اللفتة الأولي... 138

اللفتة الثانية... 138

اللفتة الثالثة... 138

اللفتة الرابعة... 139

اللفتة الخامسة... 140

اللفتة السادسة... 140

اللفتة السابعة... 140

اللفتة الثامنة... 141

زيادات وروايات أخري في الرجز... 143

هل كان زهير عثمانياً ؟... 145

مناقشة الخبر... 148

أولاً: أقدم مصدر نقل الخبر... 148

ثانياً: سند الخبر... 149

مناقشة المتن... 150

أولاً : من هو عزرة الذي اتهم زهيراً... 150

ثانياً : إنّها تهمة من العدو... 157

لماذا اتهم عزرة زهيراً ؟... 158

الأمر الأول : التقية... 158

الأمر الثاني : التسقيط... 159

معني اصطلاح « عثماني »... 161الأمر الثالث: زعزعة الثقة بين أصحاب الحسين عليه السلام... 164

ثالثاً : جواب زهير علي الفرية... 165

المقصد الأول : التعريض بعزرة... 168

المقصد الثاني : وعظ عزرة ومن معه... 169

مضامين كلام زهير... 169

أولاً... 169

ثانياً... 170

ثالثاً... 170

رابعاً... 170

خامساً... 170

سادساً... 170

رابعاً : لا دليل علي توبته... 171

خامساً : موقف أهل البيت عليه السلام... 171

سادساً : إطلاعه علي خصوصيات حياة أمير المؤمنين عليه السلام... 174

أولاً... 176

ثانياً... 176

ثالثاً... 176

رابعاً... 177

خامساً... 177

سابعاً : إنّه كان مبشراً بنصرة الحسين عليه السلام... 178ثامناً: دلالات خطبه... 179

تاسعاً: نمط علاقته بالحسين عليه السلام... 181

الصورة الأولي : حضوره المستمر بين يدي الحسين عليه السلام... 182

الصورة الثانية : اختياره للميمنة... 183

صاحب ميمنة الحسين عليه السلام... 183

الصورة الثالثة : ضرب علي كتف الحسين عليه السلام... 186

الصورة الرابعة : مواساته للحسين عليه السلام... 187

عاشراً : لو كان عثمانياً لتوثب لقتال الحسين عليه السلام... 189

هل كره زهير منازلة الحسين عليه السلام ؟... 190

أولاً : السند... 192

ثانياً : ظروف نقل الخبر... 192

ثالثاً : لم يكن زهير وحده في تلك الرحلة... 193

رابعاً : خروج زهير من مكة بعد الحج... 194

الملاحظة الأولي : المسايرة... 194

الملاحظة الثانية... 195

الملاحظة الثالثة... 195

الملاحظة الرابعة... 196

خامساً : روايات لم تذكر امتناع زهير... 197

سادساً : المرافقون كانوا عثمانية... 198

سابعاً : المطلوب للحسين عليه السلام زهير بن القين فقط... 199ثامناً : ينتظرون الحسين عليه السلام في الصحراء... 200

أسدي ينتظر الشهادة مع الحسين عليه السلام في كربلاء... 202

خروج الكلبي مع أهله في طلب الحسين عليه السلام... 203

تاسعاً : ما لبث أن جاء مستبشراً... 208

عاشراً : زهير بن القين خرج يتلقّي الحسين عليه السلام... 211

الحادي عشر : ورد هذا الاتهام في حقّ غير زهير... 212

ابن عمّه المستشهد معه... 215

دلهم بنت عمرو زوجة زهير بن القين... 217

عقلها ومعرفتها... 218

إخبارها بالفراق والشهادة... 220

وداعها مع زوجها... 221

كلمات الوداع... 223

الفقرة الأولي: كان اللّه عوناً ومعيناً... 223

الفقرة الثانية: خار اللّه لك... 224

الفقرة الثالثة : أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام... 225

الرجاء العظيم... 226

لماذا الطلاق ؟... 226

الجواب الأول... 226

الجواب الثاني... 227

الجواب الثالث... 227الجواب الرابع... 228

هل التقت دلهم الحسين عليه السلام ؟... 228

امرأة زهير تكفن الحسين عليه السلام وزوجها... 229

زيارة زهير بن القين... 231

النمط الأول : الزيارة الخاصة... 231

تسليم الحجة عليه السلام عليه... 231

أولاً: إختصاص زهير بالإكرام... 233

ثانياً: الثأر لدم زهير... 233

ثالثاً: ليلة العاشر كانت مركز الإبتلاء... 233

رابعاً: شكر الموقف... 235

خامساً: خصوصية الموقف ليلة العاشر... 236

النمط الثاني : الزيارة العامة... 237

النص الأول... 238

النكتة الأولي... 238

النكتة الثانية... 239

النكتة الثالثة... 239

النكتة الرابعة... 240

النكتة الخامسة... 240

النص الثاني... 241النص الثالث... 244

النص الرابع... 245

النص الخامس... 245

النص السادس... 246

النص السابع... 246

النص الثامن... 247

النص التاسع... 247

النص العاشر... 247

النص الحادي عشر... 248

النص الثاني عشر... 248

شهادة زهير... 249

مبارزة زهير... 249

متي استشهد زهير... 250

شهادته... 250

« 1 »... 250

« 2 »... 251

« 3 »... 254

« 4 »... 255

ص: 271

تأبين الحسين عليه السلام لزهير... 256الوجه الأول... 257

الوجه الثاني... 257

لعن اللّه قاتل زهير... 258

الإمام الغريب يستصرخ زهير وإخوته بعد الشهادة... 259

الفهرست... 261

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹